فهرس الشعر في « نظام الغريب في اللغة » للربعي

د . عبد الفتاح السيد سليم*

يُعَدُّ كتاب « نظام الغريب في اللغة » ، لعيسى الربعي (ت ٤٨٠هـ) ، كنزًا من كنوز العربية ، وجوهرة يتيمة من التراث العربي ، اشتمل على مائة وأربعة أبواب من الغريب في صفات الإنسان وخلقه ، وأسماء الخيل والبغال والإبل ... إلخ .

وقد طبع الكتاب غير مرة ، مُذَيَّلاً بفهارس لا تفي بالغرض الذي يرجى منها ؛ فكثير من أبيات الشعر - مثلاً - غير منسوب إلى قائليه ، ولا إلى بحوره ؛ لذا قام د .عبد الفتاح السيد سليم بعمل فهرس للشعر ، نسب فيه الأبيات إلى قائليها ، وكذا إلى بحورها بشكل منسق ، مما ييسر كثيرًا على الباحثين والدارسين في حقل الدراسات اللغوية والأدبيَّة .

---

* أستاذ بقسم اللغويات بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر . له : « اللحن في اللغة العربية : مظاهره ومقاييسه » ، و « المعيار في التخطئة والتصويب » .

كتاب « نظام الغريب في اللغة » من الكتب النادرة في بابها ، والتي تخصصت في فرع مهم من فروع الفصحى ، هو البحث عن كل لفظ غريب ، سمي به ، أو وصف مما جبل عليه الناس وغيرهم ، وسائر ما يتصل بمختلف شئونهم ومعيشتهم .

والكتاب يعد بحق - كما قال محققه - « كنزًا من كنوز اللغة العربية ، وجوهرة يتيمة من التراث العربي اليمني بوجه خاص ، وإن من سماته أنه وضع اللمسات البارزة في لغة الناس وحياتهم وما يعتادون مداولته ويحتاجون له في اليوم والشهر والأعوام ، وفيما بين الأعراب في باديتهم وعند مسارح إبلهم وأغنامهم ومنتدياتهم ومشارب مياههم ونزح الدلاء من آبارهم وعند مزارعهم وهبوب الرياح وغير ذلك » .

ويضم الكتاب بين دفتيه مائة باب وأربعة ، ذكر الربعي فيها الغريب من كل شيء ؛ من خلق الإنسان وسائر صفاته وأحواله ، ثم من أسماء ما يستعمله من السيوف والرماح والخيل والبغال والإبل ، ثم من أسماء ما يحيط به ويؤثر في معيشته من الصحراء والرياح والسحاب والمطر ، ثم ما يصيبه من كوارث وموت وإقبار ... إلخ .

ومؤلف الكتاب - مع هذا - عالم لم يحظ بشهرة غيره من العلماء - وفيهم من هو دونه علما وفضلا - فترجمته في كتب الطبقات والتراجم لا تتجاوز عدة أسطر . وهو الإمام اللغوي النحوي الأديب عيسى بن إبراهيم بن عبد اللهِ الربعي الوحاظيّ الحميريّ ، المتوفى سنة ٤٨٠ هـ في بلدة أحاظة . (بغية الوعاة ٢/ ٢٣٥، كشف الظنون ١٩٥٩، هدية العارفين ١/ ٨٠٧، الأعلام

٥/ ٢٨٣) . وقد طبع (نظام الغريب) طبعتين : الأولى في مطبعة هندية (بلا تاريخ) ، بتصحيح الدكتور بولس برونله ، والأخرى في دار المأمون للتراث ، سنة ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠ م ، بتحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي .

ومع جودة الطبعة الأخيرة والاعتناء بها ضبطًا وإخراجا ، اتفقت الطبعتان تماما في نظام الفهارس وعددها ، فليس بهما إلا فهارس لأسماء الشعراء الذين ذكرت أبياتهم في الكتاب ، وثانية للألفاظ المترادفة والكلمات المفسرة ، وثالثة أخيرة لأبواب الكتاب مجملة .

وعند إنعامي النظر في الكتاب أخذت بما وجدت فيه من شواهد شعرية كثيرة ، أغفل المحققان معا فهرستها في آخر الكتاب ، ونسبتها إلى بحورها ، كما وجدت أن فيه كثيرًا من أبيات الشعر مجهول القائل ، ولذا لم يفهرس في أسماء الشعراء ، وفي ذلك قصور وتقصير في خدمة هذا الكتاب وخدمة من يقرؤه ، من هنا اشتد العزم على أن أصنع فهارس لما ورد من شعر في هذا الكتاب على نحو منسق مفيد ميسر ، راجيًا من وراء ذلك خدمة تراثنا العربي والباحثين فيه – وفي اللغة بوجه أخص ، نحوًا وصرفًا ولغة ، بأن يظهروا على شواهد لغوية مختلفة كانت مغيبة عنهم ، عسِرة التخريج ، أسأل اللّه أن يحقق الرجاء ، وأن ينفع به ، آمين .

«الهمــزة»

* المضمومة :

يُلَجْلِجُ مضغةً فيها أَنِيضٌ   أَصلَّت فَهْيَ تحت الكَشْح دَاءُ

(ص ١٠٠، ٢٧٠ – الوافر – زهير)

وقد أغدو على ثُبَةٍ كرامٍ   نَشَاوَى واجدين لِمَا نَشَاءُ

(ص١٤٦ – الوافر – ...)

إن سُلَيْمَى – واللّهُ يكْلَؤُهَا –   ضَنَّتْ بشيءٍ ما كان يَرْزَؤُهَا

وعوَّدتنى فيما تُعَوِّدُنِي   أظماءَ وِرْدٍ ماكنتُ أَجْزَؤُها

(ص ١٧٥ – المنسرح – ابن هرمة)

أجمعوا أمرهم بِلَيْلٍ فلما   أصبحوا أصبحتْ لهم ضوضاءُ

(ص ١٤٨ – الخفيف – الحارث بن حِلِّزة)

«البــاء»

* الساكنـة :

قد أقبلتْ مَعْنٌ بجيش ذي لَجَبْ
وغارةٍ لم تَكُ مِمَّا يُؤْتَشَبْ
إلاّ صحيحًا عَرَبًا إلى عَرَبْ

(ص ١٤٤ – الرجز – عدي بن سويد الطائي)

مَنْ يُسَاجِلْنِي يُسَاجِلْ ماجدًا يملأ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الْكَرَبْ
برسول اللّه وابْنَيْ بنته وبعباس وعبد المطلبْ
(ص ٢٣٣ – الرمل – الفضل بن عباس بن عتبة)

وغادرن نَضْلَةَ في مَعْرَكٍ يجر الأسِنَّةَ كالمحتطِبْ
(ص ٢٢٩ – المتقارب – عنترة)

تَتَايَعَ لا يبتغى غيره بأبيضَ كالْقَبَسِ المُلْتَهِبْ
(ص ٢٣٩ – المتقارب – عنترة)

يُذَبِّبُ وَرْدٌ على إثْرِهِ وَأَمْكَنَهُ وَقْعُ مِرْدَىْ خَشَبْ
(ص ٢٥٤ – المتقارب – ...)

فمن كان في قتله يَمْتَرِي فإن أبا نوفلٍ قد شَجِبْ
(ص ٢٦١ – المتقارب – عنترة)

* المفتوحة :

ألا أبلغا عني سُلَيْمًا وَرَبَّهُ وزيدا عَلِيٌّ مِئْرَةً وتَغَضُّبا
(ص ٧١ – الطويل – عمرو بن كلثوم)

تَجُولُ خلاخيلُ النساء ولا أرى لِرَمْلَةَ خَلْخَالًا يجول وقُلَّبا
(ص ١٠٨ – الطويل – خالد بن يزيد بن معاوية)

أَمْطَيتُ جازرنا أَعْلَى سَنَاسِنِها فبات جَازِرُنَا من فوقها قَتَبَا
(ص ٥٠ – البسيط – مرة بن محكان)

هَلَّا دفنتم رسول اللّه في سَفَطٍ　　من الألُوَّةِ أَصدَى مُلْبَسٍ ذهبا
(ص ١١٦ – البسيط – أعرابي)

فَقُمْتُ مُسْتَبْطِنًا سيفي فأعرض لي　　مِثْلُ الْمَجَادِلِ كُومٌ بُرِّكَتْ عُصَبَا
(ص ١٧٢ – البسيط – مرة بن محكان)

فصادف السَّيْفُ منها سَاقَ مُتْلِيَةٍ　　جَلْسٍ فصادف منها سَاقُها عَطَبَا
(ص ١٧٢ – البسيط – مرة بن محكان)

قَوْمٌ إذا عَقَدُوا عَقْدًا لجارهِمُ　　شَدُّوا العِنَاجَ وشَدُّوا فوقه الكَرَبا
(ص ٢٣٣ – البسيط – الحطيئة)

حتى إذا آضى كالْفُحَّالِ شَذَّبَهُ　　أَبَّارُهُ ونفى عن لِيفِهِ الْكَرَبَا
(ص ٢٤١ – البسيط – امرأة من العرب في ولد عقها)

إذا وقع السماءُ بأرض قوم　　رعيناه وإن كانوا غضابا
(ص ٢٧٧ – الوافر – معاوية بن مالك، عم لبيد)

يبادر الجَوْنَةَ أَنْ تغيبا
(ص ٢٢٠ – الرجز المشطور – أنيس الجرمي)

قُلْ لِمُسَامِيكَ يَعَضُّ الإِثْلِبا
(ص ٢٥٩ – الرجز المشطور – ...)

قالت أُبَيْلَى لي ولم أَسُبَّهْ
(ص٦٢ – الرجز المشطور – رؤبة)

وظَلَّتْ تَكُوسُ على أَكْرُعٍ ثلاثٍ وغادرتْ أُخْرَى خضيبا

(ص ١٨١ – المتقارب – الخنساء)

* **المضمومة :**

وكأسٍ كعين الديك باكرتُ حَدَّها بفتيان صِدْقٍ والنواقيسُ تُضْرَبُ

(ص ٩٥ – الطويل – الأعشى الكبير)

سيكفيك ضَرْبُ القوم لَحْمٌ مُغَرَّضٌ وماءُ قُدُورٍ في القصاع مَشُوبُ

(ص ٩٨ – الطويل – ...)

إذا ما دعا الداعي عَلِيًّا وَجَدتُّني أُراعَ كما راع العَجُولَ مُهِيبُ

وكم من سَمِيٍّ ليس مِثْلَ سَمِيِّهِ وإن كان يُدْعَى باسمه فيجيب

(ص ١٧٨ – الطويل – ...)

أهاب بأشجان الفؤاد مُهِيبُ وماتت نفوس للهوى وقلوب

(ص ١٧٨ – الطويل – القرشي)

خليلاي هَوْجَاءُ النَّجَاءِ شِمِلَّةٌ وذو شُطَبٍ لا يجتويه المُصَاحِبُ

(ص ١٧٩ – الطويل – الأخنس بن شريق)

فَهَلَّا أَعَدُّونِي لِمِثْلي تفاقدوا وفي الأرض مبثوثًا شُجَاعٌ وعقرب

(ص ٢١٨ – الطويل – بعض بني فقعس)

وهم يضربون الكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ على وجهه من الدماء سباسب

(ص ١١٤ – الطويل – عتية بن شهاب)

وسائلةٍ بالغيب عني وسائلٍ ومن يسأل الصُّعلوك أين مذاهبُه

(ص ٨٨ – الطويل – أبو النشناش)

إذا المرء لم يَسْرَحْ سَوَامًا ولم يُرِحْ سَوَامًا ولم تعطف عليه أقاربه

(ص ١٧٢ – الطويل – أبو النشناش)

جَوَارِسُهَا تأوي الشُّعُوفَ دوائبًا ويَنْصَبُّ أَلْهَابًا مَصِيفًا كِرَابُهَا

(ص ٢٥٥ – الطويل – أبو ذؤيب)

والْقُرْطُ في حُرَّةِ الذِّفْرَى معلقةٌ تَبَاعَدَ الحَبْلُ منه فَهْوَ يضطرب

(ص ٢٤ – البسيط – ذو الرمة)

سَافَتْ بِطَيِّبَةِ الْعِرْنِينِ مَارِنُهَا بالمسك والعنبر الهنديِّ مختضب

(ص ٢٦ – البسيط – ذو الرمة)

لمياءُ في شفتيها حُوَّةٌ لَعَسٌ وفي اللِّثَاتِ وفي أنيابها شَنَبُ

(ص ٣٤ – البسيط – ذو الرمة)

بَرَّاقَةُ الْجِيدِ واللَّبَّاتِ واشحةٌ كأنها ظبية أفضى بها لَبَبُ

(ص ٤٠ – البسيط – ذو الرمة)

شَخْتُ الْجُزَارَةِ مِثْلُ البيت سائره من المُسُوحِ خِدَبٌّ شَوْقَبٌ خَشِبُ

(ص ٥٣ – البسيط – ذو الرمة)

حتى إذا زَلَجَتْ عن كل حَنْجَرَةٍ إلى الغليل ولم يَقْصَعْنَهُ نُغَبُ

(ص ٩٣ – البسيط – ذو الرمة)

تجلو البوارق عن مُجْرَمِّزٍ لَهِقٍ كأنه مُتَقَبِّي يَلْمَقٍ عَزَبُ

(ص ١١٥ – البسيط – ذو الرمة)

زَيْنُ الثياب وإن أثوابُها استُلِبَتْ ... على الحَشِيَّةِ يومًا زانها السَّلَبُ

(ص ١٢٢ – البسيط – ذو الرمة)

قد أَشْهَدُ الغارةَ الشَّعواءَ تحملني ... جَرْدَاءُ عَارِيَةٌ منها الظَّنابيب

(ص ١٦٣ – البسيط – امرؤ القيس)

كحلاءُ في بَرَجٍ صفراء في نَعَجٍ ... كأنها فضة قد مَسَّها ذهب

(ص ١٧١ – البسيط – ذو الرمَّة)

يَحْدُو نَحَائِصَ أشباهًا مُحَمْلَجَةً ... وُرْقَ السَّرابيل في ألوانها خَطَبُ

(ص ٢٠٤ – البسيط – ذو الرمة)

فإن أَكْبَرْ فلم تَرَنِي الأعادي ... يفارقُ عاتقي ذَكَرٌ خَشِيبُ

(ص ١٢٧ – الوافر – عبد الله بن سلمة الهذلي)

إذا وَنَتِ الْمَطِيّ ذَكَتْ وَخُودٌ ... مواشكةٌ على البلوى نَعُوبُ

(ص ١٩١ – الوافر – عبد الله بن سلمة الهذلي)

كأنَّ بناتِ مَخْزٍ رائحاتٌ ... حَبَونَ وغُصْنِيَ الغُصْنُ الرطيب

(ص ٢٢٨ – الوافر – عبد الله بن سلمة الغامدي)

ولا كَهْكَا حَقةٌ بَرَمٌ ... إذا ما اشتدتِ الحِقَبُ

(ص ١٢٦ – الوافر المجزوء – أبو العباس الهذلي)

وإذا تكون كريهة أُدْعَى لها ... وإذا يُحَاسُ الْحَيْسُ يُدْعَى جُنْدُبُ

(ص ٩٩ – الكامل – هنيء بن أحمد القلابي)

ياذئبُ إنك إن نجوتَ فبعدما شَرٌّ وقد نظرت إليك شَعُوبُ

(ص ٢٦١ - الكامل - ...)

لنا ذَنوبٌ ولكم ذَنوبُ

فإن أبيتم فلنا القَلِيبُ

(ص ٢٣٣ - الرجز - ...)

* المكسورة :

فلا تَحْسَبِنِّي بَلْدَمًا إن نكحتِهِ ولكنني حُجَيَّةُ بْنُ الْمُضَرِّب

(ص٨١ - الطويل - حجية بن المضرب)

بَنِيَّ أَحَقُّ أن ينالوا خَصَاصَةً وأن يشربوا رَنْقًا لَدَى كل مشرب

(ص ٨٩ - الطويل - حجية بن المضرب)

مضاعَفَةٌ يَغْشَى الأناملَ رَيْعُهَا كأن قَتِيرَيْهَا عُيُونُ الجَنَادِبِ

(ص ١٣٤ - الطويل - قيس بن الخطيم)

إذا كنت لا أَرْمِي وتُرْمَى كِنَانَتي تُصِبْ جائحاتُ النَّبْلِ كَشْحِي ومَنْكِبِي

(ص ١٣٩ - الطويل - ...)

جَلَبْنا من الأعراف أعرافِ عُمْرَةٍ وأعرافِ لُبْنِ الخيل يا بُعْدَ مَجْلَبِ)

بناتِ الغُرَابِ والوجيهِ ولاحقٍ وأَعْوَجَ يَنْمِي نسبة المتنسِّب

(ص ١٥٣ - الطويل - طفيل الغنوي)

لَهُنَّ عليهم عادةٌ قد عرفنها إذا عَرَّضُوا الْخَطِّيَّ فوق الكوائب

(ص ١٥٤ – الطويل – النابغة)

وقال اقْدِمِي واقْدِمْ وأَخِرْ وأَخِّرِي وهَا وهَلًا واضْرَحْ وقَادِعُها هَبِي

(ص ١٦٢ – الطويل – طفيل الغنوي)

فعارضها رَهْوًا على مُتَتَايِعٍ شديدِ القُصَيْرَى خارجيٍّ مُحنَّبِ

(ص ١٦٥ – الطويل – طفيل الغنوي)

وضَرْبٍ كآذان الفِرَاءِ فَشَلَّهُ بطعنٍ كإيزاغ المخاض العوازب

(ص ٢٠٥ – الطويل – النابغة)

فيومًا على بُقْعٍ رِقَاقٍ صُدُورُهَا ويومًا على بَيْدَانَةٍ أُمِّ تَوْلَبِ

(ص ٢٠٥ – الطويل – امرؤ القيس)

تَلَفَّعْتُ في ظِلٍّ وريحٍ تَلُفُّنِي وفي طِرْمِسَاءَ غَيْرِ ذات كواكب

(ص ٢٢٣ – الطويل – الشرقي القطامي)

كأنَّ على أعطافه ثوبَ مائحٍ وإن يُلْقَ كَلْبٌ بين لَحْيَيْهِ يذهبِ

(ص ١٥٩ – الطويل – طفيل الغنوي)

يَسْمُو الدَّسِيعُ إلى هادٍ لَهُ بتَعٌ في جُؤْجُؤٍ كَمَدَاكِ الطِّيبِ مخضوبِ

(ص ٣٨ – البسيط – سلامة بن جندل)

إِنَّا إذا ما أتانا صارخٌ فَزِعٌ كان الصراخ له قَرْعَ الظنابيب

(ص ٥٣ – البسيط –

سلامة بن جندل)

ليس بأَسْفَى ولا أَقْنَى ولا سَغِلٍ يُعْطي دواءَ قَفِيِّ السَّكْنِ مربوب

(ص ١٦٦ – البسيط – سلامة بن جندل)

ومن الرجال أَسِنَّةٌ مَذْرُوبَةٌ ومُزَنَّدُونَ شُهُودُهُمْ كالغائبِ

(ص ٨١ – الكامل – ...)

لا تَنْفِري يا ناقُ عنه فإنه شِرِّيبُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لحروب

(ص ١٢٣ – الكامل – حفص بن الأحنف)

ما إن رَأَيْتُ ولا سمعتُ به كاليوم هانئَ أَيْنُقٍ جُرْبِ)

متبذّلًا تبدو محاسنه يضع الْهِنَاءَ مواضع النُّقْبِ

(ص ١٨٩ – الكامل – دريد بن الصِّمة)

فكِهٌ إلى جنب الخِوانِ إذا غدت نكباءُ تَقْلَعُ ثابت الأطناب)

وأب اليتامى يَنْبُتُونَ ببابه نَبْتَ الفراخ بِمُكْلِئٍ مِعْشَابِ

(ص ٢٣١ – الكامل – ميسون أخت المقصص الباهلية)

لَعَقُ الطُّفَاحَاتِ وشُرْبُ الرَّائِبِ
أَهْوَنُ من تعاقب الركائب

(ص ٩٧ – الرجز – ...)

يا عجبًا لِلْعَجَبِ العُجَابِ
خمسةُ غِرْبانٍ على غراب

(ص ١٨٦ – الرجز – ...)

وَتَلْقَنِي يَشْتَدُّ بي أَجْرَدُ مُسْتَقْدِمُ البِرْكَةِ كالراكب

(ص ١٦٣ - السريع - سلمة بن ذهل)

لم تتلفعْ بفضل مئزرها دَعْدٌ ولم تُغْذَ دَعْدُ بِالْعُلَبِ

(ص ٩٧ - المنسرح - جرير)

حديد الطَّرْفِ والْعُرْقو ب والْمَنْكِبِ والقلب

(ص ١٥٩ - الهزج (أو الوافر المجزوء) - أبو دؤاد الإيادي)

« التـــاء »

* المضمومة :

أُرَجِّلُ جُمَّتِي وأَجُرُّ ذيلي وتحمل شِكَّتِي أُفُقٌ كُمَيْتُ

أُمَشِّي في سَرَاةِ بني غُطَيْفٍ إذا ما نابني ضَيْمٌ أَبَيْتُ

(ص ١٤٦ - الوافر - عمرو بن قنعاس المرادي)

* المكسورة :

تَضَوَّعَ مِسْكًا بَطْنُ نُعْمَانَ إذ مَشَتْ به زينبٌ في نسوة خَفِرَاتِ

(ص ١١٦ - الطويل - أبو حية النميري)

ظللتُ كأنّي للرّماح دَرِيئةٌ أقاتلُ عن أبناء جَرْمٍ وَفَرَّتِ

(ص ١٣٢، ص ٢٧٤ - الطويل - عمرو ابن معديكرب)

ولما رأيتُ الخيـل زُورًا كـأنـهـا		جداولُ زرع خُلِّيَتْ فاسْبَطَرَّتِ

(ص ٢٣٨ – الطويل – عمرو بن معديكرب)

أَفِي الـولائـم أَوْلادًا لـواحـدةٍ		وفي الـعـيـادة أولادًا لِـعَـلَّاتِ

(ص ١٠٧ – البـسـيـط – ...)

إنكِ إن صَاحَبْتِنا مَذِحْتِ

ولَفِفَ الْفَخْذَانِ أو سَمِنْتِ

(ص ١٠٢ – الـرجـز – ...)

من يَكُ ذا بَتٍّ فهذا بَتِّي

مُـرَبِّـع مُـصَـيِّـفٌ مُـشَـتِّـي

جمعته من نعجاتٍ سِتِّ

(ص ١١٢ – الرجز – العجّاج)

حَلَّتْ تُمَاضِرُ غُرْبَةً فاحْتَلَتِ		فَلَجًا وأَهْلُكَ باللِّوَى فالْحِلَّةِ

(ص ٨٥ – الكامل – سليمان بن ربيعة)

دَرَّتْ بـأرزاق الْـعُـفَـاةِ مـغـالـقٌ		بِيَدَيَّ من قَمَعِ الْعِشَارِ الجِلَّتِ

(ص ١٨٣ – الكامل – سلمى بن أبي ربيعة)

رَجُلٌ إذا ما النائباتُ غَشِينَهُ		أَكْفَى لمِضْلِعَةٍ وإن هي جَلَّتِ

(ص ٢٦٣ – الكامل – سلمى بن أبي ربيعة)

ولقد رَأَيْتُ ثَأَى العشيرة بينها		وكَفَيْتُ جانبها اللُّتَيَّا والَّتِي

(ص ٢٦٣ – الكامل – سلمى بن أبي ربيعة)

مـا جـدٌ يُـطْـعِـمُ في الـمَـحْـ لِ عَـبِـيـطَ الْمُنْـقِـيَـاتِ
في جِـفـانٍ كـالجوابـي وقـدورٍ راسيـاتِ

(ص ١٨٥ – الرمل المجزوء – امرؤ القيس)

« الثـــاء »

* المضمومة :

إنِ القومُ غَطَّوْنِي تَغَطَّيْتُ عنهم وإن بحثوا عني ففيهم مباحث
وإن حفروا بئري حفرت بئارهم لِيُعْلَمَ منا ما تُكنُّ النبائث

(ص ٢٣٩ – الطويل – أبو دلامة)

« الجيم »

* المفتوحة :

أخلق بذي الصبر أن يَحْظَى بحاجته وَمُدْمِنِ الْقَرْعِ للأبواب أن يَلِجَا

(ص ٢٧٢ – البسيط – ...)

إذا حَجَاجَا مُقْلَتَيْهَا هَجَّجَا

(ص ٢٥ – الرجز – العجاج)

وَمَرْسِنًا أَقْنَى وَطَرْفًا أَدْعَجَا

(ص ٢٥ – الرجز – العجاج)

لا قَفِرًا عَشًّا ولا مُهَبَّجَا

(ص ١٠٥ – الرجز – ...)

وكُلُّ عَيْنَاءَ تُزَجِّي بَحْزَجَا

كـأنـه مُـسَـرْوَلٌ أَرَنْـدَجـا

(ص ١٥١، ص١٩٦ - الرجز - العجاج)

كالحبشيِّ الْتَفَّ أو تَسَبَّجَا

في شَمْلَةٍ أو ذاتِ زِفٌ عَوْهَجَا

(ص ١٩٩ - الرجز - العجاج)

واستبدلت رسُومُهُ سَفَنَّجا

أَسَكَّ نِغْضًا لا يَنِي مُسْتَهْدَجا

(ص ٢٠٣ - الرجز - العجاج)

واتخذته النائحاتُ مَنْأَجا

(ص ٢٣٠ - الرجز - العجاج)

*** المضمومة :**

إذا المرضعُ الغَوْجَاءُ بات يَعُزُّها   على ثديها ذو تُومَتَيْنِ لَهُوجُ

(ص ١٠٩ - الطويل - الفرزدق)

لا تَكْسَعِ الشَّوْلَ بأغبارها   إنك لا تدري مَنِ الناتجُ

(ص ١٧٦ - السريع - الحارث بن حلزة)

*** المكسورة :**

رَعَى بارِضَ الْوَسْمِيِّ حتى كأنما   يُرَى بِسَفى الْبُهْمَى أَخِلَّةُ مُلْهِجِ

(ص ١٨٢ - الطويل - الشماخ)

وَدَوِّيَّـةٍ قَـفْـرٍ تَمَـشَّـى نِـعَـاجُـهَـا كَمَشْيِ النصارى في خِفَافِ الأَرَنْدَجِ

(ص ٢٥٠ – الطويل – الشماخ)

حـتـى أضـاء سـراج دونـه بَـقَـرٌ حُمْرُ الأنامل عِينٌ طَرْفُها ساجي

(ص ٣٠ – البسيط – الراعي النُّميري)

كأنَّ أصواتَ مِنْ إيغَالِهِنَّ بنا أواخرُ المَيْسِ أصواتُ الفراريج

(ص ١٨٧ – البسيط – ذو الرمة)

يا رُبَّ بيضاءَ ضَحُوكٍ ضَمْعَج

(ص ١٠٤ – الرجز – ...)

« الحـــاء »

* المفتوحة :

حيث تحُكُ الإِبْرَةُ القبيحا

(ص ٤١ – الرجز – أبو النجم)

تُزْجِي السحاب الْعَهْدَ والفُتُوحا

(ص ٢٢٨ – الرجز – أبو النجم)

كـل خـلـيـل كـنـتُ خـالـلـتُـه لا تَـرَكَ الـلّـه لـه واضـحـه

كُـلُّـهُـمُ أَرْوَغُ مـن ثـعـلـبٍ مـا أَشْبَـهَ الـلـيـلـةَ بـالـبـارحـه

(ص ٣٧ – السريع – طرفة بن العبد)

* المضمومة :

تَرَى الذُّلَّ يَكْرَهْنَ الرياح إذا جرت ومَيٌّ بـهـا لـولا الـتـحـرُّج تـفـرحُ

إذا حركتها الريح في المِرْطِ أشرفت ... روادفها وانضمَّ منها الْمُوَشَّحُ

(ص ٥٠ – الطويل – ذو الرمة)

وما كنت مثل الهالكيِّ وعِرْسِه ... بَغَى الْوُدَّ من مطروفة العين طامحُ

(ص ١٠٦ – الطويل – الحطيئة)

أسيلٌ نبيلٌ ليس فيه معابةٌ ... كُمَيْتٌ كلون الصِّرْفِ أَرْجَلُ أَقْرَعُ

(ص ١٥٦ – الطويل – المرقش الأصغر)

فلما قضينا من مِنًى كُلَّ مَنْسِكٍ ... ومَسَّحَ بالأركان مَن هو ماسح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطيِّ الأباطح

(ص ١٧٤ – الطويل – كثير عزة)

عقابٌ عَبَنْقَاةٌ كأنَّ وَظِيفَهَا ... ومنقارَها الأعلى نيَارٌ مُلَوَّحُ

(ص ٢٠٦، ص ٢٢١ – الطويل – الطرماح)

*** المكسورة :**

أَبَتْ لي عِفَّتي وأبى حيائي ... وأَخْذِي الْحَمْدَ بالثمن الربيح

وإقدامي على المكروه نفسي ... وضَرْبي هامَةَ البطل المُشِيح

وقولي كُلَّمَا جشأت وجاشت ... مكانك تُحْمَدِي أو تستريحى

(ص ١٢٤ – الوافر – عمرو بن الإطنابة)

قلت لحنَّانَةٍ دَلُوحِ ... تَسُحُّ مِن وابل سَمُوحِ

أُمِّي الضريحَ الذي أُسَمِّي ... ثم اسْتَهِلِّي على الضريح

ليس من العدل أن تَشِحِّي على فتًى ليس بالشحيح

(ص ٢٦٢ – البسيط المجزوء – مطيع بن إياس)

بِيتَا تَنوحَانِ مع الأنواح
وَأبَّنَا مُلَاعِبَ الرماح
وَمِدْرَهَ الكتيبة الرَّدَاح

(ص ٥٩، ص ٢٦٩ – الرجز – لبيد بن ربيعة)

تمشي بِجَهْمٍ حَسَنٍ مُلَّاح
أُجِمَّ حتى هَمَّ بالصياح

(ص ٦٤ – الرجز – ...)

يارُبَّ شيخ من بني رياح
إذا مَلَا البَطْنَ من الضُّياح
صاح بِلَيْلَى أنكر الصياح

(ص ٩٦ – الرجز – ...)

ما أَعلَمَ المائحَ بِاسْتِ المائحِ

(ص ٢٣٤ – الرجز – ...)

لو كان حَيٌّ مُدْرِكَ الفلاح
أدركه مُلاعب الرماح

(ص ٢٦٥ – الرجز – ليد بن ربيعة)

« الـــدال »

* الساكنة :

الْعَيْنُ لا يُبْرِئُها من هُدَبِدْ
إلا القلايا من سَنَامٍ وكَبِدْ
(ص ٣٢ - الرجز - ...)

لَطَالَمَا حَلأْتُماها لا تَرِدْ
فَخَلِّيَاهَا والسِّجَالُ تبترد
من حرٍّ أيامٍ ومن ليل وَمِد
(ص ١٧٧، ص ٢٣٣ - الرجز - ...)

إنك لو ذُقْتَ الكُشَا بالأكباد
لما تركت الضَّبَّ يَعْدُو بالواد
(ص ٢٦٧ - الرجز - ...)

وخَصِيفٍ كَطَلًا مُطْلَنْفِئً بين أظآر حَوَالَيْه رَكَدْ
(ص ١١٨ - الرمل - ...)

جُرْشُعٌ هاديه منه نِصْفُه أو قُرَابُ النصف مُبْتَدُّ الْمَعَدْ
(ص ١٦٠ - الرجز - ...)

* المفتوحة :

لِتَبْكِ غَرَانِيقُ الشباب فإنني إِخَالُ غَدًا من فُوْقَةِ الْحَيِّ موعدا
(ص ٧٧ - الطويل - كلثوم بن صعب)

خليليَّ عُوجَا بارك اللّه فيكما وإن لم تكن هند لأرضكما قصدًا

(ص ١٩٢ - الطويل - وردة الجعدي)

فإن شئتُ حَرَّمْتُ النساء مِنَ اجْلِكُمْ وإن شئت لم أطعم نُقَاخًا ولا بَرْدا

(ص ٢٣٥ - الطويل - العَرْجي)

مُعَاوِيَ إننا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ فلسنا بالجبال ولا الحديدا

(ص ٦٨ - الوافر - عقيبة الأسدي)

تُزْجِي أَغَنَّ كأن إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أصاب من الدواة مِدَادها

(ص ١٩٧ - الكامل - عدي بن الرقاع)

قَومٌ إذا لبسوا الحديـ ـد تَنَمَّرُوا حِلَقًا وَقَدًّا

(ص ١٢٤، ص١٣٥ - الكامل المجزوء - عمرو بن معد يكرب)

لا خير في كَمْيِ الشهادَه

(ص ٢٤ - الرجز المنهوك - أعرابي)

ولكنها الخمر تُكْنَى الطِّلَا كما الذئب يُكْنَى أبا جَعْدَة

(ص ٩٤ - المتقارب - عبيد بن الأبرص)

* المضمومة :

ولما سقيناها العَكِيسَ تَمَذَّحَتْ خواصرها وازداد رَشْحًا وريدها

(ص ٩٧ - الطويل - الراعي)

إذا كانتِ الهيجاء وانشقَّتِ العصا فَحَسْبُكَ والضحاكَ سيفٌ مُهَنَّدُ

(ص ١٤٦ - الطويل - ...)

أرى الدهر لا يَبْقَى على حَدَثَانِهِ   أَبُودٌ بأطراف المناعة جَلْعَدُ

(ص ١٦٤ – الطويل – ساعدة
ابن جؤية العبدي)

الواهبُ المائةَ الجُرْجُورَ زَيَّنَهَا   سَعْدَانُ تُوضِحُ في أوبارها اللِّبَدُ

(ص ١٦٩، ص ٢٤٥ – البسيط – النابغة

الذبياني)

ما كان جمعهمُ في حَدِّ سَوْرَتِنا   إلا ذُبَابٌ هَوَى فَاقْتَمَّهُ الأسد

(ص ١٩٤ – البسيط – ...)

في رَبْرَبٍ يَلَقٍ حُورٍ مدامعها   كأنهن بِجَنْبَي جِزْيَةَ الْبَرَدِ

(ص ١٩٥ – البسيط – أبو ذؤيب)

ولا مُشِبٌّ من الثِّيران أفرده   عن كُورِهِ كثرة الإغراء والطَّرَدِ

(ص ١٩٥ – البسيط – أبو ذؤيب)

ولست بصادر عن بيت جاري   صُدُور الْعَيْرِ غَمَّرَهُ الوُرُودُ

(ص ٩١ – الوافر – عقيل بن علفة المري)

ما زالتِ الدَّلْو بها تعود
حتى أفاق غيمُهَا المجهود

(ص ٩٢ – الرجز – ...)

وكأنَّ قِهْزَةَ تاجر جِيبَتْ له   فُضُلٌ لأسفلها كِفَافٌ أَسْوَدُ

(ص ١١٣ – الكامل – الطرمّاح)

* المكسورة :

فإن يُقْبِلوُا نَطْعَنْ ثُغُورَ نحورهم وإن يُدْبِروُا نضربْ أَعَالى القَمَاحِدِ

(ص ٢٣ – الطويل – ...)

لساني وسيفي صارمان كلاهما ويبلغ ما لا يبلغ السيف مِذْوَدِي

(ص ٣٤ – الطويل – حسان بن ثابت)

إذا كنتَ في سَعْدٍ وأُمُّكَ منهم غريبًا فلا يغررك خَالُكَ مِنْ سَعْدِ

فإن ابن أخت القوم مُصْغًى إناؤه إذا لم يُزَاحِمْ خَالَهُ بأبٍ جَلْدِ

(ص ٣٨ – الطويل – النمر بن تولب)

فآليتُ لا ينفكُّ كَشْحِي بطانة لِعَضْبٍ رقيق الشَّفْرَتَيْنِ مهُنَّد

(ص ٤٧ – الطويل – طرفة بن العبد)

كأنَّ الْبُرِينَ والدَّمَالِيجَ عُلِّقَتْ على عُشَرٍ أو خِرْوَعٍ لم يُخَضَّد

(ص ١٠٨ – الطويل – طرفة بن العبد)

كقنطرة الرُّومِيِّ أقسم رَبُّها لَتُكْتَنَفَن حتى تُشَاد بِقَرْمَدِ

(ص ١٢٠ – الطويل – طرفة بن العبد)

رأيتُ بني غبراء لاينكرونني ولا أهل هَذَاك الطِّرافِ المُعَمَّد

(ص ١٢٠ – الطويل – طرفة بن العبد)

وبَرْكٍ هَجُودٍ قد أثارت مخافتي نَوَادِيَها أَسْعَى بِعَضْبٍ مُجَرَّد

(ص ١٦٩ – الطويل – طرفة بن العبد)

جُمَالِيَّةٌ لم يُبْقِ سَيرِي ورحلتي   على ظهرها من نِيِّها غَيْرَ مَحْفِد
(ص ١٨١ - الطويل - زهير)

خَذولٌ تُرَاعِي رَبْرَبًا بخميلة   تَنَاوَلُ أطراف البَرير وترتدي
(ص ١٩٦ - الطويل - طرفة بن العبد)

طَحُورَانِ عُوَّارَ الْقَذَى فتراهما   كمكحولتي مذعورةٍ أمِّ فَرْقَد
(ص ١٩٦ - الطويل - طرفة بن العبد)

وإن شئتَ سَامَى وَاسَطَ الكُورِ رأسُها   وعامت بضبعيها نَجَاءَ الْخَفَيْدَد
(ص ٢٠٢ - الطويل - طرفة بن العبد)

كأنَّ جَنَاحَيْ مَضْرَحِيٍّ تَكَنَّفَا   حَجَاجَيْه شُكَّا في العسيبِ بِمِسْرَد
(ص ٢٠٦ - الطويل - طرفة بن العبد)

أُسُودُ شَرًى لاقت أُسُودَ خَفِيَّةٍ   تساقت على حَرْدٍ دماء الأساود
(ص ٢١٣ - الطويل - زهير)

أَأَنْ هتفت ورقاءُ في رَوْنَقِ الضحى   على فَنَنٍ غَضِّ النبات من الرَّنْد
(ص ٢٤٨ - الطويل - عبد الله بن الدمينة)

وكنتُ كَمُهْرِيقِ الذي في سقائه   لِرَقْرَاقِ آلٍ فوق رابية صَلْد
(ص ٢٥٢ - الطويل - العديل ابن الفرخ العجلي)

تُبَارِي عِتَاقًا ناجيات وأَتْبَعَتْ   وظيفًا وظيفًا فوق مَوْرٍ مُعَبَّد
(ص ٢٥٩ - الطويل - طرفة بن العبد)

وهل أَخْطُبَنَّ القومَ وهي عَرِيَّةٌ　　أُصُول الأَلَاءِ في ثَرًى عَمِدٍ جَعْدِ

(ص ٢٦٠ – الطويل – ذو الرمة)

وحَرْفٍ كألواح الإِرَان نَسَأْتُها　　على لاحِبٍ كأنه ظَهْرُ بَرْجَد

(ص ٢٦٢ – الطويل – طرفة بن العبد)

وإن أُدْعَ لِلْجُلَّى أكن من حُمَاتِها　　وإن تَأْتِكَ الأعداء بالجَهْدِ أَجْهَد

(ص ٢٦٢ – الطويل – طرفة بن العبد)

إذا أنت فاكهتَ الرجال فلا تَلُغْ　　وقل مثل ما قالوا ولا تَتَزَنَّدِ

(ص ٢٧٤ – الطويل – ...)

فارتاع من صوت كَلَّابٍ فبات له　　طَوْعَ الشوامت من خوف ومن صَرَد

(ص ٢٢، ص ٢٢٥ – البسيط – النابغة)

من وَحْشِ وَجْرَة مَوْشِيٍّ أكارعه　　طاوِي الْمَصِيرِ كسيف الصَّيْقَلِ الْفَرِدِ

(ص ٤٧ – البسيط – النابغة)

فمن عصاك فعاقبه معاقبة　　تَنْهَى الظَّلُوم ولا تقعد على ضَمَد

(ص ٧١ – البسيط – النابغة)

فَهُنَّ ينبذن من قول يُصِبْنَ به　　مواقع الماء من ذي الغُلَّةِ الصادي

(ص٩١ – البسيط – القطامي)

خَلَّتْ سبيلَ أَتِيٍّ كان يحبسه　　وَرَفَّعَتْهُ إلى السَّجْفَيْنِ فالنَّضَد

(ص ١٢٢، ٢٢٥ – البسيط – النابغة)

والأُدْمَ قد خُيِّسَتْ فُتْلًا مَرَافِقُهَا   مشدودةً بحبال الحيرَةِ الجُدُدِ
(ص ١٧٨ - البسيط - النابغة)

لا تَحْسَبَنْ يابْنَ عِلْباء مُقَادَحَتِي   ضَرْبَ الصَّريح من الكُومِ المقاحيد
(ص ١٨٥ - البسيط - الشماخ)

مقذوفةٌ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بَازِلُها   له صَرِيفٌ صَرِيفَ الْقَعْوِ بالْمَسَدِ
(ص ١٨٥ - البسيط - النابغة)

سَرَتْ عليه من الْجَوْزاء ساريةٌ   تُزْجِي الشَّمال عليها جامد الْبَرَد
(ص ٢٢٧ - البسيط - النابغة)

واحكم كحكم فتاة الحيِّ إذ نظرت   إلى حَمَامٍ شِرَاعٍ وارد الثَّمَدِ
(ص ٢٣٥ - البسيط - النابغة)

ها إِنَّ تَا عِذْرَةٌ إلاَّ تكن نفعت   فإن قائلها قد تاه في البلد
(ص ٢٦٧ - البسيط - النابغة)

هما رمحان خَطِّيَّانِ كانا   من السُّمْرِ المثقفة الصِّعاد
(ص ١٣٠ - الوافر - بعض طيئ)

تمناني وسابغةً دِلَاصًا   كأن قَتِيرَها حَدَقُ الجراد
(ص ١٣٣ - الوافر - عمرو بن
معديكرب)

سقط النَّصِيفُ ولم تُرِدْ إسقاطه   فتناولته واتقتنا باليد
(ص ١١١ - الكامل - النابغة)

ولقد أصابت قلبه من حُبِّها   عن ظهر مِرْنَانٍ بسهم مِصْرَدِ

(ص ١٤٠ - الكامل - النابغة)

دَعْ ذا وَسَلِّ الْهَمَّ عنك بِجَسْرَةٍ   تنجو نَجَاءَ الْأَخْدَرِيِّ الْمُفْرَدِ

(ص ١٧٧، ص ٢٠٤ - الكامل - زهير)

وإذا نزعت نزعت عن مُسْتَحْصِفٍ   نَزْعَ الْحَزَوَّرِ بالرِّشاء الْمُحْصَدِ

(ص ١٨٨ - الكامل - النابغة)

وتَحُلُّ في دار الحِفَاظ بُيُوتَنَا   رُتَعُ الخمائل في الدَّرِينِ الأَسْوَدِ

(ص ٢٤٦ - الكامل - مضرس بن ربعي)

يا بَكْرَ بَكْرَيْن ويا خِلْبَ الكبد
أصبحت مني مثل كَفٍّ من عَضُد

(ص ٤٨ - الرجز - الكميت بن زيد)

إذا سُهَيْلٌ لَجَّ في الوَقُود
فَرْدًا كشاة البقر المطرود

(ص ١٩٧ - الرجز - ذو الرمة)

جاءت به مُعْتَجِرًا بِبُرْدِهِ
سَفْوَاءُ تَرْدِي بنسيج وحده

(ص ١٦٦ - الرجز - حسان بن ثابت)

خارجٌ نَاجِذَاه قد بَرَدَ المو   تُ على مُصْطَلاه أَيَّ بُرُودِ

(ص ٣٦ - الخفيف - أبو زبيد الطائي)

جاهدًا يستغيث غير مغاث ولقد كان عُصْرَةَ المنجود

(ص ٢٦٦ - الخفيف - ...)

« الذال »

لما رأينا القوم في إغذاذ
وأنه السير إلى بغذاذ
جئت فسلَّمت على مُعَاذ
تسليم مَلَّاذٍ على مَلَّاذ
طَرْمَذَةً مني على طَرْمَاذِ

(ص ١٩٠ - الرجز - ...)

كَعُوذِ الْمُعَطَّفِ أَحْزَى لها بِمَصْدَرَةِ الماء رَأْمٌ رَذِي

(ص ١٧٠ - المتقارب - أبو ذؤيب)

« الراء »

*** الساكنة :**

وغررتني وزعمت أنـ ـك لابِنٌ في الصيف تامِرْ

(ص ١٣٨ - الكامل المجزوء - الحطيئة)

أنا أبو النجم إذا ابْتَلَّ الْعُذَرْ
ضاحي القوافي عنده خير وشر

(ص ٣٢ - الرجز - أبو النجم)

بالمشرفيات يُقَطِّعْنَ الْقَصَرِ

فما يُصِبْنَ طابَقًا إلا انْعَفَر
(ص ٤٨ -الرجز- أبو النجم)

إذ أنا كالضِّرْغَامَةِ الْغَضَنْفَر
لو أتغدَّى رجلًا لم أُسْئِرْ
منه سوى كُعْبُرَةٍ أو كُعْبُر
(ص ٥١ -الرجز-...)

إذا تخازَرْنَ ومالي مِنْ خَزَرْ
ثم خَبَأْتُ العين من غَير عَوَر
(ص ١٢٣ -الرجز-...)

غَشَمْشَمٌ يَغْشَى الشجر
(ص ١٢٥ -الرجز-...)

قد سَبَّني بنو الغراب الأعور
كل عجوز منهم ومُعْصِر
(ص٢٠٧-الرجز-سالم ابن دارة اليربوعي)

وَهِضَبَّاتٍ إذا ابْتَلَّ الْعُذَرْ
(ص ١٦٣ -الرجز- طرفة)

إن تَسْلَمِ الجِلَّةُ فالحشو هَدَر
(ص ١٧٠ -الرجز-...)

ضَارٍ غَدَا ينفض صئبان المطر

أَقْنَى تظلُّ طَيْرُه على حذر

(ص ٢٠٦ – الرجز – حميد الأرقط)

سَيْرَ الجراد السُّدُّ تَرْدَادُو الخُضَر

(ص ٢١٩ – الرجز – العجاج)

ضاحى القوامى عنده خير وشر

بَخرٌ إذا ما جَزَرَ البحر زَخَر

(ص ٣٢، ص ٢٣٢ – الرجز – أبو النجم)

كأنها من سِمَنٍ واسْتِيغارْ

دَبَّتْ عليها عارمات الأنبارْ

(ص ٢٧١ – الرجز – ...)

دِيمَةٌ هطلاءُ فيها وَطفٌ طَبَقُ الأرض تَحَرَّى وتَدُرّ

(ص ٢٩ – الرمل – امرؤ القيس)

نحن لا يَخْزَنُ فيها لحمنا إنما يَخْزَنُ لحم المُدَّخِر

(ص ١٠١ – الرمل – ...)

تطرد البرد بِحَرٍّ صادق وَعَكِيكَ الصيف إن جاء بِقُر

(ص ٢٢١ – الرمل – طرفة)

لئن عاجلني سُكْرٌ لقد كنتُ وما أسكر

ولكن أَغْرَقَ الساقي لِيَ الكأسَ ولم أشعر

(ص ٩٥ – الهزج (أو الوافر المجزوء) – ...)

نحن في المَشْتَاةِ ندعو الجَفَلَى　　لا ترى الآدبَ فينا يَنْتَقِرْ

(ص ٢٧٢ - الرمل - طرفة)

ولى إِزْبَةٌ في جميل الصبا　　يُزَيِّنُ باطنُه ما ظهر

(ص ٥٨ - المتقارب - الخريمي)

كأن المُدَام وصَوْبَ الغمامِ　　وريحَ الخُزَامَى ونَشْرَ القُطُر

يُعَلُّ به بَرْدُ أنيابها　　إذا طَرَّبَ الطائر المُسْتَحِر

(ص ١١٥ - المتقارب - امرؤ القيس)

له جَبْهَةٌ كَسَرَاةِ المِجَنّ (م) حَذَّفَهُ الصانع المقتدر

(ص ١٥٨ - المتقارب - امرؤ القيس)

لها ذَنَبٌ مِثْلُ ذيل العروس　　تَسُدُّ به فرجها من دُبُر

(ص ١٦٤ - المتقارب - امرؤ القيس)

وأركب في الروع خَيْفَانَةً　　كسا وَجْهَهَا سَعَفٌ منتشر

(ص ١٦٥ - المتقارب - امرؤ القيس)

رأى أَرْنَبًا سَنَحَتْ بالْغَضَا　　فبادرها وَلَجَاتِ الخَمَرْ

(ص ٢٤٧ - المتقارب - أبي بن سلمى)

* المفتوحة :

فَدَعْ ذا وَسَلِّ الهَمَّ عنك بِجَسْرَةٍ　　ذَمُولٍ إذا صام النهار وهَجَّرا

(ص ١٧٧، ص ٢٢٢ - الطويل -

امرؤ القيس)

أقـول لـه لما أتـانـي نَـعِـيُّـه ... به لا بِظَبْيٍ بالصَّرِيحة أَعْفَرَا

(ص ١٩٨ – الطويل – الفرزدق)

فصادف سهمه أحجار قُفٍّ ... كَسَرْنَ الْعَيْرَ منه والْغِرَارا

(ص ١٣٢ – الوافر – عبيد بن حصي

(الراعي)

أطاعن دُونَكَ الأبطال شَزْرًا ... كَلَيْثِ أباءتين يَشُقُّ زارا

(ص ٢١٢ – الوافر – عمرو بن معديكرب)

وَمُعَيَّنًا يحمي الصُّوَار كأنه ... مُتَخَمِّطٌ قَطِمٌ إذا ما بربرا

(ص ١٩٦ – الكامل – جابر بن حريش)

فَأَرَتْكَ كَفًّا في الخضا ... ب ومِعْصَمًا مِلْءَ الجِبَارَه

(ص ١٠٩ – الكامل المجزوء – الأعشى)

كأنما تكسو الحِقاب الْمُخْدَرَا

أَقْمَرْ رَمْلٍ فوق رَمْلٍ أقمرا

(ص ١٥٠ – الرجز – أبو النجم)

دَلْوًا ترى الدَّالجَ منها أَزْوَرَا

إذا تَعُبُّ في السَّرِيِّ هرهرا

(ص ٢٣٦ – الرجز – ...)

بِفِيكَ مِنْ سَارٍ إلى القوم الْبَرَا

(ص ٢٦٠ – الرجز – ...)

أنا عَلِيٌّ وأُكَنَّى حَيْدَرَه
كليث غاباتٍ غليظ الْقَصَرَه
أضرب بالسيف رءوس الكفره
أَكِيلُكُمْ بالسيف كَيْلَ السَّنْدَرَه

(ص ٢١١ – الرجز – علي بن أبى طالب)

وإذا الخُرَّدُ اغْبَرَرْنَ الْمَحْـ ـل وصارت مِهْدَاؤهن عفيرا

(ص ١٠٦ – الخفيف – الكميت)

كأنَّ جَنِيًّا من الزَّنجبيـ ـل بات بفِيها وَأَرْيًا مَشُورا

(ص ٩٥ – المتقارب – الأعشى)

*** المضمومة :**

وعَبْدَ يَغُوثٍ أنزلته رماحنا قد اخْتَزَّ عُرْشَيْهِ الحُسَام الْمُذَكَّر

(ص ٣٩ – الطويل – ذو الرمة)

ففاجأهم يَسْتَنُّ ثَانِيَ عِطْفِهِ له غَيَبٌ كأنما بات يَمْكُرُ

(ص ٤٦ – الطويل – أبو زبيد الطائي)

عُنِينَا زمانًا بالتَّصَعْلُكِ والغنى وكُلًّا سقاناه بكأسيهما الدهر
فما زادنا بَأْوًا على ذي قرابة غنانا ولا أَزْرَى بأحسابنا الفقر

(ص ٧٣ – الطويل – حاتم الطائي)

فَأَوْفَضَ عنها وهي تَرْغُو حُشَاشَةً بذي نَفْسها والموت خَزْيَانُ ينظر

(ص ٧٥ – الطويل – ...)

عجوزٌ تُرَجِّي أن تكون فَتِيَّةً ... وقد لَحِبَ اللَّحيان وَاحْدَوْدَبَ الظهر
تَدُسُّ إلى العطار سِلْعَة أهلها ... وهل يصلح العَطار ما أفسد الدهر
تزوجتها قبل الْمُحَاقِ بليلةٍ ... فكان مُحَاقًا كُلُّهُ ذلك الشهر
وما غَرَّني إلا خضاب بكفها ... وكُحْلٌ بعينيها وأثوابها الصُّفْر

(ص ١٧١ - الطويل - ...)

ألم تر أن الناب تُحْلَبُ عُلْبَةً ... ويُتْرَكُ عَوْدٌ لا ضِرَابٌ ولا ظهر

(ص ١٧١ - الطويل - ...)

فقمتُ بنصل السيف والْبَرْكُ هاجدٌ ... بَهَازِرُهُ والموتُ في السيف ينظر

(ص ١٧٥ - الطويل - ...)

إذا قلت يَبْرَا بعض داء عشيرتي ... أَلَحَّ فساد واستجدَّ نشور
كما انتشرت مَخْشِيَّةُ العُرِّ بعد ما ... علا الجِلْدَ بُرْءٌ ظاهر وطُرُور

(ص ١٨٩ - الطويل - ...)

هل الوجد إلا أن قلبي إنْ دنا ... إلى الجمر قِيدَ الرمح لاحترق الجمر

(ص ٢١٨ - الطويل - ...)

وأخرى أُصَادِي النفس عنها وإنما ... لَمَوْرِدُ حَزْمٍ إن فعلت ومَصْدَرُ

(ص ٢٧٥ - الطويل - تأبط شرا)

وقاسمها باللّه جَهْدًا لأنتمُ ... أَلَذُّ من السلوى إذا ما نَشُورُها

(ص ٩٥ - الطويل - خالد بن زهير)

نقاسمهم أَسْيَافَنا شَرَّ قِسْمَةٍ ففينا غواشيها وفيهم صدورها

(ص ١٢٨ – الطويل – جعفر بن علبة الحارثي)

لَعَمْرِي لقد أشرفتُ يوم عُنَيزَةٍ على رغبة لو شَدَّ نفسي مريرها

(ص ١٨٨ – الطويل – شبيب بن البرصاء المري)

وَسَوَّدَ ماء الْمَرْدِ فاها فَلَوْنُهُ كلون النُّؤُور وهي أَدْمَاءُ سأْرُها

(ص ١٩٨ – الطويل – أبو ذؤيب)

فما أُمُّ خِشْفٍ بالعَلَايَةِ مُشْدِنٍ تَنُوشُ الْبَرِيرَ حيث نال اهتصارها

(ص ١٩٨، ص ٢٤٣ – الطويل – أبو ذؤيب)

فما رَوْضَةٌ بالْحَزْنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى يَمُجُّ الندى جَثْجَاثُها وعَرَارُها

(ص ٢٥٣ – الطويل – كثير عزة)

تَغَنَّ بالشعر إِمَّا كُنْتَ قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار

(ص ١٦١ – البسيط – ...)

وإن صخرًا لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ به كأنه عَلَمٌ في رأسه نار

(ص ٢٥٧ – البسيط – الخنساء)

تكفيه فَلْذَةُ كِبْدٍ إن أَلَمَّ بها من الشِّواء ويَرْوِي شُرْبَهُ الْغُمْرُ

(ص ٩١ – البسيط – أعشى باهلة)

ولا يُنْجِي من الغمرات إلا بَرَاكَاءُ القتال أو الضرار

(ص ١٤٣ – الوافر – بشر بن أبي خازم)

تَحُلُّ عَلَيَّ مُفْرَهَةٌ سِنَاد على أخفافها عَلَقٌ يمور

(ص ١٧٤ – الوافر – مالك بن جعدة)

فَلَيْتَ لنا مكان المَلْكِ عَمْرٍو رَغُوثًا حول قُبَّتِنا تَدُورُ

(ص ٢٠٠ – الوافر – طرفة)

بُغاث الطير أطولها جسوما ولم تَطُلِ الْبُزَاة ولا الصقور

(ص ٢٠٥ – الوافر – كثير غرة)

ألا يا ليت أخوالي عَدِيًّا لهم في كل ما آتي دُوَار

(ص ٢٧٥ – الوافر – ...)

فلولا عَسْبُهُ لرددتموه وشَرُّ منيحةٍ تَيْسٌ مُعَارُ

(ص ٢٧٧ – الوافر – زهير)

جاريةٌ بِشَطَنَيْنِ دَارُهَا
قد أعصرت أو قد دنا إعصارها
يسقط من غُلْمتها إزارُها

(ص ١٠٣ – الرجز – منصور بن مرثد الأسدي)

أَطْلَسَ يُخْفِي شَخْصَهُ غُبَارُه
في شِدْقِه شَفْرَتُه ونارُه

(ص ١٥٢ – الرجز – ...)

أطلس يخفي شخصه غباره
بَهْمُ بني محارب مُزْدَارُه

هـو الخبـيـث عَـيْنُهُ فُـرَارُه
في شِـذْقـه شَـفْـرتـه ونـاره
(ص ٢١٣، ص ٢١٤ - الرجز - ...)

إن تَـرَيْ رأسِـيَ فيهـا صَـلَـعٌ   وشَـوَاتِـي خَـلَّـةٌ فيهـا دُوَار
(ص ٢١ - الرمل - الأفوه الأودي)

عَلَّمُوا الطعن مَعَدًّا في الكُلَى   وادِّرَاع الـلأْمِ والـطَّرْف يَـحَـار
(ص ١٤٦ - الرمل - الأفوه الأودي)

حـكـم الـدهـر عـلـينا أنـه   ظَـلَـفٌ مـا نـال مـنـا وجُـبَـار
(ص ١٦٨ - الرمل - الأفوه الأودي)

تـقـطـع الـلـيـلـة مـنـه قُـوَّةً   كـلـمـا كَـرَّتْ عـلـيـه لا تـغـار
(ص ١٨٨ - الرمل - الأفوه الأودي)

بـينمـا الـنـاس عـلـى عـليـائـهـا   إذ هَـوَوْا في هُـوَّةٍ فيهـا فـغـارُ
(ص ٢٣٨ - الرمل - الأفوه الأودي)

أَلَـمَّـتْ خُـوَيْـخِـيَـةٌ عَـنْـقَـفِـيـرُ   تـكـاد الـسـموات مـنـهـا تمـورُ
(ص ٢٦٣ - المتـقـارب - ...)

*** المكسورة :**

لحا اللّه صعلوكًا إذا جَنَّ ليله   مشى في الْمُشَاش آلفًا كُلَّ مجزر
(ص ٤٠ - الطويل - عروة بن الورد)

تعاتبني فيما ترى من شراستي وشدةِ نفسي أمُّ عمرو وما تدري

(ص ٧٨ - الطويل - سعد بن ناشب المازني)

وتحليلُ رَكْبٍ غوَّرُوا رفعوا لهم بناءً بَنَوْهُ فوق ظفر إلى ظفر

(ص ١٣٦ - الطويل - ...)

فلا تقبروني إن قبري مُحَرَّمٌ عليكم ولكن أبشري أمَّ عامر

(ص ٢١٤ - الطويل - الشنفرى)

لعمري لقد لاقت سليم وعامر على جانب الثَّرْثار راغيةَ البَكْرِ

(ص ٢٣٧، ص ٢٦٣ - الطويل - ...)

ويومٍ كظلِّ الرمح قَصَّرَ طُولَهُ دَمُ الزِّقِّ عنا واصطفاقُ المزاهر

(ص ٢٦٩ - الطويل - شبرمة بن الطفيل)

ضفادع لَيْلٍ في خليج تجاوبت فَدَلَّ عليها صوتها حَيَّةَ البحر

(ص ٢٧٠ - الطويل - الكميت)

أَهْوَى له قانصٌ يسعى بِأَكْلُبِهِ عاري الأشاجع من قُنَّاصِ أنمار

(ص٤٢ - البسيط - النابغة)

لكن أتيت وروح المسك يفعمني وعنبر الهند مشبوب على النار

(ص ١١٦ - البسيط - ابن هرمة)

كأن حُمَّاضَةً في رأسه نبتت من آخر الصيف قد هَمَّت بإزهار

(ص ٢٤٤ - البسيط - الأخطل)

أَتَأَرْتُهُمْ بصري والآلُ يرفعهم ... حتى اسْمَدَرَّ بطرف العين إتآري
(ص ٢٧٠ – البسيط – ...)

سَقَوْنِي النَّسْيءَ ثم تكنَّفوني ... عُداةَ اللّه من كَذِبٍ وزُورِ
(ص ٩٨ – الوافر – عروة بن الورد)

تمتع من شميم عَرَارِ نجدٍ ... فما بعد العشية من عرار
(ص ٢٤٨ – الوافر – الصِّمة القشيري)

غَمَزَ ابنُ مُرَّةَ يا فرزدق كَيْنَها ... غَمْزَ الطبيب نغانغ المعذور
(ص ٣٢ – الكامل – جرير)

كم عمة لك يا جرير وخالة ... فَدْعاءَ قد حلبت عليَّ عِشَاري
(ص ٤٢ – الكامل – الفرزدق)

نُبِّئْتُ أن بني سحيم أدخلوا ... ما بينهم تَامُورَ نَفْسِ المنذر
(ص ٧٥ – الكامل – أوس بن حجر)

سَهِكِينَ من صَدَأِ الحديد كأنهم ... تحت السَّنَوَّرِ جنة البَقَّار
(ص ١٣٤ – الكامل – النابغة)

وكأنما أثر الجديل بأنفها ... أثر النُّوِيِّ بِكُفْرَةِ الظُّفْرِ
(ص ١٣٦ – الكامل – ...)

ولقد رأيت الخيل شُلْنَ عليهمُ ... شَوْلَ المَخَاضِ أَبَتْ على المتغبِّر
(ص ١٧٦ – الكامل – بعض بني تميم)

فتذكرا ثَقَلًا رَثيدًا بعدما ألقت ذُكَاءُ يمينها في كافر

(ص ٢٢٠ - الكامل - ثعلبة بن صعير)

ولقد جنيتكِ أَكْمُؤًا وعساقلا ولقد نهيتكِ عن بنات الأوبر

(ص ٢٤٥ - الكامل - ...)

وكأنها حِزَقُ الجرا د تثور يوم غُبَار

(ص ٢١٩ - الكامل المجزوء - ...)

بعد الجلا ولائح القَتِير

(ص ٢٧ - الرجز - العجاج)

في خُشَشَاوَى حُرَّة التحرير

(ص ٢٤ - الرجز - العجاج)

تمشي كَمَشْيِ الْوَحِلِ المبهور
على خَبَنْدًا قصب مُمْكُورِ

(ص ١٠٣ - الرجز - العجاج)

نكباءُ جاءت من جبال الطُّور
تُزْجِي أَرَاعِيلَ السحاب الخُورِ

(ص ٢٢٧ - الرجز - العجاج)

قد كنت أنذرتك لَقْطَ العُصْفُرُ
بالليل حتى تصبحي وتسفري
إني زعيم لك أن تَزَحَّرِي

عن وارم الجبهة ضخم المِشْفَرِ

(ص ٢٤٤ - الرجز - ...)

تخطو على بَرْدِيَّتَيْ غدير

(ص ٢٤٧ - الرجز - العجاج)

نادِ في صحراءِ نجدِ إن أجابتك الصحارِي

(ص ٢٥٠ - الرمل المجزوء - الفرزدق)

فرماها في فرائضها بإزاء الحوض أو عُقُرِهْ

(ص ٢٣٤ - الرمل - امرؤ القيس)

قد أَحْجَمَ الثَّدْيُ على نحرها في مُشْرِقٍ ذي بهجة ثائر

(ص ١٠٢ - السريع - الأعشى الكبير)

ما جُعِلَ الجُدُّ الظَّنُونُ الذي جُنِّبَ صَوْبَ اللَّجِبِ الماطر

مثل الفُرَاتِيّ إذا ما طما يَقْذِفُ بالبُوصِيِّ والماهر

(ص ٢٣٩، ص ٢٤٠ - السريع - الأعشى)

« الزاي »

دَعْنِي فقد يقرع للأَضَرّ

صكي حَجَاجَيْ رأسه وبَهْزِي

(ص ٢٥ - الرجز - رؤبة)

«السيــــن»

* الساكنة :

إذا حملتُ بِزّتي على عَدَسْ
على التي بين الحمار والفرس
فلا أبالي من غزا ومن جلس

(ص ١٦٦ - الرجز - ...)

والليل كالدأماء مستشعر　　من دونه لونًا كلون السدوس

(ص ١١٤، ص ٢٣٢ - السريع - الأفوه)

والدهر لا يبقي على صَرْفِه　　مغفرة في حالق مَرْمَرِيس

(ص ٢٠١ - السريع - الأفوه)

ولا أخو تَيْهَاءَ ذو أربع　　مثل الحصى يَرْعَى خَلِيسَ الدَّرِيس

(ص ٢٤٧ - السريع - الأفوه)

* المفتوحة :

لَدُسْنَاكُمْ بالخيل من كل جانب　　كما داس طباخ القُدُورِ الكرادسا

(ص ٥٠ - الطويل - عمرو بن معديكرب)

يا صاح هل تعرف رسما مُكْرَسا
قال نعم أعرفه وأَبْلَسَا

(ص ٧٠، ص ١١٨ - الرجز - العجاج)

سبقتَ إلى فَرَطٍ ناهل   تنابلة يحفرون الرِّساسا

(ص ٦٦، ص ٢٣٥ – المتقارب – النابغة الجعدي)

* المضمومة :

ولما أقرته اللُّصَابُ تنفست   شَمَال بأعلى مائة وهو قارس

(ص ٢٢٥، ص٢٥٦ –الطويل – أبو صعيرة البولاني)

أَغَرَّكِ أنني رجل دميمٌ   دُحَيْدِحَةٌ وأنك عَيْطَمُوسُ

(ص ٦٧، ص ١٠٢ – الوافر ...

يا ليت شعري عنك دَخْتَنُوسُ

إذا أتاها الخبر المرموس

أتحلق القرون أم تَمِيسُ

لا بل تميس إنها عروس

(ص ٢٣ – الرجز – لقيط بن زرارة)

* المكسورة :

قد جَرَّبَتْ عَرْكِي في كل مُعْتَرَكٍ   بُزْلُ الجِمال فما بال الضغابيس

(ص ٨١ – البسط – جرير)

ويَزِينُها في النَّحْرِ حَلْيٌ واضح   وقلائد من حُبْلَةٍ وسُلُوسُ

(ص ١٠٩ – الكامل – عبد الله بن مسلم، من بني ثعلبة)

خيلًا كأمثال السعالى شُذَّبًا　　تعدو ببيض في الكريهة شُوسِ

(ص ١٥٣ - الكامل - الأشتر مالك بن الحارث)

اضْرِبْ عنك الهُمومَ طارقَها　　ضَرْبَكَ بالسوط قَوْنَسَ الفرس

(ص ١٥٤ - المنسرح - طرفة)

« الشين »

وأعددتُ للحرب فَضْفاضةً　　دلَاصًا تُنَثّي على الراهش

(ص ٤٣ - المتقارب - عمرو بن معديكرب)

وأَجْرَدَ سَاطٍ كشاة الإرَا　　ن رِيعَ فَعَيَّ على الناجش

(ص ١٩٧ - المتقارب - عمرو بن معديكرب)

« الضاد »

يبيتون في المَشْتَى بطانًا بطونهم　　وجاراتهم غَرْثَى يَبِتْن خمائصا

(ص ٨٨ - الطويل - الأعشى)

يَطْوِي إذا ما الشُّحُ أقفل بابه　　بطنًا عن الزاد الخبيث خميصا

(ص ٨٩ - الكامل - مية بنت ضرار)

« الضاد »

* المفتوحة :

لا يدفنون منهم من فاضا

(ص ٢٦٢ - الرجز - رؤبة)

* المضمومة :

ولو أشرفتْ من كُنَّةِ السِّتْر عاطلًا   لقلت غزالٌ ما عليه خَضَاضُ

(ص ١٠٩ - الطويل - القناني)

وإن لنا حَمْضًا من الموت مُنْقَعًا   وإنك مختلٌّ فهل أنت حامض

(ص ٢٤٥ - الطويل - قوال الطائي)

« الطاء »

* المفتوحة :

إن اصطحبتُ رائبًا عجالِطا

من لبن الضأن فلست ساخطا

(ص ٩٦ - الرجز -...)

* المضمومة :

هذا زمان قد بدت أشراطه

وَرُيِّشَتْ من نَبْله مِرَاطه

لم يبق إلا السيف واختراطه

(ص ١٤٠ - الرجز -...)

لما رأيتُ زجرهم هِقَطُّ
علمت أن فارسًا مُنْحَطُّ
(ص ١٦٥ - الرجز -...)

*** المكسورة :**

ووجهٍ قد جلَوْتِ أُمَيْمَ صافٍ أَسِيلٍ غير جَهْمٍ ذي خَطَاطِ
(ص٦٥ - الوافر - المتنخل بن عويمر)

وما يرقد وَرَدتُّ عليه طامٍ على أرجائه زَجَلُ الغِطاط)
قليل ورده إلا سباعًا تخطى المشي كالنبل المراط
(ص ١٤٠، ص ٢١٠ -الوافر-تأبط شرا)

ذَرِيني منك حَمَّاءُ العِلَاط قَطَاطِي من بتاريخي قِطَاطِ
(ص ٢٠٩ -الوافر-حميد بن ثور الهلالي)

صُبَّت على شاء أبي رياط
ذُؤالة كالأَقْدُح المراط
يدنو إذا قيل له يَعَاطِ
(ص ٢١٤ - الرجز -...)

« الظاء »

* المضمومة :

ناضلني وسهمه مرعوظ

(ص ١٣٩ - الرجز -...)

* المكسورة :

وأَيُّ فَتًى صَبْرٍ على الأَيْنِ والظَّمَا إذا اعتصرت لِلَّوْحِ ماءَ فِظَاظِها

(ص ٢٦٤ - الطويل -...)

* * *

سماعات مؤلّفات الصغاني اللغوية

د . أحمد خان*

السماعات والإجازات على المخطوطات وثائق تسهم كثيرًا في تفسير حقائق مبهمة، وتصحيح أخطاء، في اسم كتاب أو مؤلفه، أو نسبة تلمذة، أو نفي مشيخة.

وقد أسهمت سماعات الصغاني (ت ٦٥٠هـ)، وإجازاته - ومن خلال التتبع الزمني - في تصحيح بعض الأسماء المغلوطة لكتب ألّفها الصغاني. ومن خلالها خلص د. أحمد خان إلى أن الصغاني ارتضى لنفسه في نسبته «الصغاني» دونما ألف - الصاغاني - خلافًا لبعض الذين قاموا بتحقيق بعض مؤلفاته.

* من مركز حماية المخطوطات العربية بإسلام آباد - باكستان.

إن الإجازات التي سجّلها العلماء على المخطوطات، والسماعات المرقومة منهم على الكتب تُعَدّ من الوثائق التاريخية التي تكشف لنا كثيرًا من الغوامض، وتبين لنا كثيرا من الحقائق. وتعد هذه الوثائق مهمة في تتبع حركة العلم، ومعرفة تراجم العلماء، وطرق التدريس والكتب التي سادت في مدارسنا الإسلامية، وعند العلماء البارزين في القرون الغابرة.

وهي من ناحية أخرى تعيننا على معرفة شخصية المسمع عليه، كما تشير إلى مكانته العلمية والاجتماعية في عصره. وفضلاً عن ذلك فإن هذه السماعات تمدّنا بمعلومات تعيننا في تحقيق عناوين الكتب المقروءة على العلماء، وفي نفس الوقت تحدد لنا مواضع ورود القارئ والمسمع علمه بمكان واحد وفي وقت واحد. فضلًا عن أمور أخرى تتعلق بالعلماء وطلبة العلم.

- ١ -

وقد اخترنا بضع سماعات تتعلّق بالحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (ت ٦٥٠هـ)، اللغوي الشهير [(١)]، وهي سماعات مهمة جدًّا من نواحٍ عديدة، فهي - مثلًا - تعيننا في تحديد أسماء كتبه، وخاصة التي فقدت عناوينُها أو فقدت أوراقها الأولى، من ناحية، ومن ناحية أخرى تلقي ضوءًا على حياته الأخيرة التي كانت مزدحمة، وعلى أعماله التأليفية.

---

(١) انظر لترجمته: مقدمة كتاب الانفعال، له، ورسالة الدكتوراه لأحمد خان: حول لغوية الصغاني، التي قدمها إلى جامعة بنجاب بلاهور (باكستان). ومن خلال هذه السماعات نستطيع أن نعرف بعض تلاميذ الدمياطي كذلك.

ونضع أمامكم مثلًا فائدة من فوائد هذه السماعات ، فإن كتاب « فَعَالِ » للصغاني ، توجد منه نسخة تعد الأمّ ، كتبها شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي (ت ٧٠٥هـ) ، المحدِّث الشهير وتلميذ الصغاني الأخير[١] ، وهذه النسخة توجد الآن في مكتبة « شهيد علي باشا » بتركيا ، ولسوء الحظ فُقدت ورقتها الأولى ، وعليها عنوان الكتاب وشيء من مقدمته . والنسخة التي كانت أمام د. عزة حسن التي نشر عليها الكتاب في مجمع اللغة العربية بدمشق ، منسوخة من هذه النسخة الدمياطية وفيها الخلل نفسه ، لهذا لم يهتد د. عزة حسن إلى عنوان الكتاب الصحيح ، فاختار له عنوانا من بين العناوين الواردة ضمن ترجمة الصغاني في مؤلفات التراجم ، عنوانًا عجيبًا وغريبًا على العلماء ، وخاصة على محبي تراث الصغاني ، وقد أشرت إلى هذا الخطأ في نقد كتبته في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق قبل ٢٥ سنة[٢] . والأمر الذي يهمنا هنا أنه لو لم يسجل الدمياطي المذكور أعلاه عنوان الكتاب هذا في سماعٍ مسجَّل على الكتاب لظلّ عنوان الكتاب غلطا أبد الدهر .

— ٢ —

ونميط اللثام عن وجه غامض آخر يتعلق بالصغاني ، بالاستعانة بهذه السماعات التي وجدناها مسجلة على كتبه المسموعة عليه من الدمياطي المشار إليه آنفا . ونكشف هذا الغموض لأوّل مرة منذ أن ترجم له أول مترجم في القرن السادس الهجري ، وظلّ هذا الأمر غامضا حتى شاء اللَّه أن يلقي شكًّا في قلبي

(١) ولترجمته انظر : الأعلام (طبعة خامسة) ، للزركلي : ٤/٣١٨.

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، عددها الرابع من مجلدها السادس والأربعين (أكتوبر ١٩٧١م) .

حول هذا ، إذ قيّض اللّٰه لي جمع الكتب التالية للصغاني بمكان واحد .

- ٣ -

من المعلوم أن الدمياطي قد انتسخ بيده مجموعة من مؤلفات الصغاني ، وقرأها في الوقت نفسه عليه ، وظلت هذه المجموعة من الكتب لدى الدمياطي ، ولكنها بعد وفاته انفصلت - لا نعرف متى - وصارت مجموعتين ، مكثتا دهرًا عند العلماء ومحبي التراث . وفي النهاية وصلت واحدة منهما إلى مكتبة « شهيد على باشا » بتركيا ، وانتهت الأخرى إلى مكتبة بودليانة (BODLIAN) بإنجلترا .

وهاتان المجموعتان تشتملان على مؤلفات الصغاني الآتية :

أ - المجموعة الأولى التي توجد نسختها بمكتبة « شهيد علي باشا » :

- كتاب يَفعُول .
- كتاب الأضدَاد .
- كتاب (الشَّوَارد من اللُّغَات) .
- كتاب نَقْعَة الصَّدْيَان (الورقة الأولى فقط) .
- كتاب (فَعَلَان) دون ورقته الأولى .
- كتاب الانفِعَال .
- كتاب (فَعَالِ) دون ورقته الأولى .

ب - المجموعة الثانية التي توجد نسختها بمكتبة بودليانة :

- كتابٌ فيه شرح السّمْطِيّة الصغانية .

- قصِيدةٌ في شَكْوَى الدَّهر .
- خمسُ أبياتٍ ، للصغاني .
- كتاب تَرَاكِيب لُغاتِ العرب .
- عَدَدُ آي القرآن ، للصغاني .
- ١١ بيتًا ، للصَّغَاني .
- المُقتَرِنَات ، للصغاني .
- كتب ورسائل أخرى ليست للصغاني .

وقد وجدنا بعض السماعات المهمة على الكتب التالية ، ورتبناها لغرض خاص زمنيًّا ، على وفق قراءة الدمياطي على مؤلفها في فترة ممتدَّة من شهر محرم إلى شهر شعبان سنة ٦٥٠هـ .

- كتاب (فَعَلان) : قرأهُ الدمياطي على مؤلفه في ٢٣ محرم .
- قصيدة شكوى الدهر : قرأها الدمياطي على ناظمها في أواخر محرم .
- كتاب (يفعول) : قرأه الدمياطي على مؤلفه في مستهل جمادى الآخرة .
- كتاب نَقْعَة الصَّدْيَان : قرأه الدمياطي على مؤلفه في ٧ جمادى الآخرة .
- كتاب (فَعَالِ) : قرأه الدمياطي على مؤلفه في ١٥ جمادى الآخرة .
- كتاب (الانفِعَال) : قرأه الدمياطي على مؤلفه في ٥ رجب .
- كتاب تراكيب لُغَاتِ العَرَب : قرأه الدمياطي على مؤلفه في ١١ رجب .
- كتاب (الأَضْدَاد) : قرأه الدمياطي على مؤلفه في ١٣ رجب .

– كتاب فيه شرحُ السِّمْطِيَّة الصَّغَانِيّة (وهو شرح القلادة السمطية) : قرأه الدمياطي على مؤلفه في ١٧ شعبان .

ويظهر من مواظبة الدمياطي على قراءة الكتب اللغوية على الصغاني أنه لازمه في هذه الفترة من مكوثه ببغداد واستفاد منه استفادة طيبة .

وقد وردت أسماء بعض تلاميذ الصغاني في السماعات (موضوع هذا البحث) ، وهذه قائمة بهم :

– إبراهيم بن يحيى بن أبي حفاظ المكناسي ، برهان الدين – (لوحة ١٠) .

– أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن القسطلّاني المكي الفقيه ، قطب الدين – (لوحة ١، ٢) .

– أحمد بن أبي القاسم بن عبد اللّٰه الأواني ، معين الدين أبو العبّاس – (لوحة ٥) .

– سعد بن أحمد بن أحمد بن عبد اللّٰه الحذامي الأندلسي البياني النحوي ، سعد الدين أبو عثمان – (لوحة ٥، ٨، ١٠) .

– سليمان بن يوسُف بن محمد بن أبي حيّان المليانى ، رضي الدين (لوحة ١٠) .

– عبد اللّٰه بن محمد بن أبي بكر الغسّاني الأندلسي المالكي (لوحة ١٠) .

– عبد المؤمن بن خلف الدمياطي التوني – (لوحة ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٧، ٨، ٩) .

– علي بن يحيى بن علي النميري الغرناطي ، محيي الدين أبو الحسن

(لوحة ١٠).

- محمد (ولد الصغاني) ، ضياء الدين أبو البركات - (لوحة ٦، ٧) .

- محمد بن أحمد بن محمد البكري الشريشي ، جمال الدين أبو بكر (لوحة ١٠).

- محمد بن عبد الرحمن المكي - (لوحة ١) .

- محمد بن الفقيه أبي عبد اللّٰه الحسين بن أبي الحسن علي بن منصور بن فرقد ، شمس الدين أبو جعفر - (لوحة ٥) .

- محمد بن عبد المنعم بن عبد اللّٰه بن أحمد الكتّاني القاهري ، جمال الدين أبو عبد اللّٰه - (لوحة ١، ٢) .

- محمد بن محمد بن بدر السبتي المالكي ، شهاب الدين أبو عبد اللّٰه - (لوحة ١٠).

- محمد بن ميمون بن علي الكومي ، شمس الدين أبو عبد اللّٰه - (لوحة ١٠).

- محمد القاسم بن أحمد بن محمد بن أبي العباس الخولاني الأندلسي الإشبيلي ، بدر الدين أبو عبد اللّٰه - (لوحة ٦) .

وقبل أن نخوض في الأمور التي تكشَّفت لنا ، لا بدّ لنا أن نضع أمام القارئ هذه السماعات ليكون على بيّنة ويرى بأم عينه ما نريد أن نوضّحه من غموض ، وما انكشف لنا من هذه السماعات من أمور أخرى .

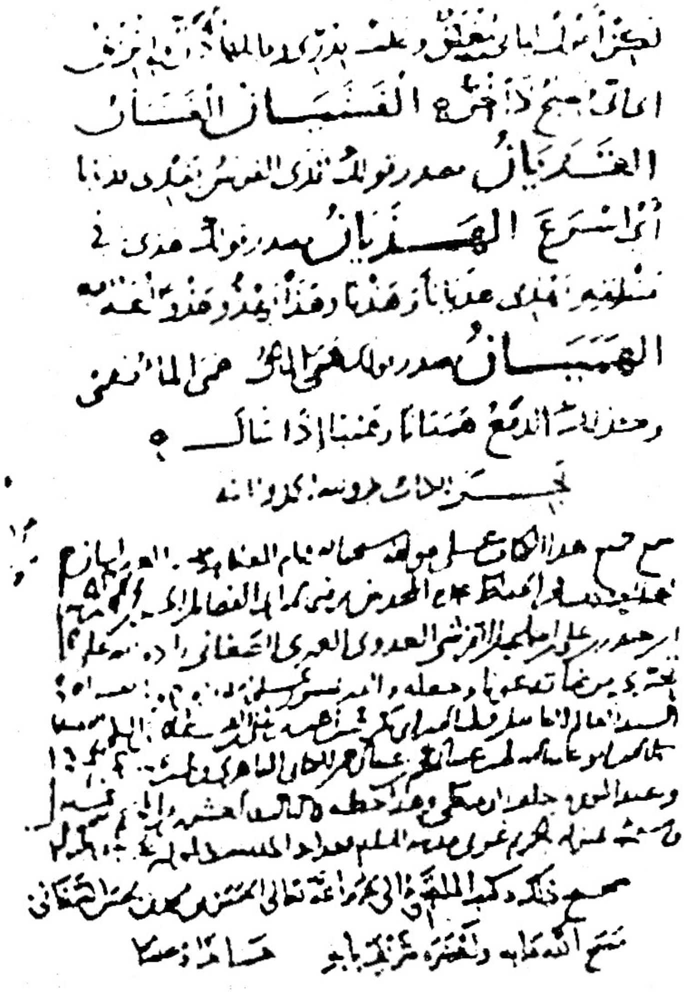

[لوحة رقم ٦ . وهما سَماعتا كِتابِ الانْفِعَال]

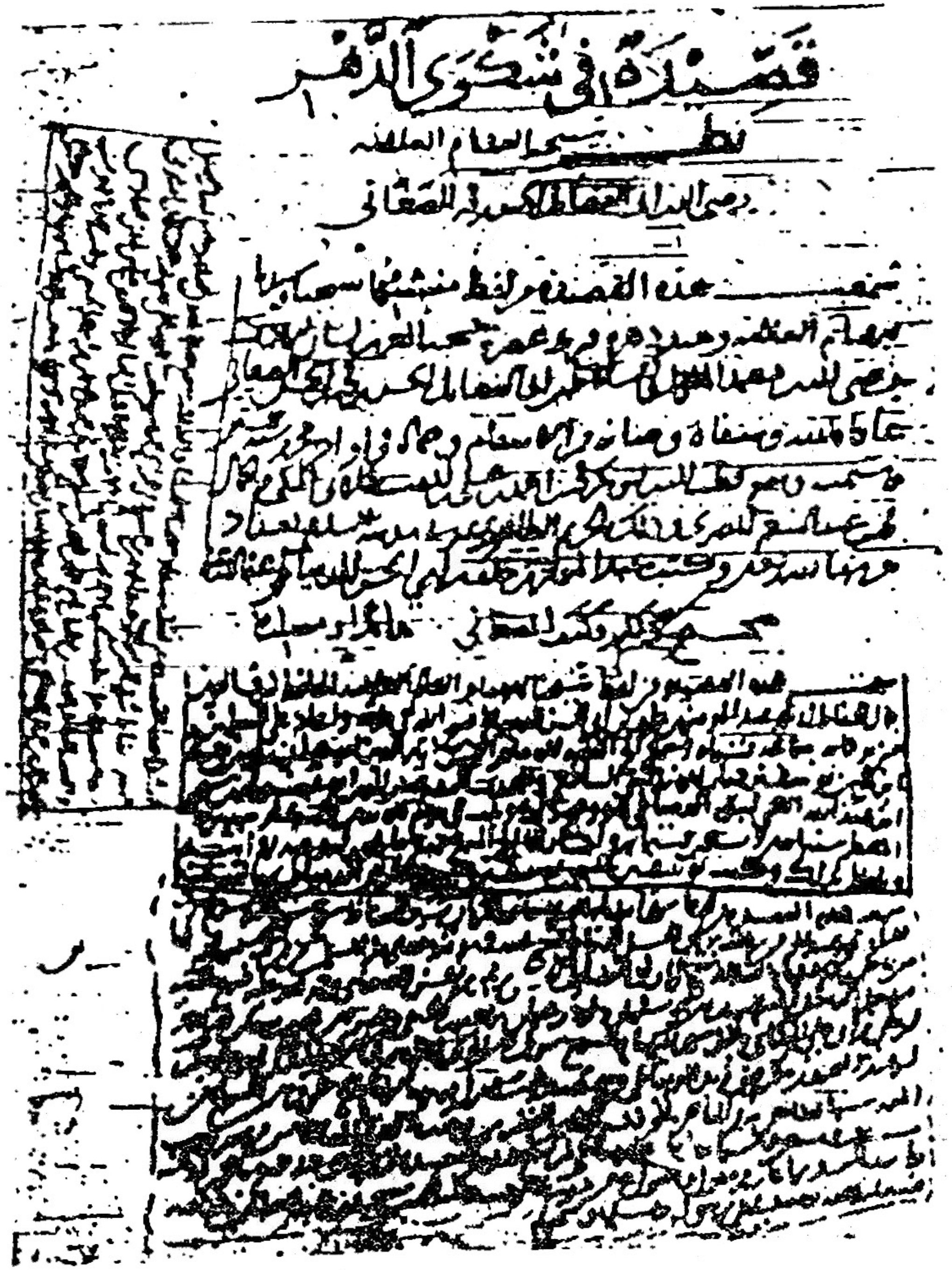

[لوحة رقم ٢ . وهي سَماعاتُ قصيدة في شَكْوى الدَّهْر]

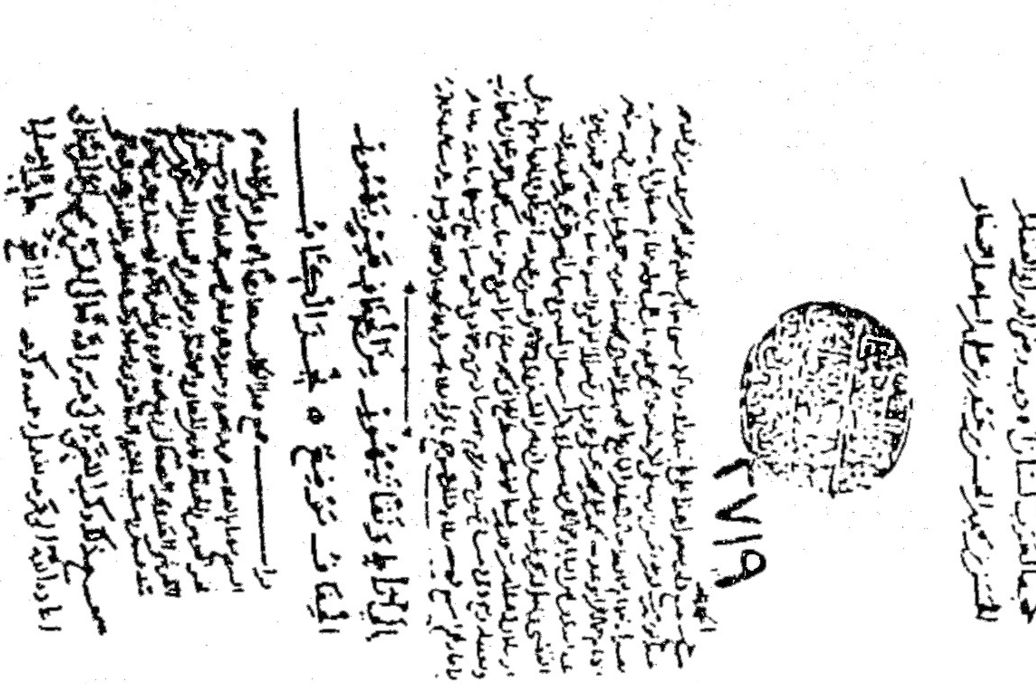

[لوحة رقم ٣ . وهما سماعا كتاب مفعول]

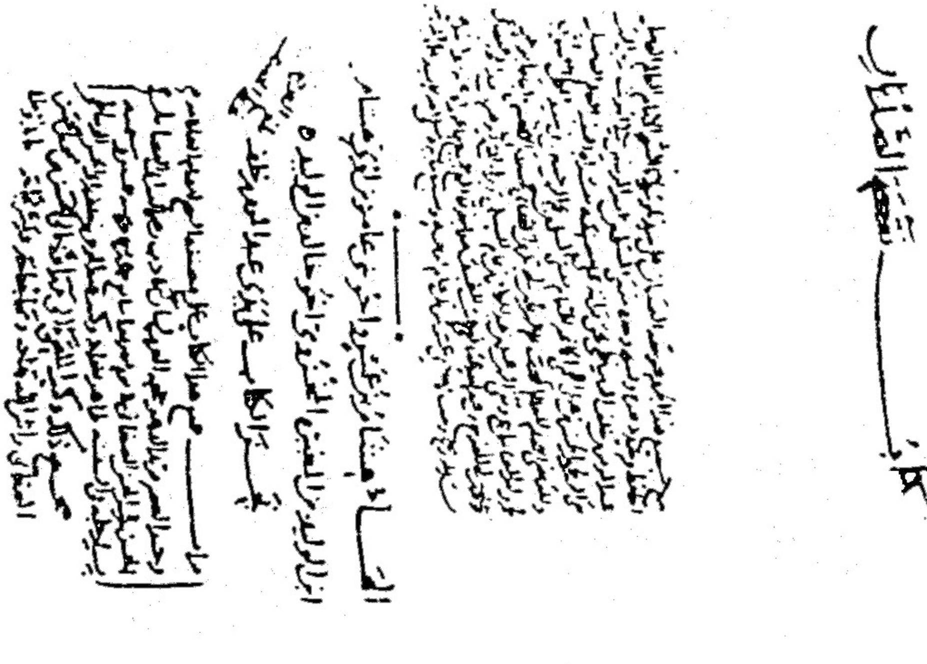

[لوحة رقم ٤ . وهما سماعا كتاب نقعة الصديان]

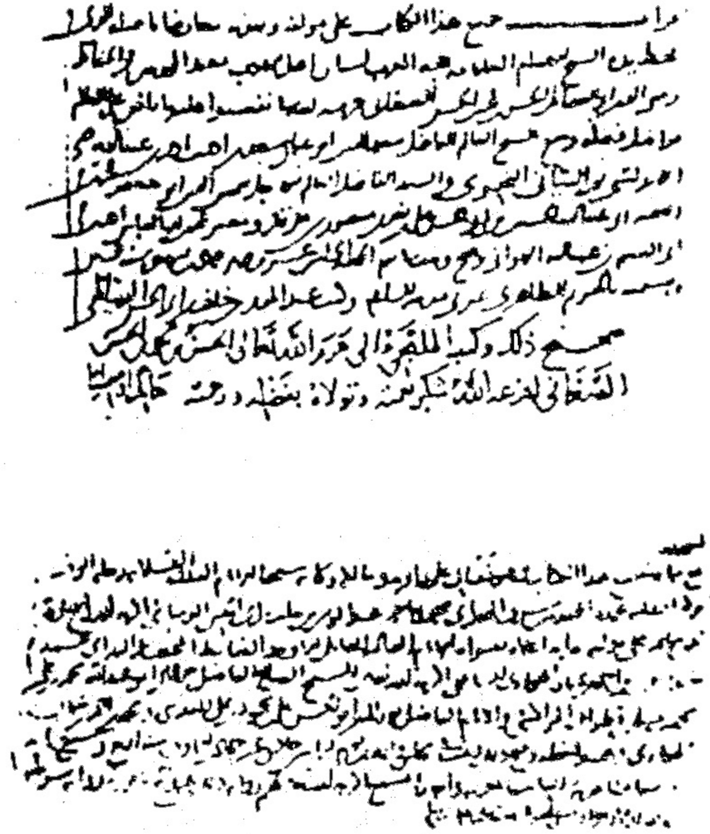

[لوحة رقم ٥ . وهما سماعتا كتاب فعال]

كتاب الانفعال

[لوحة رقم ١ . وهي سماعة كتاب فعلان]

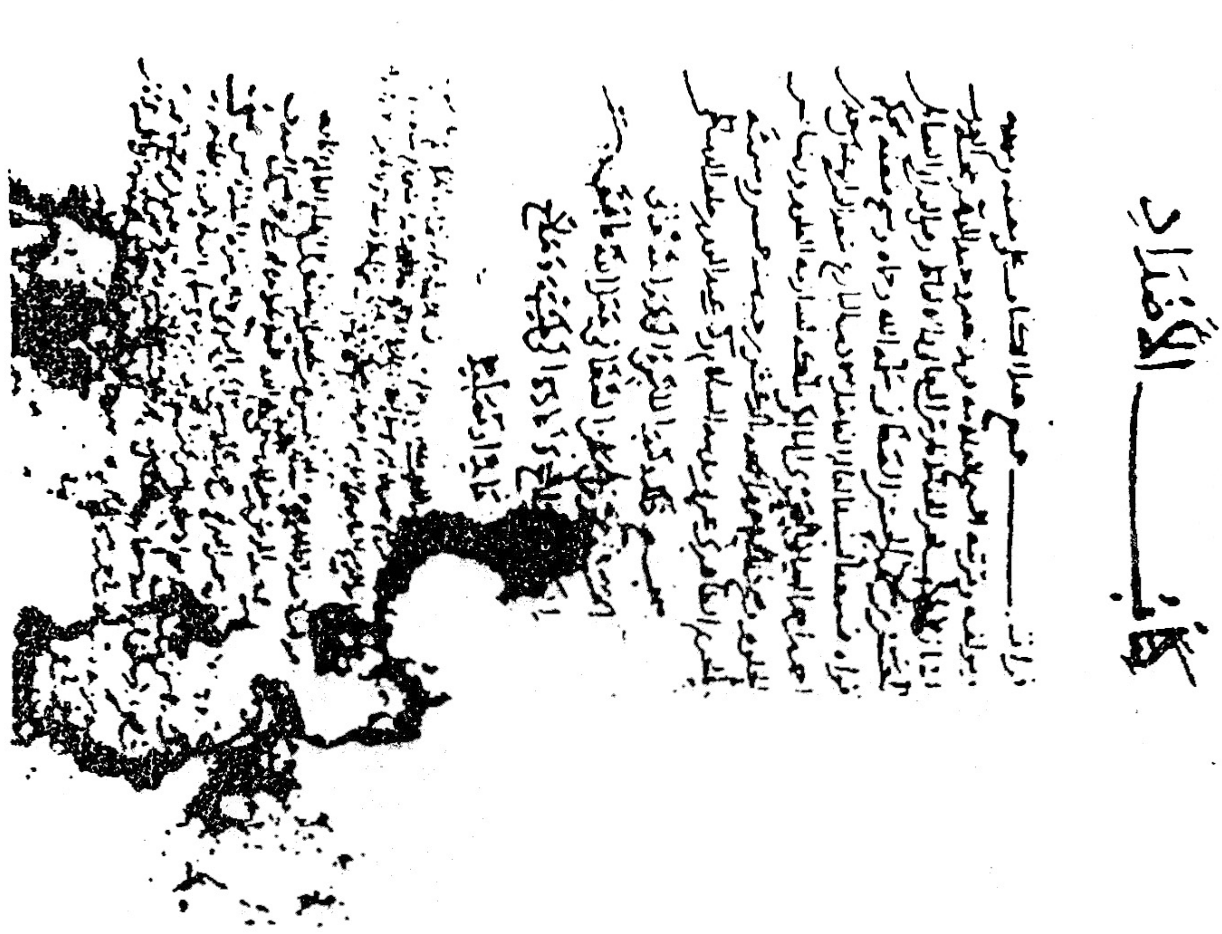

[لوحة رقم ٨ . وهي سماعات كتاب الأضداد]

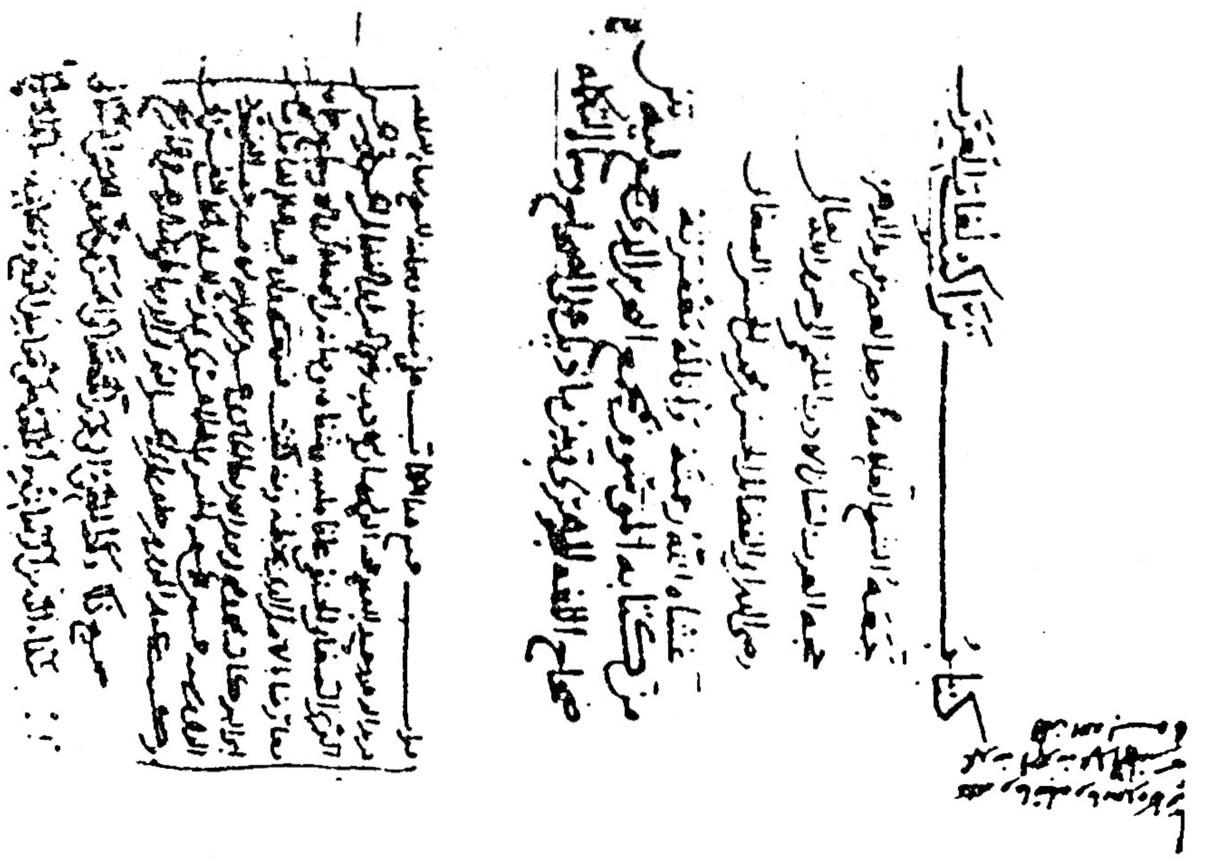

[لوحة رقم ٧ . وهي سماعة كتاب تراكيب لغات العرب]

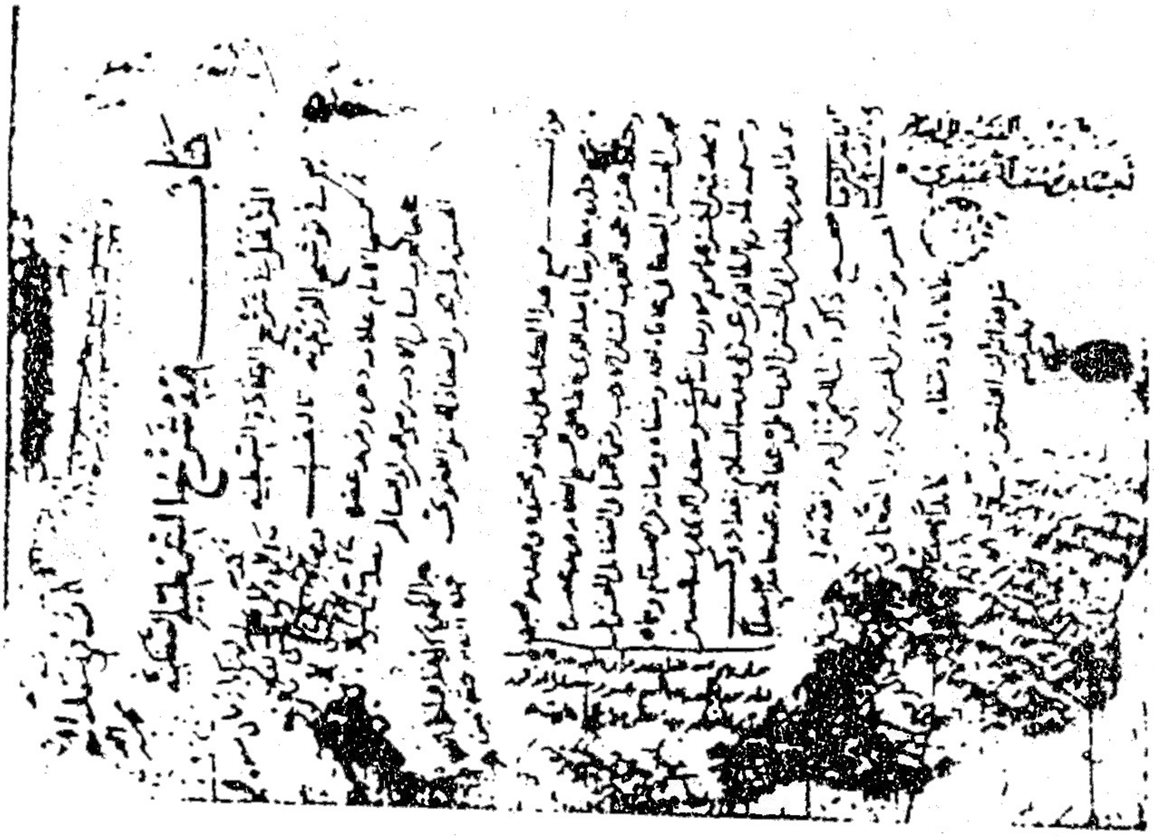

[لوحة رقم ٩ . وهي سماعة شرح القلادة السمطية]

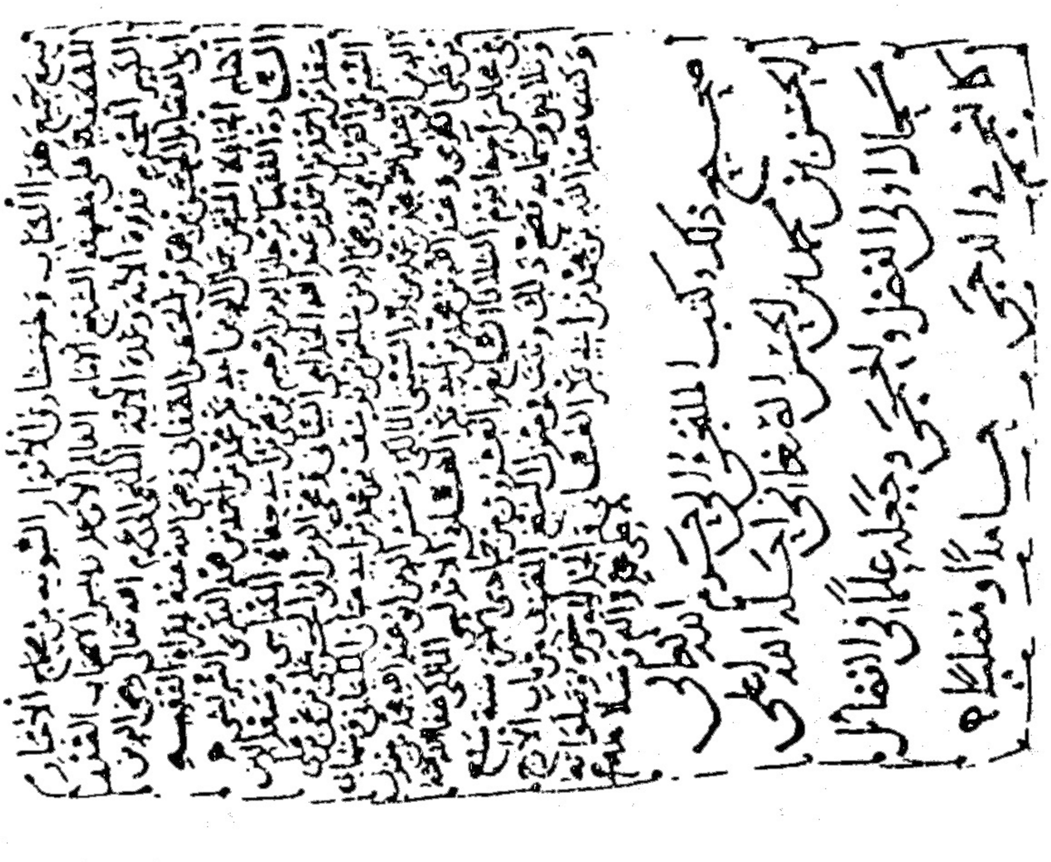

[لوحة رقم ١٠ . وهي سماعة كتاب مشارق الأنوار النبوية]

[١]

– كتاب « فعلان » – الورقة الأخيرة منه – نسخة « شهيد علي باشا » .

سمع جميع هذا الكتاب [هو كتابُ فَعَلَان] على مؤلفه شيخنا الإمام العلّامة حجة العرب ، لسان أهل الأدب ، فخر الحُفّاظ ، عُمْدَة المحدِّثين ، رضي الدين أبي الفضائل الحَسَن بن مُحَمَّد بن الحَسَن بن حَيْدَر بن علي بن إسماعيل القرشِيّ العَدَوِيّ العُمَرِيّ الصَّغَانِيّ ، زادَه اللّهُ على تحرّي مرضاته عونًا ، وجعله من الذين يمشون على الأرض هونًا ، بقراءة السيد العالم الفاضل قطب الدين أبي بكر بن أحمد بن علي بن القسطلّانيّ المكي الفقيه ، جمال الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبد المنعم بن عبد اللّه بن أحمد الكَتّاني القَاهِرِي ، ومحمد بن عبد الرحمن المكي ، وعبد المؤمن بن خلف الدمياطي ، وهذا خطه ، في الثالث والعشرين من المحرَّم سنة خمسين وستمائة بمنزله بالحريم الطاهري ، غربي مدينة السلام بغداد .

– صحيح ذلك ، وكتب الملتجئ إلى حرم اللّه تعالى ، الحَسَنُ بن محمد بن الحسن الصَّغَانِيّ ، مسح اللّه ما به ، وأحضره شريك بابه ، حامدًا ومصلّيًا .

[٢]

– قَصِيدَةٌ في شَكْوَى الدَّهْرِ ، نظمُ شَيْخِنا الإمام العلّامة رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد الصَّغَانِيّ .

– سمعتُ هذه القصيدة من لفظ مُنْشِئها شيخنا وسيدنا الإمام العلّامة وحيد دهره ، فريد عصره ، حجة العرب ، لسان الأدب ، رضي الدين ، معتمد الملوك والسلاطين ، أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني عافاه اللّه

وشفاه وصانه من الأسقام وحماه، في أواخر المحرّم سنة خمسين وستمائة، وسمع قُطْبُ الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن القسطلاني المكي، والجمالُ محمد بن عبد المنعم المصري، وذلك بالحريم الطاهري غربي مدينة السلام بغداد، حرسها الله.

- وكتب عبدُ المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي، عفا الله عنه.

- صحيح ذلك، وكتب الصغانيُّ، حامدًا ومصلّيًا.

[٣]

- كتابُ (يَفْعُول)، تأليف الشيخ علاّمة الوقت، فريد العصر، حجة العرب، لسان الأدب، رضي الدين أبي الفضائل الحَسَن بن محمد بن الحسن ابن حيدر بن علي بن إسماعيل الصَّغَانيّ.

- قرأتُ جميع هذا الكتاب معارضا بالأصل على مؤلفه الشيخ الإمام العلاّمة، فريد عصره، وحيد دهره، لسان العرب، حجة أهل الأدب، فخر المُحدّثين والحفّاظ، فارس المعاني والألفاظ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن القرشي العدوي الصَّغَانيّ، رفع الله قدرَه ونشر ذكره، في مستهل جمادى الآخِرة سنة خمسين وسِتمائة بالحريم الطاهري من بغداد.

- وكتب عبدُ المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي.

- صحيح ذلك، وكتب الملتجئ إلى حرم الله تعالى، الحَسَنُ بنُ محمد بن الحسن الصَّغَانيُّ، أعاده اللهُ إلى حرمه بفضل رحمته وكرمه، في التاريخ، حامدًا ومصلّيًا.

[٤]

- نَقْعَةُ الصَّدْيَان ، تأليف الشيخ الإمام العلّامة ، وحيد العصر ، فريد الدهر ، حجة العرب ، لسان أهل الأدب ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد ابن الحسن الصغاني .

- قرأتُ جميع هذا الكتاب على مصنِّفه الشيخ الإمام العلّامة ، وحيد العصر ، فريد الدهر ، حجة العرب ، لسان أهل الأدب ، رضي الدين أبي الفضائل ، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، في يوم الأربعَاء سابع جمادى الآخِرة سنة خمسين وستمائة ، بدجلة في السفينة ، ظاهر بغداد .

- وكتب عبدُ المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي .

- صحيح ذلك ، وكتب الملتجئ إلى حرم اللّه تعالى ، الحَسَنُ بنُ محمد بن الحسن الصغاني ، رَاشَ اللّهُ جَنَاحَه ومحا جُنَاحه ويسّر نجاحه ، حامدًا ومصلّيًا .

[٥]

- كتاب (فعال) : الورقة الأخيرة منه ، نسخة غير كاملة محفوظة بشهيد علي باشا .

- قرأتُ جميع هذا الكتاب [وهو فَعَالِ] على مؤلّفه ومهذّبه ، معارضًا بأصله الذي بخط يده الشيخ الإمام العلامة حجة العرب ، لسان أهل الأدب ، معتمد المحدّثين ، فخر الحفّاظ ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني حرسه اللّه في نفسه وأهله وأفَاضَ على العالَم فواضل فضله . وسمع الشيخُ العالِمُ الفاضِلُ سعدُ الدين أبو عثمان سعد بن أحمد بن

عبد اللّٰه الأندلسي ثم البيّاني النحوي ، والسيد الفاضل العالم الأجل شمْسُ الدِّين أبو جعفر محمد بن الفقيه أبي عبد اللّٰه الحسين بن أبي الحسن علي بن نصر بن منصور بن فرقد ؛ ومعين الدين أبو العباس أحمد بن أبي القاسم بن عبد اللّٰه الأوَاني . وصَحَّ وثبت في يوم الجمعة الخامس عشر من شهر جمادى الآخرة سنة خمسين وستمائة بالحريم الطاهري غربي مدينة السلام .

- وكتب عبدُ المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي .

- صحيح ذلك ، وكتب الملتجئ إلى حرم اللّٰه تعالى ، الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغَانِيّ أوْزَعه اللّٰه شكر نعمته وتولّاه بفضله ورحمته ، حامدًا ومصلّيًا .

[٦]

- كتاب الانفِعَال ، تأليف الشيخ السيد الإمام العلّامة حجة العرب ، لسان الأدب ، الورع العابد ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، أعاده اللّٰهُ إلى حرمه وأَمْنه ، وأعاد عليه من بركته ومنّه .

- قرأت جميع هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا العلّامة فريد الدهر ، وحيد العصر لسان الأدب ، حجة العرب ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد ابن الحسن الصَّغَانِيّ ، أبْدَلَه اللّٰهُ من السقام بالشفاء ومن الداء بالإبراء آمين ، فسَمِعَ الفقيه الصالح الجليل بدر الدين أبو عبد اللّٰه محمد القاسم بن أحمد بن محمد بن أبي العباس الخَوْلَانِيّ الأندلسيّ الإشْبِيلِيّ في مجلس واحد . وسمع السيد الجليل العالم ضياء الدين أبو البركات مُحَمّد ولدُ شيخنا الإمام العلّامة المُسْمِع المؤلف ، أكثره ، وَفَاتَه قليلٌ من أوّله . وصحّ في يوم الخميس الخامس من رجب سنة خمسين وستمائة بالحريم الطاهري ، غربي بغداد .

– وكتب عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي عفا اللّٰه عنه .

– صحيح ذلك ، وكتب الملتجئ إلى حرم اللّٰه تعالى ، الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغَانيّ ، أعاده اللّٰه إلى منى وعرفات وبدّل سيئاته حسنات ، حامدًا ومصلّيًا .

[٧]

– كتابُ (تَرَاكِيبِ لُغَاتِ العَرَب) ، جمعه الشيخ العلّامة ، وحيد العصر ، فريد الدهر ، حجة العرب ، لسان الأدب ، الملتجئ إلى حرم اللّٰه تعالى ، رضي الدين أبي الفضائل ، الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغَانيّ .

قرأتُ جميعَ هذا الكتاب على مصنّفه ومؤلفه الشيخ الإمام العلّامة فريد الدهر وحيد العصر ، حجة العرب لسان الأدب ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن العُمَرِيّ الصغاني الحنفي ، عافاه اللّٰه وشفاه وصانه من الأعلال والأوجاع وحماه ، معارضًا بالأصل الذي بخطه ، ومنه كتبتُ ، فسمعه ولده السيد العالم الفاضل أبو البركات محمد ، وصَحَّ في يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر اللّٰه الأصب رجب الفرد الذي من سنة خمسين وستمائة بالحريم الطاهري ، بمدينة السلام بالجانب الغربي .

– وكتب عبدُ المؤمن بن خلف بن أبي الحسن التُّونيّ الدمياطي ، عفا اللّٰه عنه ، في التاريخ .

– صحيح ذلك ، وكتب الملتجئ إلى حرم اللّٰه تعالى ، الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغَانيّ ، شفاه اللّٰه من ألم يُعَانِيه ، وأطلعه على غوامض الورع ومعانيه حامدًا ومصلّيًا .

[٨]

- كتابُ (الأضْدَادِ)، تأليف الشيخ العلّامة وحيد العصر، فريد الدهر، حجة العرب، لسان الأدب، الملتجئ إلى حرم الله تعالى، الحَسَنُ بن محمد بن الحسن الصغاني الحنفي اللغوي، أعاده الله إلى أشرف البقاع وأقبره منه أربع أذرع في ذراع.

- قرأتُ جميع هذا الكتاب على مصنِّفه ومهذّبه ومؤلفه ومرتّبه، الشيخ العلّامة فريد العصر، وحيد الدهر، حجة العرب، لسان الأدب، فخر الحفّاظ، فارس المعاني والألفاظ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، سلّمه الله وحماه، ونسخ ضعفه بمحكم قواه، فسمعه السيد العالم الفاضل الأديب البارع سعدُ الدين أبو عثمان سعد بن أحمد بن أحمد البيّاني النحوي المالكي، مَلَّكه الله أزِمَّة العلوم، وزَيَّنه بأحسن الحُلُوم. وصَحَّ ذلك في يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة خمسين وستمائة بالحريم الطاهري غربي مدينة السلام.

- وكتب عبد المؤمن بن خلف الدمياطي.

- صحيح ذلك، وكتب الملتجئ إلى حرم الله تعالى، الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغَانيّ، جعل اللهُ عاقبته إلى صحة وصَلَاح، وأعاده إلى طَيْبَة وصَلَاحِ (١)، حامدًا ومصليًا.

---

(١) صلاح: اسمُ عَلَمٍ لمكَّةَ المكرمة. النهاية لابن الأثير ٣/ ٤٦.

[٩]

– كتاب فيه شَرْحُ السِّمْطِيَّة الصَّغانِيَّة ، المُرْتَجَل في شَرْحِ القِلَادَةِ السِّمْطِيَّة في تَوْشِيحِ الدُّرَيْدِيَّةِ ، تأليف الشيخ الإمام علّامة دَهْرِه ، وفريد عصره ، حجة العرب ، لسان الأدب ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الصغاني الحنفي اللغوي .

– قرأتُ جميعَ هذا الكتاب على مؤلفه ومحرّره ومهذّبه ومحبّره وراصع درره ، معارضًا بأصله الذي بخطه ، على الشيخ العلّامة فريد عصره وحيد دهره ، حجة العرب ، لسان الأدب ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد ابن الحسن الصغاني ، عافاه اللّه وشفاه ، وصانه من الأسقام وحماه ، في مجلسين : آخرهما يوم الأربعاء سابع عشر شعبان الذي من سنة خمسين وستمائة ، بالحريم الطاهري غربيّ مدينة السلام بغداد .

– وكتب عبدُ المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي ، عفا اللّه عنه ، حامدًا مصلّيًا .

– صحيح ذلك ، وكتب الملتجئ إلى حرم اللّه تعالى الحَسَنُ بن محمد بن الحسن بن الحيدر الصغاني ، عافاه اللّه وشفاه ، حامدًا مصلّيًا .

[وبإزاء هذا السماع كتب الدمياطي]

تُوُفِّيَ رضِي اللّهُ عَنْهُ بَعْدَ قِرَاءتي عَلَيْه هَذَا الكِتَابَ لَيْلَةَ يَوْمِ الجُمُعَة التاسع عشر من شعبان المذكور بالحريم المذكور ، وأنا آخر من قرأ عليه .

* * *

وهناك سماعان على الصغاني لتأليفين غير لغويين: أحدهما للصغاني، والآخر للخَطَّابِي، وأعتقد أن إيرادهما هنا لا يخلو من فائدة لأنهما يدُلان كذلك على تلاميذه الذين استفادوا منه.

[١٠]

- سمع جميع هذا الكتاب، وهو (مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية)، على مصنِّفه الشيخ الإمام العالم الأوحد، رئيس الأصحاب الصدر الكبير المحترم قدوة الأمة وعمدة الأئمة، الملتجئ إلى حرم الله تعالى، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني رضى اللَّه عنه، بقراءة الفقيه الإمام الحافظ المتقن جمال الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد البكري الشريشي السادة الفقهاء: برهان الدين إبراهيم بن يحيى بن أبي حفاظ المكناسي، [٣] وسعد الدين سعد بن أحمد بن أحمد بن عبد اللَّه الحذامي البياني، [٤] محيي الدين أبو الحسن علي بن يحيى بن علي النميري الغرناطي، [٥] ورضي الدين سليمان بن يوسف بن محمد بن أبي حيان الملياني، [٦] وشهاب الدين أبو عبد اللَّه محمد بن محمد بن بدر السبتي المالكي، [٧] وشمس الدين أبو عبد اللَّه محمد بن ميمون بن علي الكومي، [٨] وعبد اللَّه بن محمد بن أبي بكر الغساني الأندلسي المالكي، عفا اللَّه عنه.

في مجالس آخرها يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وستمائة، فصَحَّ ذلك وثبت في منزل الشيخ المصنِّف من باب الأَزَج.

- وكتب عبدُ اللَّه بن محمد بن أبي بكر الغساني. والحمد للَّه وحده، وصلواته على محمد وآله وسلامه.

- صحيح ذلك ، وكتب الملتجئ إلى حرم اللّٰه تعالى ، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، أحَلَّه اللّٰه أعلى محالِّ أولى الفضل والحجى ، وجعله علمًا في الفضائل كالنجم في الدجى ، حامدًا ومصلّيًا[(١)] .

[١٠]

[وهذا سماع كتاب مَعَالم السُّنن للخطابي]

... ووافق الفراغ منها عشية الخميس العشرين من صفر سنة عشر وستمائة بمسجد الشيخ ياسر بن بلال المحمدي بمدينة عدن ، عَمَّرها اللّٰه بالصالحين ، وصلى اللّٰه على سيدنا محمد وآله وسلم .

هذا صحيح ، وكتب الحسن بن محمد بن الحسن الصغَانيّ ، أمَدَّه اللّٰه بنصره وجعله أوحد عصره ، في التاريخ المذكور . والحمد للّٰه على نعمائه ، والصلاة على جميع أنبيائه[(٢)] .

وأما الغموض الذي انكشف لي ، وسوف ينكشف لكم بعد تتبع هذه السماعات فليس أمرا عاديا بل هو مهمٌّ جدًّا بالنسبة للصغاني ، وذلك أن مترجمي الصغاني نسبوا إليه أمرا ليس له صلة به ، ولا يُعْتَقَد أن يحدث من عالم مثله ، فقالوا : « كان عنده مولود قد حكم فيه بموته ، وأنه قد مات في ذلك الوقت المُحَدَّد بدون علّة ، ولم يمرض قبل وفاته قَطُّ » . وهذه القصة كانت ومازالت سائدة عند مترجميه منذ قرون .

---

(١) فهرس المخطوطات العربية بمكتبة تشستربيتي : مجلده الثاني ، اللوحة : ٥١.

(٢) الأعلام (ط خامسة) ، للزركلي : مجلده الثاني ، اللوحة : ٣٦١.

وقد حَلَّلنا هذه الواقعة، إن كانت قد حدثت، في ضوء هذه السماعات ووصلنا بعد الدراسة إلى حقيقةتُخالف ما استقرَّ عند مترجميه.

هل توفي الصغانيُّ فجاةً بدون علّة؟

من المعلوم أن الحسن بن محمد بن الحسن الصغانيّ قد توفي ببغداد ليلة الجمعة التاسعة عشرة من شعبان لسنة خمسين وستمائة للهجرة[(١)] . وبعض مترجميه، وأكثرهم من المتأخرين، يجمعون على أنه قد مات فجأة، وسردوا في هذا الشأن خبرًا عجيبًا، وذلك نقلاً عن شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي (ت ٧٠٥هـ) الذي تتلمّذ على الصغاني وقرأ كتبه عليه قبيل وفاته، فقالوا[(٢)] :

«قال الدمياطي: وكان معه (أي مع الصغاني) مَولُود، وقد حكم فيه بموته في وقت، وكان يترقّب ذلك الوقت، فحضر ذلك اليوم وهو معافًى، قائم ليس به علّة. فعمل لأصحابه وتلاميذه طعاما شكرًا للّه، وفارقناه، وعَدَّيْتُ الشطّ، فلقيني مَن أخبرني بموته، فقلت له: الساعةَ فارقتُه، فقال: والساعةَ وقع به

(١) يذكر بعض العلماء أنه مات في شهر رمضان من السنة نفسها، كما قالوا: إنه مات في ٢٦ شعبان من السنة المذكورة نفسها. انظر: معجم المؤلفين ٣/ ٢٧٩. وقد اعتمد كحالة على الحوادث الجامعة، وعلى كشف الظنون، وانظر كذلك: مجمع الآداب (اللام والميم): ٧٥٦، وفيه التأريخ الصحيح.

(٢) أرى اضطرابا فيمن أوردوا هذه القصة عن الدمياطي. قال ابن شاكر الكتبي (توفي ٧٦١هـ): قال لي تقي الدين السبكي (المتوفى ٧٥٦هـ): حكى لي شرف الدين الدمياطي. وجاء جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) في بغية الوعاة (ص ٢٣٧) بالقصة بكلماتها، مباشرة عن الدمياطي.

الحُمَام فجأةً ».

وأثناء دراستي للمؤلفات اللغوية للصغاني كنت أتصفَّح مخطوطات الكتب والرسائل له ، وخلال نظري إلى سماعات في أواخرها أو أوائلها ، وقع نظري بالمصادفة على سماع فيه كلمات تنم عن أن السماع عليها تظهر فيه سمات الأسقام والعلل فاستوقفتني هذه السمة وأخذ الشك يساورني في واقعة مشار إليها ضمن وفاة الصغاني ، فأنعمت النظر ، ودهشت عندما رتبت هذه السماعات حسب الترتيب الزمني بالنسبة للقراءة على الصغاني ، فرأيت أنها تشير بوضوح إلى أن المُسْمَع عليه أي الصغاني كان مريضًا مرض الموت قبل وفاته . وأما قصته المسرودة ضمن وفاته ، أي أنه مات فجأة وبدون علّة ، فجعلت تتقلَّص شيئا فشيئا في نظري ، وقد قوي الشك فيها عندما خطوت خطوات متقدمة في دراسة هذه السماعات . وأخيرًا انتهيت إلى أن قصة وفاة الصغاني فجأة وبدون علّة ، ليس فيها شيء من الحقيقة ، وهاكم نتيجة دراستي :

لاشك في أن الصغاني كان هنديَّ المولد والنزعة . وقد تجول في الهند نحو أربعين سنة ، وفي الهند كان الهندوكيون يعملون ، منذ قرون غابرة ، « مواليد »[1] . ومن المعلوم أن هذه « المواليد » تشير إلى بعض حوادث مستقبلية

(١) وأورد السيوطي هذه الكلمة : « المولود » ، وابن شاكر الكتبي : « وَلَدٌ » . وقيل « طالع مولود » . لكنها جميعًا غير صحيحة ، فيما أعتقد ، فإنها : مَوْلَد ، ظرف زمان من وَلَدَ ، وفي الهندية كلمة مقابلة لها هي « زَائِجَةٌ » . وكانت هذه الكلمة أي المولد مستعملة بهذا المراد في عصر الصغاني ، بل أعتقد أنها قبله . انظر مجمع الآداب ، كتاب (اللام والميم) : ٢٤٣، ٢٤٤ حيث استخدم ابن الفُوَطِي (تلميذ الصغاني) هذه الكلمة في نفس المعنى ، وقال (في ترجمة أبي الفرج محمد بن =

لا بوضوح بل بإشارات غامضة ودلالات مبهمة ، وليس من المتعذّر ، على هذا ، أن الصغاني قد أخذ « المولد » لبعض أغراضه حينما كان في الهند . ولكن إيراد هذا « المولد » ضمن وفاته لا يتفق اتفاقًا تامًّا مع حقائق وحوادث جرت مع الصغاني ، وأدّت به أخيرًا إلى الموت ، وكذلك لا يمكن الاعتقاد فيه من عالم كبير مثل الصغاني .

ونورد فيما يلي بعض مباحث له قبل رحيله إلى جوار ربه .

كان الصغاني في الفترة الأُخيرة من حياته حين دخل سنة خمسين وستمائة وفي تلك الفترة الأخيرة كان عمره إذ ذاك قد تجاوز ٧٤ سنة ، وكان قد أنهكه التجوال والأسفار التي قام بها إلى الهند والبلاد الإسلامية ، فظهرت عليه ملامح الضعف ، لذلك نرى في يده رعشة في آخر عمره ، ويظهر هذا بوضوح فيما كتبه من سماعات مذكورة أعلاه ، وفي الكتب التي انتسخها في هذه المدة .

* * *

= فخر الدين محمد بن بركة بن أبي الفرج الموصلي البغدادي المنجم) ... كان فاضلا في فنه ، رأيته ، وهو الذي عمل مَوْلِدي ، ومَوْلَدَ أخي ، وتوفي في ذي القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة .

وقد شك مصطفى حجازي (في مقدمة كتاب الشوارد للصغاني) في العبارة المذكورة من الدمياطي ، وقال : « إنها ركيكة ، ثم شرحه بأن مراده - والله أعلم - ما كان يفعله المنجمون والمشتغلون بحساب النجوم والأوفاق لما يسمونه معرفة المطالع ، يذهب المريض إلى أحدهم فيحسب طالعه ، ثم يتنبأ له بمثل قوله : « هذا المريض يكون عليه القطع إلى أربعين يوما - مثلا - فإن لم يمت فيها فإنه يبرأ ، بإذن الله » . فهذا معنى قوله : « وكان قد حُكِمَ فيه بموته » كأنه يترقّب مدة القطع منه » ، انتهى شرح حجازى .

وأرى شرح العبارة لمصطفى حجازي قريبًا من مراد الدمياطي ، إن قالها .

ونضع أمامكم فيما يلي بعض إشارات وهي مبنية على شواهد نعرف منها كيفية صحة الصغاني في السنة الأخيرة من عمره، وذلك حسب تسلسل زمني، لتعرف، أيها القارئ هل مات الصغاني فجأة وبدون علّة، أو أن الأمر خلاف ذلك ؟!

وهذه الحقيقة التي لا مراء فيها أن الصغاني كان معافى حتى ٢٣ محرم من سنة ٦٥٠هـ كما نستشف من سماعة كتابه (فَعَلَان)، ومن كلمات دعائية من تلميذه الدمياطي له (انظر لوحة رقم ١). ولكن أصابه شيء من المرض في أواخر ذلك الشهر، كما أشار الدمياطي إليه في سماع (قصيدة في شَكْوَى الدهر)، فدعا له بكلمات : « عافاه اللّٰه وشفاه وصانه من الأسقام ». (انظر لوحة رقم ٢). وظلّ الصغاني مريضًا بضعة أيام أو أكثر، ولكنه أصبح معافى فيما بعد عندما قرأ الدمياطي عليه كتاب (يَفْعُول) له، لأننا لم نر أية إشارة تشير إلى مرضه في هذه السماع الذي جرى عليه في مستهل جمادى الآخرة. (انظر لوحة رقم ٣). ولكنه أحس، بعده في الأسبوع نفسه، وجعًا في أحد جناحَيْه، كما يشير إلى ذلك ما أثبته الصغاني نفسه فى سماع كتابه : (نَقْعَة الصَّدْيَان)، نحو : راشَ اللّٰهُ جناحَه ومحا جُنَاحه ويسّر نجاحه - (انظر لوحة رقم ٤) - وتقبّل اللّٰه دعاءه. فبرئ من المرض في الأسبوع التالي، كما يبدو بوضوح من كلمات سجلها الصغاني على كتاب فَعَالِ : أَوْزَعَه اللّٰه شكر نعمته وتولاه بفضله ورحمته. (انظر لوحة رقم ٥).

وظلّ على هذه الحالة الجيّدة حتى بداية الشهر التالي، أي رجب المرجب. ولكنه كان يتماثل للشفاء أحيانًا وتنتكس صحته مرة أخرى كما أشار الدمياطي إلى ذلك في سماعه (كتاب الانفِعَالِ)، في ٥ رجب، وكتب : بدّله اللّٰهُ من

السقام بالشفاء ومن الداء بالإبراء . (انظر لوحة رقم ٦) . ويبدو من السماع التالي لكتاب (تَرَاكِيب لُغَاتِ العَرَب) ، الذي حرر في ١١ رجب ، أنه لحقه مرض ، وما برح به إلى أن اختاره اللّٰه إليه . ويظهر من كلمات هذا السّماع أنه مرض في نفس الوقت لا بمرض واحد بل هجمت عليه أعلال وأسقام عديدة ، فبذلك دعا له الدمياطي : « عافاه اللّٰه وشفاهُ ، وصانه من الأعلال والأوجاع وحماهُ » . (انظر لوحة رقم ٧) .

ومن الواضح أن الصغاني قد أنهكته في ذلك الوقت أمراض وأعلال وأوجاع لدرجة أنه شرع يدعو اللّٰه لشفائه من هذه الأعلال والآلام ، كما دعا في توثيق السماع السالف الذكر ، فقال : « شفاه اللّٰه من ألم يعانيه » .

وبعد هذا السماع يبدو أن الصغاني بدأ يضعف شيئًا فشيئًا ، ولم يستطع أن يقوم بعمل ولازم فراشه . ولكنه على رغم كل هذه الأمراض والعلل والآلام كان يسمع كتبه من تلاميذه الذين كانوا يسمعون عليه . وحينما قرأ الدمياطي عليه كتابه الأضْدَاد في ١٣ رجب كان الصغاني منهوكًا بضعف قواه ، كما يبدو من الكلمات التي سجّلها الدمياطي في آخر الكتاب هكذا : سلّمه وحماه ونسخ ضعفَه بمحكم قواه . (انظر لوحة رقم ٨) .

ويظهر أن الصغاني قد عانى من الأمراض والأسقام بما يُرى من كلمات استخدمها في سماع كتاب (الأضْدَاد) ، فدعا لنفسه : « جعل اللّٰهُ عاقبته إلى صحة وصَلَّاح وأعاده إلى طيبة وصلاح » .

وقد أراد الدمياطي أن ينتهز هذه الفرصة فجدّ بانتساخ مؤلفات الصغاني وما كان لديه من كتب لغوية ، ليلًا ونهارًا ، وقرأها عليه فلزمه في بيته بالحريم الطاهري غربي بغداد وجعل يُسرع في عمله لأنه كان قد أحسّ من توعك

صحة الصغاني وضعف قواه ، أنه لن يبرأ من هذه الأعلال . وفي هذه المدة كتب الدمياطي عن الصغاني علمًا كثيرًا ، وسمع عليه بعض مؤلفاته ، كما سمع كتبا أخرى لم نستطع معرفتها .

وكانت صحة الصغاني قد بدأت تضعف يوما بعد يوم ، ولكنه لم يترك ، كما قلت مسبقا ، سماع كتبِهِ ، فقرأ الدمياطي عليه في ١٧ شعبان كتابه : (شرح القلادة السمطية) ، ودعا له بكلمات : « عافاه اللَّه وشفاه وصانه من الأسقام وحماه » . (انظر لوحة رقم ٩) . وأما الصغاني فدعا لنفسه بيد مرتعشة ، كما تراه بوضوح من خطه : « عافاه اللَّه وشفاه » في نفس المكان . وكانت هذه الكلمات الأخيرة التي كتبها الصغاني أمام الدمياطي .

توفي الصغاني ليلة الجمعة ١٩ شعبان ، وذلك بعد يومين من قراءة الدمياطي عليه . وهنا سجّل الدمياطي بإزاء هذا السماع في نفس المكان للكتاب المذكور آنفا : « توفي رضي اللَّه عنه بعد قراءتي عليه هذا الكتاب » ليلة يومَ الجمعة التاسع عشر من شعبان المذكور ، بالحريم المذكور ، وأنا آخر مَن قرأ عليه » .

ولم يكتب هنا ما ينسب إليه علماء عن واقعة غير عادية . ولو كانت هذه الواقعة قد حدثت للصغاني – ومعي أمر غير عادي في تلك البلاد – لكان الدمياطي سجلها في هذا المكان أو على الأقلّ في مكان آخر ، فإنه لم يكتب ولم يشر إلى هذه الواقعة بأدنى إشارة ؛ لأنه رأى بأم عينه أن الصغاني قد مات نتيجة الأعلال والأمراض . ويبدو من هذا التعطّل عن العمل ليومين ، أن الدمياطي لم يستطع قراءة الكتب على الصغاني ، على رغم حرصه على هذا الانتفاع السريع ، ولعل الصغاني كان مريضًا مرضا لا قدرة له معه على أداء هذا الغرض ، أو كان في حالة مرض الموت ، ولم يقدر على سماع كتبه .

ولم نر فيما جمعنا من كتابات العلماء المعاصرين للصغاني وتلاميذه أية إشارة إلى وفاة الصغاني « فجأة وبدون علة » .

وفي ضوء ما سقنا آنفا من تعليلات للشهرين الأخيرين من حياة الصغاني ، لا بدّ لنا أن نصدق ما قاله الصغاني في هذه السماعات ، وما دعا به الدمياطي لأستاذه ، وما سَجّله من توعك صحته وهجوم الآلام والأوجاع عليه . لقد كان الرجل مريضا قبل وفاته ، وضعف يوما بعد يوم بأمراضه ، ولم يمت فجأة ، وبدون علّة ، بل توفي وفاة طبيعية ، بعد هذه الأمراض التي أصابته .

وأمام هذه التعليلات يستطيع القارئ أن يعرف قيمة ما قاله العلماء في وفاة الصغاني الفجائية وبدون علّة .

مكانَة الصَّغانيِّ العِلْمِيَّة

أشرنا في البداية إلى أن هذه السماعات تشير كذلك إلى مكانة اجتماعية للعالم الذي يسجل هذه السماعات على ما يقرأ عليه من الكتب ، كما تشير إلى شخصيته العلمية ، فمن خلال هذا السماع نستطيع أن نعرف مدى ثقة الناس والعلماء في علم الصغاني ، فقد كانوا يقدرونه لمعرفته اللغوية والحديثية واطلاعه الواسع على العلوم السائدة آنذاك ، وقد أطنبوا في مدحه وقالوا : إنه رجل صالح ، صدُوق ، صمُوت عن فضول الكلام [1] ، وعدّه معاصروه من أولياء اللّه الصالحين [2] .

---

(١) الدمياطي : معجم الشيوخ : ترجمة الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني .

(٢) ابن الفوطي : مجمع الآداب ، (كتاب اللام والميم) : ٧٥٦ .

وكان الصغاني يشتاق دومًا لجوار كعبة اللَّه ويلتجئ إليها فلقَّب نفسه : الملتجئ إلى حرم اللَّه تعالى مع اسمه أينما أثبته في كتبه أو سماعاته ، وهو أول من لقَّب نفسه بذلك ، وتابعه الفيروزآبادي .

٢- كان يحب علم الحديث حبًّا جما ، ويجدّ في تحصيله أينما حلّ وفي أي عهد من عمره ؛ فلذلك اجتمع لديه من العلم ما لم يجتمع لدى آخر ، فقال مرة مفتخرًا :

قد سمعت من الحديث المسلسلة بمكة ، حرسها اللَّه تعالى ، وبالهند واليمن وبغداد ، ما ينيف على أربعمائة حديث ، ولم يبلغني أحد اجتمع له هذا القدر من المسلسلات[(١)] :

الحمدُ لِلَّهِ حَمْدًا دَائِمًا أبدًا ... أعطانِيَ اللَّهُ ما لم يُعْطِه أحَدَا

وكان قد حصل على مكانة في هذا العلم عظيمة مرموقة ، وقد ذكر ذلك :

إذا احتبيت تجاه الركن بالحدق ... أفاضل الناس مِن شأم ومِن يَمَنِ
ذوُوا محابر أعدادَ النجوم ، ومَن ... قد آثر السفر المضني على الوطَنِ
أظلّ أنشدهم شعري ، وأخبرهم ... بما سمعت من الآثار والسُّنَنِ
موثّقًا عدلَ أهليها ، وأجرَح مَن ... تكلموا فيه في ماض من الزَّمَنِ
أروي الأحاديث عن ثبت أخي ثقةٍ ... أقول : حدّثني شيخي وأخبرني
وأشبع القولَ في إيضاحِ مشكلها ... وحلّ معضلها ، جريًا على السنن
خُطَّتْ على جبهة الأيام خالدة ... تلك المكارمُ لَا قَعْبَان مِن لَبَنِ

---

(١) الصغاني : العباب الزاخر : (مسلسل) (١١٣) ، ترجمة الصغاني في معجم الشيوخ للدمياطي .

فلذلك وصفه معاصروه بـ : فخر الحفاظ ، وعُهدة المحدثين ، ومعتد المحدثين ، وفخر المحدثين والحُفّاظ[1] .

وهناك ناحية أخرى لهذا العالم ذي النواحي العديدة من علمه ، فإنه توغل في تحصيل اللغة ، وارتقى فيها حتى قيل : إنه مقدم أهل اللغة ، وفن الأدب[2] . ولو أنه ما كان من أهل اللغة وقضى معظم حياته في الهند ، على الرغم من هذا كله فإنه وعى علم اللغة فأحسن فيه حتى قيل له : حُجَّةُ العرب . ولسان أهل الأدب وحجة أهل الأدب[3] . وكان فارس المعاني والألفاظ[4] ، وإمام اللغة والنحو ، ووصفه الناس بحجة العرب في السِّند والهند واليمن[5] ، كما نعت بـ : لسان الأدب[6] ، ولعلمه الواسع في اللغة جعله أصحاب العلم : حامل لواء اللغة في زمانه[7] بل كان إليه المنتهى في اللغة[8] .

وكان ثقة الملوك والسلاطين[9] ، كما عرف بذي الرياستين[10] . ورئيس

---

(١) ذُكِرت هذه الأوصاف للصغاني في سماعات كتبه أو في عناوين كتبه التي انتسخها الدمياطي لديه ، وهي مذكورة في أعلى اللوحات .

(٢) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة : ٢٦٢.

(٣) ذكرها الدمياطي بداية وآخر كتب الصغاني التي انتسخها ، وهي : كتاب يفعول ، كتاب الانفعال ، وأسماء الغادة ، وكتاب الأضداد ، وتعزيز بَيْتَي الحريري .

(٤) ذكر في بداية الرسالة : مختصر من العروض .

(٥) ابن أهدل : تاريخ علماء اليمن : ق ٢١٩، الخزرجي : كتاب العقد الفاخر الحسن في طبقات اليمن : ق ٢٠٨.

(٦) انظر الحاشية رقم ٣ من الصفحة السابقة .

(٧) السيوطي : بغية الوعاة : ٢٢٧.

(٨) الحاشية السابقة .

(٩) ابن أهدل : نفس المصدر : ٢١٩.

(١٠) مجموعة الرسائل للصغاني ، بخط الدمياطي .

الصدر[1] ، وهو أول من عُدِّلَ من العجم[2] ولا نعرف ذلك عن آخر في هذه القرون الغابرة.

ووصفه معاصروه، وقالوا: فريد عصره ووقته، وحيد دهره، علامة الوقت، والزمن[3] ، من أفراد العلماء، وقدوة الأمّة وعمدة الأئمة[4] ، واعتبروه العالم الأوحد[4] .

ولذلك قال الجندي: وعلى الجملة فمحاسن الصغاني أكثر من أن تحصى[5] . وقال ابن الفوطي: كان من أفراد العلماء وأولياء الله الصالحين، وصار ذكره سير الشمس في الآفاق، ودوّخ ما وراء النهر وخراسان واليمن والهند والحجاز والعراق[6] .

فكانت تشد إليه الرحال من سائر الأقطار، وسافر إليه طلاب العلم من أقطار بعيدة، كما ترى أسماءهم في هذه السماعات، حتى من أقصى الأندلس[7] . وظلّ بابه مفتوحا للتلاميذ، يُدَرِّس لهم ويقرئهم ويسمعون منه، ويكتبون عنه، حتى توفي، ولم يبخل بعلمه على أحد، حتى إنه راح يسمع كتبه مسافرًا في النهر.

---

(١) انظر سماعه لكتاب مشارق الأنوار، لوحة رقم ١٠.

(٢) الحاشية السابقة.

(٣) انظر الحاشية رقم ١ في الصفحة السابقة.

(٤) الموضع السابق.

(٥) الجندي: كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك: ق ٢٠٨.

(٦) ابن الفوطي: مجمع الآداب، كتاب الميم: ٧٠٦.

(٧) كما ترون من أسماء العلماء الذين سمعوا عليه كتبه.

الصَّغانيُّ أو الصَّاغانيُّ

والأمر الآخر الذي استنتجناه في ضوء هذه السماعات ليس بأقل أهمية من الأول ، وهو يتعلق بنسبة « الصغاني » . إن نسبة « الصغاني » نسبة صحيحة بلا مراء ، وكذلك « الصاغاني » التي يصرُّ بعضنا عليها ، ليس الأمر هنا ما هي النسبة الصحيحة وما هي الخاطئة ؟ ولكن الأمر الذي يهمنا هنا في الواقع هو أن نعرف ما هي النسبة التي اختارها الصغاني لنفسه ؟

ونحن على بيّنة وعندنا دلائل ناصعة أنه قد اختار لنفسه نسبة بدون ألف بعد الصاد ، وأوردها في جميع الأمكنة التي شاء القدر أن يكتب فيها اسمه ، وهي أمامنا في أكثر من عشرين موضعا ، في كتبه وسماعاته .

وقبل أن نأتي بأدلة ملموسة في هذا الصدد نسوق فيما يلي ما أورد العلماء في نسبة الصاغاني ، بإضافة الألف بعد الصاد فيها ، فقالوا :

(١) لأنها أوردها الصغاني بنفسه في قصيدته النونية وهي في شكوى الدهر .

(٢) ولأن مرتضى الزبيدي أوردها في كتابه تاج العروس من جواهر القاموس .

(٣) ولأن أكثر أهل زماننا قد اختاروا هذه النسبة .

إن نسبة « الصغاني » ترجع إلى مدينة كانت تسمى آنئذ صَغَانِيَان وكانت هذه المدينة واقعة بين نهرين : آمودريا (Ox us River) أي نهر آمو ، ودرياشي زامل أي نهر زامل (Zamil River)، الذي كان يقال له في القرون الوسطى : « نهر صغانيان » كذلك .

وهو معرب عن اسم فارسي : جَغَانِيَانْ ، كما يقول الصغاني نفسه في معجمه : مجمع البحرين : « ومحمد بن إسحاق الصغاني ، من ثقات المحدثين ، وغيره من الصَّغَانِيِّينَ ، منسوب إلى بلد يسمى جَغَانِيَانْ ... وقال البشاري : به ستة آلاف قرية ، فأبدلت الجيم صادا ، كقولهم : الجص ، وأصله گج ، والصنج ، وأصله جنگ »[1] .

ولم ينسب إلى هذا البلد عالم واحد بل هم كثيرون[2] .

ولم تستعمل نسبة « الصاغاني » ، بإضافة الألف بعد الصاد لأي منهم ، بل هي بدون الألف فيها .

لاشك أن نسبة « الصاغاني » قد وردت في قصيدة الصغاني ، وهي صحيحة بلا مراء ، ولكنه أوردها مضطرًا لضرورة شعرية لأن قافية القصيدة كانت محتاجة إلى التأسيس . وبإزاء هذه المرة الوحيدة ، كتب الصغاني نسبته بدون الألف عشرات المرات كما ترونها في السماعات المثبتة آنفا . ولا أكاد أفهم لماذا يصر بعضنا على إيراد نسبة « الصاغاني » للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني حيث إنه لم يخترها ولم يستعملها ، كأنهم يجبروننا عليها لإيراد الصغاني لها مرة واحدة ، وذلك مضطرًا ، ولا ينظرون إلى ما أثبته من نسبته

---

(١)

(١) الصغاني : مجمع البحرين : (صغن) والتاج للزبيدي : (صغن) .

(٢) فمثلا :

١- محمد بن إسحاق الصغاني . ذكره الصغاني نفسه في مجمع البحرين : (صغن) . كما ذكرت آنفا .

٢- محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن سعيد الصغاني الأصل ، أبو حامد (٧٩٠هـ -

« الصغاني » ، بدون الألف بعد الصاد ، في مواضع كثيرة لا في كتبه فحسب بل في سماعاته كذلك .

ومن خلال هذه الأدلة والشواهد التي سُقناها آنفا ، يتجلى لنا بكل وضوح أن النسبة التي كتبها الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغَانِيّ لنفسه كانت بدون ألف ولم يستعمل غيرها . فهل بقي مجال للشك في نسبة الصغاني بعد هذه النظرة المتعمقة في صور هذه السماعات ؟

* * *

المصادر والمراجع

١- ابن أهدل : تاريخ علماء اليمن . (مخطوطة) نسخته بالمتحف البريطانى ، رقمها ١٣٤٥.

٢- جلال الدين السيوطى : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . القاهرة : مطابع السعادة ، ١٣٢٦هـ .

٣- الجندي ، محمد بن يعقوب بن يوسف : كتاب السلوك في طبقات العلماء والسلوك . (مخطوطة) نسخته بإستنابول في كوبرلي ، رقمها ١١٠٧.

٤- الخزرجى ، على بن الحسن : كتاب العقد الفاخر الحسن في طبقات اليمن . (مخطوطة) ، نسخته بالمتحف البريطاني ، رقمها ٢٤٢٥.

٥- خير الدين الزركلي : الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين . ط . خامسة .

٦- الزبيدى ، مرتضى : تاج العروس . ط . القاهرة .

٧- ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات (الجزء الثاني فقط) . بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٣م .

٨- شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي : معجم الشيوخ . (خطي) ونسخته بمكتبة الآثار القومية بتونس ، رقمه ٩١١.

٩- الصغاني : كتاب الانفعال . تحقيق د . أحمد خان . إسلام آباد : مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٧م .

١٠- الصغاني : كتاب : الشوارد في اللغة . تحقيق مصطفى حجازي . القاهرة : المطابع الأميرية ، ١٩٨٣م .

١١- الصغاني : مجمع البحرين . تصويره بمكتبة مجمع البحوث الإسلامية باسلام آباد (باكستان) .

١٢- الصغاني ، العباب الزاخر واللباب الفاخر . (مخطوطة) ، نسخته الكاملة بمكتبة آياصوفيا بإستانبول .

١٣ - الصغاني : مجموعة الرسائل المنسوخة بيد الدمياطى بإستانبول ، وبودليانة .

١٤- ابن الفوطى : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة . بغداد : المكتبة العربية ، ١٣٥١هـ .

١٥- ابن الفوطي ، كتاب مجمع الآداب ، منه كتاب اللام والميم . طبع تباعا في مجلة أورينتل كالج سيگزين - (لاهور) ، سنة ١٩٤٠م .

١٦- مجلة مجمع اللُّغَة العربية بدمشق . مج ٤٦ ، ٤٤ (أكتوبر ١٩٧١م) .

١٧- The Chester Beatty library : **Ahandlist of Arabic Mss** . Prepared by A. J. Arberry. Dublin: E. walker, 1955

١٨- G. Le strange: **The lands of the Eastern caliphte**. London; Frank Cross, 1966.

* * *

مخطوط فريد في إعجاز القرآن

د . زكريا سعيد علي*

مخطوط فريد في إعجاز القرآن، يعود إلى فترة متقدمة؛ إلى القرن الرابع أو أوائل الخامس الهجري . وقد لفت المخطوط انتباه د. زكريا، وأثار داخله بعض التساؤلات، تُفضي إلى أن التأليف في مسألة إعجاز القرآن تحتاج إلى إعادة نظر. وهذا المؤلف (المجهول) فيما يبدو من المتكلمين وأصحاب الحجاج عن العقيدة، وقد وافق البلاغيّين في كثير من المصطلحات التي استخدمها، وفي بعض وجوه الإعجاز، وطبقات الفصاحة، وخالفهم في بعض التقسيمات والمصطلحات، فإذا ما ثبت سبقه إلى بعض هذه التقسيمات والمصطلحات، فإن عددًا من الحقائق المستقرة في حقل الدراسات البلاغية ستتغير .

---

* مدرس البلاغة والنقد الأدبي بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة .

هذا المخطوط من مقتنيات المكتبة المركزية بجامعة طهران تحت رقم ٩٣٧، وقد أخذت عنه الصورة المودعة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم (٣١ بعثة إيران) ، وهو يقع في ١٠٤ ورقة .

لفت انتباهي إليه تقدمه الزمني ، حيث كتب في فترة مبكرة تعود إلى أواخر القرن الرابع الهجري ، أو أوائل الخامس ؛ فدعاني إلى البحث عنه : أن يكون هناك مؤلَّف في إعجاز القرآن في هذه الفترة الباكرة غير ما عرفناه من مؤلفات الرماني والخطابي والباقلاني ، التي دارت في رحابها دراسات الباحثين . وكنت - ولا أزال - يعاودني سؤال : هل يمكن أن يكون هذا هو كل التراث الباقي حول إعجاز القرآن الذي خلَّفه علماؤنا ؟! وكان هذا دافعًا لي إلى البحث في فهارس المخطوطات لعلِّي أعثر على شيء قد يكون ذا بال . وقد يسر اللَّه تعالى ووفق ، فكان أن وقعت على هذا المخطوط ؛ موضوع هذا البحث ، وعلى مخطوط آخر فريد ؛ هو شرح رسالة الرماني في إعجاز القرآن[(١)] ، وهو شرح فريد نادر سكت عنه الناس ، ولعل فيه وفي هذا البحث ما يكون دعوة لأهل العلم إلى إعادة النظر في تاريخ التأليف في مسألة « إعجاز القرآن » .

وهذا المخطوط - موضوع بحثنا - مجهول المؤلف ، وقد جرت العادة أن المخطوطات التي من هذا النوع يحجم عن الاقتراب من درسها جمهور الباحثين ، ويقللون من شأنها . والحق أن هذا مسلك غير صواب ، وقد يكون من المفيد للغاية أن تتجه العناية إلى أمثال هذه المخطوطات بالدرس والفحص ، والصبر على ما قد يصحب ذلك من بذل للجهد والوقت .

---

(١) صدر عن دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٩٧ م .

واسند ذكر ما فات اهل الدين وتنبهوا على ما غفل عنه فضلاء المسلمين
كلا بل هم صم عن الحق لا يسمعون بكم عن الحجاج لا ينطقون
عمي عن الرشاد لا يبصرون كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون فان ارذلهم طبقة واخسهم طريقة واقلهم شبهة
واعناهم على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم واعداهم
للمسلمين واحرصهم على التحيل لاطفاء نور الله المبين ويأبى الله
الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون من ينتسب منهم الى الباطن
ويرهم ان وراء ما فهمه المسلمون من حجج العقول من الكتاب
والسنة حقيقة عرفوها وحصلوها وانها مخرقة تلاعبا عن بذل لهم العهود
والمواثيق فاذا كشفنا وجدت مخازي تلوح على صفحاتها اثر الاستهزاء
بمن باخدعهم ويلوذ بهم بعد ونهم حمرا مستنفرة قد زينوا عندهم
ارتكاب الفواحش واباحوا لهم تطرق المظالم واحلوا لهم شرب الخمور وترك
الصلوات ومنع الزكوات لقد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا
عن سواء السبيل ينفون الصانع وينكرون النبوات اجمع ويجحدون
الشرائع فيقولون لا يقال في الله تعالى موجود ولا لا موجود ولا يعلمون
لجهلهم وفرط غباوتهم ان نفي النفي يقتضي الاثبات عند اهل اللسان
الا ترى انهم اذا ارادوا ان يحققوا الاثبات قالوا لا غير فيقولون
هو الراي لا غير وهو زيد لا غير فيجمعون بين النفيين لتحقق

الورقة الأولى من المخطوطة

الاثبات فاذا انا لو الا لا موجود فقد حققوا انه موجود
واذا قالوا لا موجود فقد نفوا ما اثبتوا ونقضوا ما قالوا
وليس ذلك مما يخفى لكن غرضهم في ذلك هو التوصل الى
التعطيل ونفي الصانع ويقولون ان محمدا صلى الله عليه وآله انما
كان له التأييد دون ما سواه من الوحي والارسال ونزول
جبريل ويشيرون بالتأييد الى المزية التي تحصل لكل من تقدم
في صناعة وبرع فيها من شاعر وخطيب وفقيه ومتكلم او
منجم ويسمون الشرائع نواميس ويتوصلون الى جحدها او
ابطالها بادعاء ان لكل شيء منها باطنا اذا عرف سقط وجوب
العمل به وينكرون البعث والنشور ويقولون معنى القيامة هو
قيام محمد بن اسمعيل بن جعفر بن محمد ولولا انه ليس غرضنا في كتابنا
هذا نقل احوالهم ونشر فضائحهم وبسط مقابحهم لبينت من
فساد عقائدهم ومساوي دياناتهم وما بينه شيوخنا رحمهم الله
من الاشراف وسائر العلماء في كتبهم المصنفة من هتك استارهم
واذاعة اسرارهم نحو ابي زيد محمد بن علي بن محمد العلوي الحسني
وابي جعفر بن قبة الرازي وابي عبد الله بن رزام الكوفي وابي محمد
بن عبدك الجرجاني وغيرهم رحمهم الله ثم ذكرت في رسالتهم
الموسومة بالبلاغ السابع وقد يسمونها بالبلاغ الاكبر والناموس
الاعظم

الاعظم لكنه اجل من اراد الوقوف على باطنهم واسرارهم الى هذه الكتب
فانها مشهورة معروفة معرضة لمن ارادها وارجع الى الغرض الذي
قصدته وهو اني وانا ابتدئ اصنع كتابا في الابانة عن معجزات نبينا
صلى الله عليه وآله وما ايده الله من الآيات البينات و
الدلائل الواضحات التي لا يذهب عنها من نصح لنفسه ولم
يتلعب بدينه مستعينا بالله تعالى ومبتهلا بالرغبة اليه
تبارك وتعالى في ان يعظم النفع به والمثوبة عليه وان يجعل سعيي
فيه وكدحي له خالصا لوجهه هذا ولست اطمع ان اعلو على ما
قاله السلف رحمهم الله في هذا الباب وانما اخرج من كلامهم
ما جعله البسط متناول الاطراف والبسط ما جعله الايجاز خفي
الاغراض وانتم رحمكم الله اذا تاملتم احوال الفترات التي كانت
بين ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم
اجمعين عامة وعلى محمد خاصة ازددتم معرفة بحسن تدبير الله
لخلقه في بعثات الرسل وتجديد ما درس واندرس من
الشرائع والملل فانه عز وجل بعث حين علم الصلاح في الابتعاث
بعد الفترة حين علم اقتران المصلحة بها لان الفترة على ما
يقوله بعض اهل التواريخ على اختلاف بينهم فيه والله اعلم بتحقيق
ذلك كانت بين ادم ونوح صلى الله عليهما نحو سبعمائة عام و

الورقة الثانية من المخطوطة

انما كان ذلك والله اعلم وانما نقول على مقدار ما يلوح لنا ويبلغه
مقدار فهمنا ان آدم اهبط الى الارض وهو ابو البشر واول الانس
ولم يكن في زمانه شيء من الكفر ولا عبادة الاصنام ولم يكن غيره
غير زوجته واولادهما وكانوا يعرفون حاله ولم يكن في امره شبهة
عندهم لوضوح امره وظهور آياته وقلة من بعث اليهم فامتد زمان الفترة
كان بينهما مع ذلك شيث وادريس صلوات الله عليهما فاستحوذ الناس
الكفر وعبدوا الاصنام واتخذوا ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا
فابتعث الله تعالى نوحا صلى الله عليه [illegible] اليهم يدعوهم الى التوحيد وخلع
الاصنام والانداد ولبث فيهم كما ذكر الله تعالى الف سنة الا خمسين
عاما فغرقهم الله تعالى بالطوفان حين علم انهم لا يصلحون ونجى نوحا
ومن معه ثم كانت الفترة بين نوح وابرهيم صلى الله عليهما على ما
يقوله المؤرخون نحو سبعمائة عام وانما كانت هذه المدة نحو تلك
لان الفرق غاية [illegible] حال نوح الى وحال ادم عليهما السلام في ظهور
امره وابتداء النشو منه مع انه لم يكن نحو من الكفار احد الا ان
الناس كانوا قد عرفوا عبادة الاصنام واتخاذ الالهة من دون الله
تعالى فاسرعوا بعده في الكفر وعبادة الاصنام وكان الله بعث هودا
الى عاد لما ازداد تمردهم وصالحا بعده الى ثمود لما ازداد الكفر
ظهورا وانتشارا ابتعث الله تعالى ابرهيم فدعاهم الى الله تعالى
وكر

كسر اصنامهم ونبههم على خطأ افعالهم وجدد لهم الذكرى وانزل
الله تعالى عليه الصحف ثم بعث لوطا الى قوم مخصوصين حين
ازداد عتوهم واستحدثوا من الفاحشة ما لم يكن قبلهم ثم كانت
الفترة بينه وبين موسى عليهما السلام نحوا من تسعمائة سنة وانما كان
ذلك كذلك والله اعلم لان ابرهيم صلى الله عليه مضى والكفر
باق بينهم ظاهر ولم يكثر اتباعه الكثرة الظاهرة على ما بلغنا وبعث
الله بعده اسمعيل واسحق ويعقوب ثم الاسباط وشعيبا قبل
مبعث موسى عليهم السلام وقيل ان ايوب ايضا كان بعث قبل موسى
فتغيرت احوال بني اسرائيل وقل قبول الناس الحق وظهر الكفر و
بلغ مبلغا لم يكن بلغ من قبل لان فرعون ادعى الالهية فقال انا
ربكم الاعلى واستعبد بني اسرائيل فعظم الامر وازداد الكفر
والشر الخراب ونسي الحق فلذلك تطاولت مدة هذه الفترة حتى
بعث موسى مع تلك الآيات العظام كالعصا واليد البيضاء ونجاة
بني اسرائيل البحر بعد ان انفلق وكان كل فرق كالطود العظيم
وتغريق فرعون ومن معه الى غير ذلك من الحجر الذي تفجرت منه
العيون وما كان ظهر قبل ذلك من الجراد والقمل والضفادع والدم
وغير ذلك مما يطول ذكره وانزل عليه التورية وبين فيها الاحكام
والحلال والحرام وظهر امره ثم الظهور وانما كانت اعلام موسى

الورقة الثالثة من المخطوطة

- أ -

المؤلف مجهول كما ذكرت، ولكني سأحاول من خلال دراسة متن الكتاب إضاءة الطريق للتعرف على المؤلف قدر الإمكان، وعلى طبيعة الكتاب وأهميته وسماته العامة:

١- فأما زمان تأليف هذا المخطوط فهو القرن الرابع الهجري. وقد جاء ذكر ذلك عرضًا في ثنايا كلام مؤلفه؛ إذ نص على أن الوقت من بعثة النبي ﷺ وحتى زمانه نحو من أربعمائة عام. يقول المؤلف: «ثم ابتعث الله النبي محمدًا صلى الله عليه وآله وختم به الرسالة، ونحن من مبعثه على نحو من أربعمائة عام ...»[1]. وهذه الإشارة - أيضًا - إلى انقضاء أربعمائة عام أو قريب منها، منذ مبعث النبي ﷺ وحتى زمان المؤلف تكررت في موضع آخر[2].

٢- ويكشف لنا كلام المؤلف من الصفحات الأولى عن ذيوع سطوة فرقة الباطنية في زمانه، وقوة شوكتهم. وقد جاءت الإشارة إلى هذا في معرض حديثه عن أن معارضة القرآن لو كانت قد وقعت لما أمكن كتمها، ولذاع خبرها، ولا سيما في زمانه هذا، حيث شجعت الباطنية على الطعن في الدين، وبذلوا لذلك الأموال بسخاء. يقول المؤلف: «فكيف يظن أن معارضة القرآن لو كانت كان يخفي نقلها لا سيما في زماننا هذا، والباطنية قد اتسعت أحوالهم، وكثر بذلهم الأموال على الاستدعاء إلى ما هم عليه من الجحد للتوحيد والنبوات فلو وجدوا سبيلًا إلى ذلك لحصَّلوه بما لهم من طريف وتليد ..؟»[3].

---

(١) المخطوط: ٦، ٧.

(٢) المخطوط: ١٤٢، س ٥.

(٣) المخطوط: ٣٠.

ومن بداية الصفحة الأولى للمخطوط يشن المؤلف هجومًا عنيفًا على هذه الطائفة، يَشْتَمُّ القارئ أن من بين ما دفعه إلى تصنيف هذا الكتاب طعن هذه الطائفة الباطنية في نبوة رسولنا محمد ﷺ، ونجده يلصق بهم أشد التهم والمساوئ، حيث يقول: «... فإن أرذلهم طبقة، وأخسهم طريقة، وأقلهم شبهة، وأعتاهم على الله تعالى وعلى رسوله - صلى الله عليه وآله - وأعداهم للمسلمين، وأحرصهم على التحيل لإطفاء نور الله المبين: ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾، من[1] ينتسب منهم إلى الباطن، ويوهم أن وراء ما في يد المسلمين من حجج العقول من الكتاب والسنة حقيقة عرفوها وحصلوها، وأنها مخفية إلا عمن بذل لهم العهود والمواثيق»[2].

ونجده ينسب لهذه الطائفة استحلالها للفواحش، وترك الصلوات، ومنع الزكوات، وأنهم ينفون الصانع، وينكرون النبوات أجمع، ويجحدون الشرائع[3]، ويقولون: «إن محمد - صلى الله عليه وآله - إنما كان له التأييد دون ما سواه من الوحي والإرسال ونزول جبرائيل، ويشيرون بالتأييد إلى المزية التي تحصل لكل من تقدم في صناعة وبرع فيها، من شاعر أو طبيب أو فقيه أو متكلم أو منجم، ويسمون الشرائع نواميس، ويتوصلون إلى جحدها أو إبطالها بادعاء أن لكل شيء منها باطنًا إذا عرف سقط وجوب العمل به، وينكرون البعث والنشور، ويقولون: معنى «القيامة»؛ هو قيام محمد بن إسماعيل بن

(١) خبر «إن» في أول الكلام في قوله: «فإن أرذلهم ...»، وبينهما فصل طويل.

(٢) المخطوط: ١.

(٣) المخطوط: ١.

جعفر »[1] .

وهذا يبين أن الطائفة الباطنية المقصودة بهذه الأوصاف المرمية بهذه التهم إنما هي الطائفة التي عرفت بالإسماعيلية أو الفاطمية ، التي كانت تحكم مصر ، وتهدد الخلافة العباسية في بغداد ، زمن تأليف الكتاب . وهي فرقة من غلاة الشيعة تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق .

ونجد المؤلف يحيل في بيان فساد عقائد هؤلاء الباطنية إلى ما صنفه العلماء في الرد على هذه الفرقة الضالة وكشف أستارها . يقول المؤلف : « ولولا أنه ليس غرضنا في كتابنا هذا نقل أحوالهم ونشر فضائحهم وبسط مقابحهم لبينت من فساد عقائدهم ومساوئ دفائنهم . وما بينه شيوخنا رحمهم الله من الإسراف[2] وسائر العلماء في كتبهم المصنفة من هتك أسارير أستارهم وإذاعة أسرارهم ، نحو أبي زيد محمد بن عيسى بن محمد العلوي الحسيني ، وأبي جعفر بن قبة ، وأبي عبد الله بن رزام الكوفي ، وأبي محمد بن عبدك الجرجاني ، وغيرهم – رحمهم الله – ثم ذكرت ما في رسالتهم الموسومة (بالبلاغ السائغ) ، وربما سموها (بالبلاغ الأكبر والناموس الأعظم)[3] . لكني أحيل من أراد الوقوف على باطنهم وأسرارهم إلى هذه الكتب فإنها مشهورة معروفة لمن أرادها »[4] .

---

(١) المخطوط : ٢ .

(٢) كذا في المخطوط ، ولعلها (الأشراف) .

(٣) مال ابن كثير إلى أن مؤلف هذه الرسالة القاضي الفاطمي عبد العزيز بن النعمان ، وذكر أن في هذا الكتاب « من الكفر ما لم يصل إبليس إلى مثله » ، وأنه رد عليه أبو بكر الباقلاني . انظر البداية والنهاية : ٦/ ٣٣١.

(٤) المخطوط : ٢ – ٣ .

وقد حاولت تتبع ترجمة هؤلاء الشيوخ الذين ذكرهم المؤلف ، فوجدت أنهم من علماء الشيعة « الاثنا عشرية » ، ولبعضهم صلة بالاعتزال ، وبعضهم من آل البيت الحسينيين . فأما أبو محمد بن عَبْدَك الجرجاني فقد ذكره السمعاني في الأنساب في حرف العين ، وضبطه بفتح العين وسكون الباء الموحدة وفتح الدال المهملة في آخرها كاف . وجاءت كنيته عنده « أبو أحمد » . وقال عنه : « أبو أحمد محمد بن علي بن عبدك الشيعي العبدكي من أهل جرجان ، كان مقدم الشيعة وإمام أهل التشيع بها ، سمع عمران بن موسى بن مجاشع الجرجاني وأقرانه ، روى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ البيع وعرفه ونسبه هكذا ، وقال : كان من الأدباء الموصوفين بالعقل والكمال وحسن النظر ، استوطن نيسابور ، وبنى بها الدار والحمام المعروف بباب غرزة ، وتوفي بعد الستين والثلاثمائة بجرجان »[(1)] .

وذكره صاحب أعيان الشيعة ، وقال عنه : «أبو جعفر أو أبو محمد أو أبو أحمد محمد بن علي بن عبدك الجرجاني توفي بعد ٣٦٠»[(2)] .

وذكر أن « عبدك » هذا اسم مخفف عن عبد الكريم ، كما يقولون في « عبد الله » : « عبدل » ، وفي « زين العابدين » : « زينل »[(3)] .

---

(١) الأنساب للسمعاني : ١٣٢/٤ - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي - دار الجنان - ط الأولى - بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

(٢) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين - حققه حسن الأمين - دار التعارف للمطبوعات - بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م : المجلد التاسع ، ج٤٥/ ٤٣٧ .

(٣) انظر السابق : ٤٥/ ٤٣٧ .

و« عبدك » هذا - جد المترجم - من أصحاب الإمام محمد بن الحسن الشيباني ؛ صاحب أبي حنيفة ، وتفقه عليه[1] .

وكان ابن عبدك - هذا - معتزلي المعتقد إلى جوار مذهبه الشيعي ، وهذا ما قرره صاحب أعيان الشيعة ، قال : « وفي الفهرست : ابن عبدك من أهل جرجان أظنه يكنى أبا محمد بن محمد بن علي العبدكي من كبار المتكلمين في الإمامة ، له تصانيف كثيرة ، وكان يذهب إلى الوعيد ... وقال ابن شهرآشوب في « معالم العلماء » : ابن عبدك أبو محمد محمد بن علي العبدكي الجرجاني إمامي ، إلا أنه يذهب إلى الوعيد في تصانيفه ... والقائلون بالوعيد يقال لهم : الوعيدية ، وهم فرقة قالوا بقبح خلف الوعيد كما يقبح خلف الوعد ، بدأهم بهذا القول عمرو بن عبيد المعتزلي »[2] .

وكتاب ابن عبدك الذي يشير إليه المؤلف فيما سبق في الرد على الإسماعيلية ، ذكره صاحب « أعيان الشيعة » في مصنفاته التي أورد أسماءها

---

(١) انظر الجواهر المضية في تراجم الحنفية لمحيي الدين أبي محمد عبد القادر الحنفي - تحقيق د . عبد الفتاح الحلو - مطبعة عيسى الحلبي (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) : ٣/ ٢٦٤- الترجمة ١٤١٩، وانظر أيضًا في أعيان الشيعة تعليق المحقق بهاء حسن : ج٥٤/ ٤٣٧، المجلد التاسع .

وقد ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون (٥٦٢/١) أن لمحمد بن علي المعروف بعبدك الجرجاني المتوفى ٤٣٧هـ شرحًا على الجامع الصغير في الفروع لمحمد بن الحسن الشيباني الحنفي المتوفى ١٨٩هـ ، وذكر أن له شرحًا آخر على الجامع الكبير في الفروع لمحمد بن الحسن أيضًا . (كشف الظنون ١/ ٥٦٨) . ولعله قد اختلط على صاحب كشف الظنون هنا محمد بن علي الشهير بابن عبدك أو العبدكي بجده عبدك صاحب الإمام محمد بن الحسن .

(٢) أعيان الشيعة : ج٤٥/ ٤٣٧- ٤٣٨ (المجلد التاسع) .

ناقلًا عن الفهرست للطوسي ، فقال : « لابن عبدك هذا كتب كثيرة ، منها كتاب « تفسير القرآن » كبير حسن ، له كتاب « الرد على الإسماعيلية » . وفي « معالم العلماء » : تصانيفه : التفسير عشرة أجزاء ، مطلع الهداية ، الرد على الإسماعيلية ، الكلام في الفرقة المثبتة لرؤية اللّٰه تعالى »[(١)] .

وكتابه هذا المعنون بـ « الكلام في الفرقة المثبتة لرؤية اللّٰه تعالى » يؤكد مذهبه الاعتزالي في نفي رؤية اللّٰه تعالى ، وهو يريد بها هنا أهل السنة .

وأما أبو جعفر بن قبة الرازي ، فهو من متكلمي الشيعة الإمامية أيضًا ، قال عنه ابن شهرآشوب : « محمد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي أبو جعفر المتكلم الفحل ، له كتب في الإمامة ، منها كتاب « الإنصاف » ، « المستثبت نقض كتاب المسترشد للبلخي » ، « التعريف في مذهب الإمامية وفساد مذهب الزيدية » ، « نقض كتاب الإشهاد لأبي زيد العلوي »[(٢)] .

أما أبو عبد اللّٰه بن رزام الكوفي ، فلم أتمكن من الوقوف على ترجمة له ، إلا أن ابن النديم ذكر كتابه في الرد على الإسماعيلية في الفهرست ، ونقل عنه[(٣)] . وكنت قد مررت بذكره في مواضع من كتاب « تاريخ التراث العربي » لسزگين ، وبعض كتب الدكتور علي النشار ، و« الفرق بين الفرق » للبغدادي .

---

(١) السابق : ٤٥/ ٤٣٨.

(٢) معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم قديمًا وحديثًا ، تتمة كتاب الفهرست للشيخ أبي جعفر الطوسي ، تأليف محمد بن علي شهر آشوب المازندراني ، المتوفى ٥٨٨هـ - المطبعة الحديرية - النجف ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م ص ٩٥، ٩٦.

(٣) انظر فهرست ابن النديم : ٢٦٤. المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٣٤٨هـ.

وراح عني الآن ذكرها .

وأما أبو زيد محمد بن عيسى بن محمد العلوي الحسيني فقد يستفاد من لقبه (العلوي الحسيني) أنه أيضًا من جملة الشيعة ، ولم أتمكن من الحصول على ترجمته ، ولكن مر بنا في النص السابق في ترجمة أبي جعفر بن قبة الرازي أن له كتابًا في نقض كتاب « الإشهاد » لأبي زيد العلوي ، فلعل هذا الأخير هو شيخ المؤلف (أبو زيد محمد بن عيسى بن محمد العلوي الحسيني) . ونقل كتاب « الإشهاد » هو المقصود بإشارة المؤلف . واللّٰه أعلم بالصواب .

فإذا ما عاودنا النظر مرة أخرى في نص كلام صاحب المخطوط الذي بين أيدينا قبل ذكره لأسماء العلماء السابقين ، وفي عيادته : « وما بينه شيوخنا ...» ، خرجنا للوهلة الأولى بأن مؤلف هذا الكتاب في إعجاز القرآن هو نفسه من علماء الشيعة الاثنا عشرية ، قد يرشح لهذا أنه في مواضع كثيرة من المخطوط كلما جاء ذكر النبي ﷺ ، أتبع ذلك بالصلاة عليه وعلى آله ، إلا أنه قد يعكر صفو هذا الاستنتاج أني وجدته في موضع آخر يرد على الإمامية بما يكشف عن أنه ليس منهم[1] .

وقد أوقعني هذا في شيء من الحيرة ، إذ كيف يفتتح كتابه بذكر شيوخه وهم من علماء الشيعة ، ثم نجد في ثنايا كلامه ما يصرح بأنه ليس من الشيعة ؟! مع ما يرد في ثنايا كتابه من إتباع الصلاة على النبي ﷺ بالصلاة على الآل

(١) انظر المخطوط ص ٢٨ س ٣ ، ١٧٩ س ١ ، ١٨٠ س ٧ من أسفل.

أيضًا الأمر الذي لم يتخلف في موضع واحد من الكتاب !

والذي يظهر لي أن صاحب هذا المخطوط من طائفة المعتزلة لا الشيعة، وإن كان بعض شيوخه من الشيعة، والمتتبع لتراجم علماء الشيعة يجد أن جلهم كانوا ينتحلون مذهب المعتزلة في العقيدة، وقل أن نجد ترجمة لأحد علمائهم البارزين إلا ونجده في أصوله ينتسب إلى المعتزلة، وقد بدأ التقارب بين الطائفتين، وبخاصة بين الشيعة الاثنا عشرية ومعتزلة بغداد قبل عصر المؤلف.

ومما يقوى أن صاحب هذا المخطوط معتزلي أكثر منه شيعي - وإن لم يخل من ميول شيعية - أنه في بيانه لمباينة القرآن لغيره من كلام البشر وارتفاعه في ذلك عنه قال عقيب ذلك: «وعلى هذا تجد فيه الوعد والوعيد وأدلة العدل والتوحيد»[1]، والعدل والتوحيد، والوعد والوعيد من أصول المعتزلة المميزة، وقد سبق كلام صاحب أعيان الشيعة في إطلاق لقب «الوعيدية» على المعتزلة من أتباع عمرو بن عبيد. وقد ورد في المخطوط الذي بين أيدينا ذكر بعض شيوخ المعتزلة عند المؤلف مثل أبي الهذيل العلاف[2]، والجاحظ، ونقل المؤلف نصوصًا من كتاب الجاحظ: «الفرق بين النبي والمتنبي»[3].

أما ما ورد من إتباع المؤلف الصلاة على النبي ﷺ بالصلاة على آله فلا يلزم منه أنه شيعي، فهناك غير واحد من أهل العلم السابقين يسلك هذه العادة بإتباع

---

(١) المخطوط : ص ١٣٨ .

(٢) المخطوط : ص ١٥٨ .

(٣) المخطوط : ص ١١، ١٨ س٢ .

(١) المخطوط : ١٤٦ - ١٤٧ .

الصلاة على النبي الصلاة على الآل ، وإن لم يكونوا من الشيعة ، وقد يكون هذا تصرفًا من ناسخ الكتاب . واللّٰه أعلم بالحال .

٣- من الإشارات - بين ثنايا كلام المؤلف - التي فيها وصف لحال عصره ما ذكره من عز الإسلام في زمانه وانتشار الفتوح الإسلامية وعمومها الأنحاء المعروفة ، ودخول بلاد العرب كلها ، والعجم أيضًا في زمانه في الإسلام ، وأن الفتوح ما زالت مستمرة ؛ إذ يقول المؤلف : « ثم أنجز اللّٰه وعده لنبيه ﷺ بإظهار دين الإسلام ونشر دعوته في الآفاق ، وطبقت الشرق والغرب ، وعمت العجم والعرب ، وتخلصت إلى الروم والهند والترك من بلاد الإسلام . والفتوح الآن متصلة ترد بها الأخبار من النواحي والأقطار ، فأما بلاد العرب والعجم بحمد اللّٰه ومنه قد صارت كلها بلاد الإسلام ، ولم يبق أهل ملة من الملل ولا أمة من الأمم إلا نفذ فيها حكم الإسلام حتى صار هذا الدين أعلى الأديان كلمة ، وأرفعها حكمة ، ولو كره المشركون »[(١)] .

٤- يبدو للناظر في هذا المخطوط أن مؤلفه كان على ثقافة كلامية واسعة ، واطلاع على كتب أصحاب الديانات المخالفة من اليهود والنصارى ، ونجده ينقل عن هذه الكتب ويحاج أصحابها[(٢)] .

وقد أبان المؤلف من الصفحات الأولى أن غرضه من كتابه هذا الإبانة عن معجزات نبينا ﷺ والاحتجاج لها ، وأنه لا يطمع في الزيادة على ما قاله السلف

(٢) انظر المخطوط : ١٨٢ - ١٩٠ .

(١) المخطوط : ٢ .

غير أنه سيدلي بدلوه أيضًا[١]. فكان حديثه الطويل عن إعجاز القرآن الكريم الذي استغرق حوالي مائة وستين صفحة من الكتاب البالغ مائة واثنتين من الصفحات[٢]. وقد أشار المؤلف من بداية حديثه أنه لن يقتصر على ذكر القرآن معجزة له ﷺ، وأنه سيفرد في كتابه – إن يسر الله – بابًا لذكر المشاهير من معجزاته ﷺ سوى القرآن[٣]. وقد عاد بالفعل إلى ذكر ذلك بعد فراغه من الحديث عن إعجاز القرآن، وإن كان في صفحات قليلة[٤].

٥– ومن بين الإشارات في ثنايا كلام المؤلف – التي لعلها تساعد أيضًا في تحديد أحوالِ عصره – تعجبه من بعض من كان يتعاطى الفصاحة في زمانه ويدعي البلاغة، ومع ذلك يبدي إعجابه بكلام لطليحة الأسدي المتنبئ. يقول المؤلف: (وقد رأيت بعض من يتعاطى الفصاحة ويدعي البلاغة من أهل عصرنا هذا يعجب بفصل يحكيه عن طليحة الأسدي وهو: «ما يفعل الله بتعفير خدودكم، وفتح أدباركم. اذكروا الله أعفة[٥] قيامًا». وكان يقول: ما هذا بكلام رذل، وكان يرشح به ما كنت أقدر أنه منطو عليه)[٦].

لكن متأدبي عصره ليسوا كلهم من هذا النوع، فمنهم من يتمتع بذوق أدبي رفيع، ومن هؤلاء من يشير إليه المؤلف في حديثه عن «التجنيس» يقول:

---

(٢) انظر الفهرست التفصيلي لمسائل هذا المخطوط الملحق بهذا البحث.

(٣) انظر المخطوط: ٢٣ س ٨ من أسفل.

(٤) انظر المخطوط: ١٦٠.

(٥) كذا بالمخطوط.

(٦) المخطوط: ٣٣ س٦ من أسفل.

(وسمعت بعض أهل الأدب يقول : إن القليل من التجنيس يحسن الكلام ، والإكثار منه يسلب الكلام بهجته . قال : ومثله كمثل الخال في الحسناء ، في أنه يزيدها حسنًا ، فإن كثرت الخيلان حتى تستولي على عامة جسدها كستها الوحشة ، وسلبتها البهجة . وصدق فيما قال ...)[1] .

٦- وهذا يجرنا إلى سمة بارزة في أسلوب مؤلف هذا الكتاب - يلمسها كل من له بصر بصناعة النقد والبلاغة - هي نصاعة أسلوبه ، وبيانه العربي الفصيح ، الذي لم تؤثر عليه أساليب المتكلمين ومصطلحاتهم . فإن كان صاحب هذا المؤلف على درجة عالية من صناعة الكلام والجدل - كما قيل عنه - فهو من ناحية أخرى ذو شأو عال في الأدب وذوق الكلام والتفريق بين جيده ورديئه ، والبصر بنقد الشعر والكلام ، ومعرفة طبقات الحسن فيه . وهذا واضح كل الوضوح فيما ساقه من حديث حول إعجاز القرآن ، وما تضمنه من صور البديع ، وهو ما لفت نظري إليه ، وجعلني أُقدم على هذه المحاولة لتمهيد السبيل إلى درسه ، بالتعريف به ، وبيان طبيعته وخصائصه ، وإبراز محتوياته ، وقيمته النقدية والكلامية .

---

(١) المخطوط : ١٢٦ .

- ب -

إعجاز القرآن في النظم والفصاحة معًا:

يرى المؤلف أن إعجاز القرآن لا يمكن أن يكون في النظم فقط، أو في الفصاحة فقط، وأن الإعجاز فيهما - مقترنين - معًا. يقول المؤلف: «اعلم أن من الناس من ذهب إلى أن القرآن لم يتعذر الإتيان بمثله لشيء من أوصافه، وإنما الإعجاز هو الصرف عنه، ومنهم من قال: إن الإعجاز هو في الفصاحة المجردة، وأنها قد بلغت الحد الذي يتعذر الإتيان بمثلها على جميع البشر. وهذا قول الأكثر من المتكلمين. ومنهم من ذهب أن الإعجاز إنما هو في النظم المخصوص الذي تميز به القرآن عما سواه. ومنهم من ذهب إلى أن الإعجاز فيهما جميعًا أعني النظم مع الفصاحة البالغة أعلى طبقات الفصاحة. وهذا هو الذي يصح عندي ويتضح لدي[1]».

ومن يتأمل مصطلح «النظم» في عبارة المؤلف - هنا - يتبين له بعد شيء من النظر المتأني أنه لا يريد به المعنى الذي شاع عندنا، والمشهور عن شيخ البلاغة العربية عبد القاهر من أنه وضع الكلام على مقتضى قوانين النحو[2]، وإنما يريد به ما يقرب من دلالة مصطلح «الأسلوب» في النقد المعاصر، وسياق كلامه في نقل أقوال العلماء في مسألة الإعجاز يكشف عن ذلك، فنجده يجمع

(١) المخطوط: ٩٧، ٩٨.

(٢) انظر دلائل الإعجاز: ٨١، تحقيق محمود محمد شاكر - ط الأولى - مكتبة الخانجي - مصر ١٩٨٤م.

بين مصطلحي « نظم » و « أسلوب » ، ويستعملهما بنفس المعنى ، يقول المؤلف في معرض رده قول أصحاب « الصرفة » : « ... لأن « الصرف » لم يقع منه عن جميع الكلام ، وإنما وقع عن كلام له صفة مخصوصة ، وتلك الصفة لا بد أن يكون هو الأسلوب أو الفصاحة أو هما جميعًا ... والذي يبين صحة ما اخترناه وادعينا صحته أنه لا يخلو من أن يكون الإعجاز فيه تعلق بالأسلوب المجرد ، أو الفصاحة المجردة ، أو بهما جميعًا ، ولا يصح ادعاء من يدعي تعلقه بالنظم والأسلوب فقط ، لأنا نعلم ضرورةً أنّ تميز نظم القرآن عن سائر أساليب الكلام المنثور كأسلوب الخطب ، وأسلوب الرسائل ، وأسلوب كلام الكهنة وأسجاعهم ، وأسلوب المحاورات ، ليس بأكثر من تميز بعض هذه الأساليب عن بعض . وقد علمنا أن من تقدم في هذه الأساليب حتى بلغ فيها الغاية لا يجوز أن يتعذر عليه الأسلوب الآخر حتى لا يمكنه أن يأتي بشيء منه ، وإن لم يمكنه التصرف فيه وبلوغ الغاية كما أمكنه في النظم الآخر . بيان ذلك أن الخطيب المصقع ، وإن تعذر عليه إنشاء الرسائل على الغاية التي تطلب لها ، فليس يتعذر عليه جملة ، بل لا بد من أن يتمكن من إنشائها في الطبقة الدنيا والوسطى . وكذلك من تقدم في صناعة الرسائل ، هذا حكمه في الخطب . وكذلك المقدم في المحاورات المتناهى فيها . فإذا ثبت ما بيناه صح ووضح أن من تقدم وبرع في بعض هذه الأساليب حتى فاق نظراءه وقرع أكفاءه لا يتعذر عليه الإتيان بأسلوب القرآن في الطبقة الدنيا ، فيصح بما بيناه أنه لا يمكن أن يقال : الإعجاز تعلق بمجرد النظم ، ولا يمكن أن يقال إنه تعلق بمجرد الفصاحة ...»[١] .

(١) المخطوط : ٩٨ ، ٩٩ .

والمتأمل في هذا النص، وفيما ورد فيه من تكرار هذه المصطلحات: «أسلوب، وأساليب، ونظم» يطمئن إلى أن المؤلف يريد بها معنى واحدًا. فالكلام العربي - عنده - يأتي على أساليب مختلفة، ومن هذه الأساليب الرسائل، والخطب، والمحاورات، والأسجاع، ولا يكاد يخرج كلام منشئ أديبٍ عن أسلوب من هذه الأساليب، أو بعبارة أخرى عن نظم من هذه النظوم.

وهذا الحصر لأساليب الكلام العربي - عنده - أو نظومه، ذكرني بما رأيته قريبًا منه عند الراغب الأصفهاني في مقدمة كتابه «جامع التفاسير»، حيث جعل أقسام النظم خمسة: الأول: أن يضم المتكلم حروف التهجي بعضها إلى بعض حتى تتركب منها أقسام الكلمة الاسم والفعل والحرف. والثاني: ضم هذه الكلمات معًا حتى تنتظم منها الجمل المفيدة، وهي النوع الذي يتداوله الناس جميعًا في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم، وهو المنثور من الكلام. والثالث: أن يراعى بعض الصنعة في ضم الكلمات بعضها إلى بعض، فيظهر فيه بعض التعمّل وهو ما يسمى بالمنظوم. الرابع: أن يراعى في أواخر الكلمات التسجيع فيخرج «المسجع». الخامس أن يراعى إلى جانب التسجيع الوزن فيخرج له الشعر[1].

ثم يعلق الأصفهاني على هذه القسمة الخماسية للنظم بقوله: «وبالحق صار كذلك؛ فإن الكلام إما منثور فقط، أو مع النثر نظم، أو مع النظم سجع، أو

(١) انظر: مقدمة جامع التفاسير للراغب الأصفهاني: ١٠٦، ١٠٧. تحقيق د. أحمد حسن فرحات - دار الدعوة - الكويت. د ت.

مع السجع وزن . والمنظوم : إما محاورة . ويقال له : الخطابة ، أو مكاتبة ، ويقال لها : الرسالة ، وأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الجملة . ولكل من ذلك نظم مخصوص »[(١)] .

الإعجاز بالصرف : يرفض المؤلف أن يكون إعجاز القرآن في « الصرفة » ، وهو يرد على هذا المذهب بالإبطال بحجج واضحة جلية ، ويناقش أصحابه بما يكشف عن فساد زعمهم . يقول المؤلف : « فأما قول من يقول : إن الإعجاز في الصرف عن القرآن فهو عندي بعيد جدًّا ؛ لأن الصرف عن الشيء يمكن أن يُدَّعَى إذا علم أنه مقدور عليه غير متعذر وجود مثله ممن ادَّعَى أنه مصروف عنه . وليس هاهنا ما يبين أن الإتيان بمثل القرآن كان ممكنًا للعرب غير متعذر عليهم ، بل قد دلّلنا على خلاف ذلك ، فبانَ سقوطُ قول من ادعاه .

وأيضًا القول بذلك يؤدي إلى أن لا يُعرف الفرق بين ما يتعذر على الناس وبين ما لا يتعذر ؛ لأنه لو جاز لهم أن يقولوا إن العرب صُرفوا عن الإتيان بمثل القرآن ، فإن لم يثبتْ تأتيه منهم لجاز أن يقال : إن الناس صُرِفوا عن فعل الأجسام والألوان والحياة والقدرة ، وإن لم يثبت أن شيئًا منه متأت منهم ، وهذا واضح السقوط ، فكذلك القول في الصرف عن القرآن »[(٢)] .

ونجد المؤلف يستقصي بيان تهافت حجج من قال بالصرفة في إعجاز القرآن ، فيتوجه إلى بعض شبههم ويبين عما فيها من السقوط ، فيناقشهم في دعواهم أن العربي يقدر أن يقول : « الحمد لله » ، وأن يقول : « رب العالمين » ،

---

(١) السابق : ١٠٧.

(٢) المخطوط : ١٠٦.

ولا يتعذر عليه أن يقول : « الرحمن الرحيم » ، وهكذا إلى آخر القرآن ، ثم إذا أراد أن يأتي بمثل القرآن فإنه لا يستطيع ، فكيف كان ذلك ؟ إن هذا ليس له عندهم إلا تفسير واحد : هو صرف اللّه لهم عنه .

ويتجه المؤلف إلى إبطال هذه الشبهة بكلام ناصع البيان والحجة يكشف عن ذوق أديب عالم ؛ يقول المؤلف : « وأما سؤال من يسأل من أهل هذه المقالة فيقول : إذا كان الإنسان قادرًا على أن يقول : « الحمد للّه » ، ويتأتى منه أن يقول : « رب العالمين » ، وغير متعذر عليه أن يقول : « الرحمن الرحيم » ، ولا أن يقول : « مالك يوم الدين » ، ثم كذلك إلى أن يأتي على جميع القرآن ، فما الذي يمنعه من الإتيان بمثله ؟ ومتى يحصل التعذر ، عند أولى الكلمة[1] ، أو عند الثانية ، أو الثالثة ، أو ما بعدها ، وذلك مما لا يصح ، فيثبت أن الإعجاز هو الصَّرفُ - فإنه[2] من ركيك السؤال ؛ لأنا قد بينا فيما تقدم أن إنشاء الخطبة أو الشعر أو الرسالة - ونظم القرآن في أعلى طبقات الفصاحة - يحتاج إلى علم زائد على العلم بالنظم والفصاحة ، وأن ذلك العلم الزائد هو الذي يعبر عنه بالطبع ، فلا وجه لهذا السؤال .

على أنا نوضح سقوطه بأن نقول لهذا السائل : أليس قد علمت أن كل أحد ممن يعرف لغة العرب يمكنه أن يقول : « فإنك » ، ويمكنه أن يقول : « كالليل » ، ويمكنه أن يقول : « الذي » ، ولا يتعذر عليه أن يقول : « هو مدركي ، ويتأتى منه أن يقول : وإن خلت أن المنتأى » ، ولا يتعذر أن يقول : « عنه واسع » ، أفترى أن كل من يعرف لغة العرب يمكنه أن يأتي بمثل قول النابغة :

---

(١) كذا في المخطوط . ولعلها : الكلمات .

(٢) قوله : (فإنه من ...) جواب قوله سابقا : (وأما سؤال من يسأل ...) .

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

فيقال له : فمتى يحصل التعذر له عند أول لفظة أو عند الثانية أو الثالثة أو ما بعدها ! ثم يلزم ذلك في جميع أشعار العرب وخطبهم .

وهذا فساده أظهرُ من أن يُحتاج له إلى الإطناب ، ولا بد لهذا السائل من الرجوع إلى ما تقدم من جوابنا . ولهذا قالوا : إن الشاعر المفلق هو الذي ترمى قريحته بالبيت بعد البيت ، والمتوسط من يأتي بالمصراع بعد المصراع ، والمتكلف من يأتي بالكلمة بعد الكلمة حتى يؤلفها شعرًا . وليس الفاصل بين الشاعر الأول والثاني والثالث إلَّا العلوم التي أشرنا إليها المعبر عنها **بالطبع** . وهكذا أحوال الخطباء والمترسلين ، منهم من يستجيب طبعه إلى أن يأتي بالفصول بعد الفصول ، والأسجاع بعد الأسجاع ، بحيث لا يكاد يتسلسل عليه ماء العذوبة ، ويبعد عن التكلف والتعسف . ومنهم من يؤلف الكلمة إلى الكلمة ، والسجعة إلى السجعة متعمدًا لها حتى تكاد تنادي على نفسها بأنها متكلفة متعسفة ، فليس الفاصل بينهم إلا الطبع[1] .

وهذه الإجابة الشافية بناها المؤلف على ما أسماه بعلم « الطبع » ، وأنه شيء آخر وراء العلم بالنظم والفصاحة . وهو كلام هام يجب التوقف عنده ، فلا يكفي للواحد أن يكون عالمًا بالنظم وبعلم الفصاحة حتى يتيسر له الإتيان بما يريد من نظم ، بل لا بد له من هذا العلم الثالث الذي سماه المؤلف « علم الطبع » .

وهو يعني عنده ما يقرب من قولنا : « الملَكة » ، أو الموهبة ، وهي القدرة على إنشاء النص الفصيح ، وهذه الملكة شيء آخر بخلاف العلم بالقواعد

(١) المخطوط : ١٠٧ ، ١٠٨ .

والقوانين، وهي تحتاج إلى ممارسة، مَثَلُها مثلُ المهن الأخرى والصناعات[(١)]؛ ولهذا رغم علم الأئمة الكبار بقوانين النظم والشعر فلم يمكنهم الإتيان بمثل شعر امرئ القيس مثلًا. يقول المؤلف: « ...إنا نعرف من حال الخليل والأصمعي ومن جرى مجراهما أنهم كانوا يعرفون الفصاحة، ولم تكن تتعذر عليهم، وكانوا يعرفون وزن الشعر، ولم يكن يتعذر، ومع هذا نعلم أن واحدًا منهم لم يكن يمكنه أن يأتي بمثل أشعار امرئ القيس والنابغة والأعشى فمن دونهم من فحول الشعراء، وليس السبب فيه إلا ما ذكرنا[(٢)]. ولهذا نجد من تفاصح في كثير من أجناس النظم إذا طلب منه نظم القرآن سقط دون غرضه وهبط دون مرتقاه، وليس ذلك إلا أنه يفقد العلم الذي معه يصح إيقاع الفصاحة في هذا النظم المخصوص[(٣)] ».

ويرى المؤلف أن الإعجاز لو كان من جهة « الصرف » لكان « الصرف » هو المعجز، ولم يكن القرآن نفسه، والأمر بخلاف ذلك، فالإجماع على أن معجزة رسول الله ﷺ هي القرآن. ويستدل على ذلك بالقرآن والأثر؛ يقول المؤلف: « على أن الإعجاز لو كان من جهة الصرف لكان الصرف هو المعجز، ولم يكن القرآن معجزًا، وهذا خلاف ما يعرف من دين المسلمين؛ لأن المسلمين مجمعون على أن الله تعالى جعل القرآن معجزًا لنبيه ﷺ، ويدل على ما قلناه أيضًا من كون القرآن في نفسه معجزًا ما حكى الله تعالى، حيث يقول: ﴿ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر﴾. وما ذكر من

(١) انظر كلام المؤلف في هذا: ١٠٣ - ١٠٥.

(٢) الإشارة في كلام المؤلف يقصد بها فقد هؤلاء الأعلام لما يلزم لمثل هذا العمل، وهو ما سماه بـ« علوم الطبع »، وهي عنده - كما أشرنا - ملكة أخرى وراء مجرد العلم بالفصاحة.

(٣) المخطوط: ١٠٥.

اجتماع أبي جهل وعتبة بن ربيعة في ملأ من قريش يتعجبون من القرآن حتى قالوا : يحتاج إلى رجل يعرف الشعر ، ويعرف كلام الكهنة . فقال عتبة بن ربيعة : أنا لذلك ، ومضى إلى رسول الله ﷺ ، فتلا عليه قوله تعالى : ﴿ حم تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ ، حتى مر في السورة ، وانتهى إلى قوله : ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ . فقام مرعوبًا مدهوشًا وقال : سمعت الشعر ، وسمعت كلام الكهنة ، وما هذا شيئًا من ذلك !

وإلى سائر ما يذكر من تحيرهم في أمر القرآن ، فلو كان القرآن أمرًا لا يتعذر مثله على العرب ، وإنما صرفوا كان لا يتعجب منه المتعجب ، ولا يحار فيه الحائر ، وإنما كان يكون التعجب والحيرة في صرفهم . ألا ترى أن نبيًّا لو قال : « معجزتي أن أكلمكم اليوم إلى المساء بما تكرهون ، فلا يمكن لأحد منكم أن يجيبني ؛ لأنكم تصرفون عنه ، كان الإعجاز في صرفهم ، وهو الذي يكون أعجوبة ، وفيه يحار من يحار ، دون مخاطبته المعهودة لهم . وكذلك يجب أن يكون حال القرآن والصرف على أوصافهم لو كانت صحيحة . وفي جرى الأحوال على خلاف ذلك دلالة على فساد قولهم[(١)] » .

وللمؤلف في ختام مجادلته أصحاب الصرفة قول غريب يصيب قارئه بالدهشة ، وهو أنه لا يبعد عنده أن يكون الإعجاز بالصرفة قد وقع في السور القصار من القرآن . وحجته أن مثل هذه السور في نظمها وفصاحتها لا يتعذر ؛ يقول المؤلف : « فأما السور القصار فليس يبعد عندي أن يقال : إنهم صرفوا عن الإتيان بمثلها ، إذ ليس يظهر لنا في نظمها وفصاحتها ما يمكن أن نقول : إن الإعجاز يتعلق به . وهذا فيه نظر . واللهَ أسأل حسنَ التوفيق »[(٢)] .

(١) المخطوط : ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٢) المخطوط : ١٠٩ .

ونهاية كلام المؤلف في قوله: (وهذا فيه نظر ...) توحي بشيء من التردد في حكمه الذي سلف، وأنه لم يقطعه قطعًا، وأنه مجالٌ لإعادة النظر واستيفاء البحث، ومن هنا كان توجهه إلى الله بطلب حسن التوفيق.

فصاحة القرآن:

اهتم المؤلف ببيان أن القرآن في أعلى درجات الفصاحة، وذكر أن هذا لا يتضح إلا ببيان جمل من أقسام الفصاحة، ثم بيان أن نظم القرآن محتو عليها مع مزيته المتفردة في ذلك. يقول المؤلف: «الكلام في بيان أن القرآن في أعلى طبقات الفصاحة: اعلم أن هذا لا يتم إلا بأن نبين جملًا من أقسام الفصاحة، ثم نبين أن نظم القرآن مشتمل عليها، ونبين مزايا القرآن فيها، ونلحق بذلك ما يكشف عن غرضنا من هذا الباب كشفًا يوضحه ولا يبقى معه لمرتاد الحق شبهة بعون الله وحسن توفيقه»[(١)].

وكلامه عن أقسام الفصاحة في هذا الموضع من كتابه له أهميته عند الباحثين في تطور المصطلح البلاغي، وفي تاريخ مسألة إعجاز القرآن. وفيها ما يستحق الدرس والتأمل.

وأقسام الفصاحة عنده، كما ذكرها، هي:

- أن يكون الكلام مركبًا من اللغات الفاشية بين العرب التي لم يترذلها أحد.

---

(١) المخطوط: ١١٠.

- وأن يكون الكلام مؤلفًا من لغات ترتفع عن المبتذل السوقي ، وتنحط عن المتثقل الحوشي .
- وجزالة اللفظ وعذوبته .
- والاستعارات والتشبيهات .
- والإيجاز .
- والتجنيس .
- والتطابق .
- والفواصل (الأسجاع) .
- والتلاؤم .
- وحسن التصرف .

هذه هي الأقسام العشرة من أبواب الفصاحة التي ذكرها المؤلف على ترتيب ورودها في كلامه . وسنتوقف أمامها بشيء من الفحص ، ونحاول مقارنتها بما عند بعض معاصريه كالرماني والباقلاني .

أما الرماني ؛ فالبلاغة عنده على عشرة أقسام أيضًا ؛ هي حسب ترتيب ورودها في كتابه : الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان .

وبالمقارنة بينهما نجد أنهما قد اشتركا في ستة من هذه الأقسام هي :

الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس .

ولعل ما يسميه الرماني التصريف هو ما يسميه صاحبنا حسن التصرف، وما يسميه الرماني «البلاغة» هو ما يسميه صاحبنا «الفصاحة»؛ إذ لم يكن التخصيص للبلاغة بالمعاني، والفصاحة بالألفاظ معروفًا عند المتقدمين، حيث جروا على إطلاق المصطلحين «البلاغة، والفصاحة» مترادفين.

وقد عرف الرماني «البلاغة» بقوله: «وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في حسن صورة من اللفظ»[(١)]. وهذا التعريف نجد قريبًا منه في تعريف صاحبنا للفصاحة، حيث يقول: «اعلم أن أصل الفصاحة هو الإبانة عن المعنى المقصود بحسن البيان»[(٢)].

أما **الإيجاز**؛ فهو القسم الأول من أقسام البلاغة عند الرماني، وهو الخامس في ترتيب صاحبنا. ويلاحظ اشتراكهما أيضًا في قسمة الإيجاز إلى قسمين: إيجاز بالحذف، وإيجاز بالقِصَر، أي تقصير عدد الكلمات والحروف. قال الرماني: (والإيجاز على وجهين: حذف وقصر[(٣)]. فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام. والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف)[(٣)]. ويقول مؤلف المخطوط الذي بين أيدينا: (ومن أقسام الفصاحة الإيجاز، وذلك ينقسم قسمين: قد يكون بتقليل

(١) النكت في إعجاز القرآن : ٦٩ . ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - تحقيق د. محمد خلف الله أحمد و زغلول سلام - ط الرابعة - دار المعارف - القاهرة ١٩٩١م.

(٢) المخطوط : ١١٠ .

(٣) ضبطها محققا «النكت» للرمّاني بفتح القاف وإسكان الصاد. وأظن الصواب بكسر القاف وفتح الصاد. وهو ما يلائم سياق كلام المؤلف.

(٤) النكت : ٧٦ .

الحروف مع استيفاء المعنى ، وقد يكون بالحذف . والحذف يكون على أنحاء شتى) [1] .

ووجود هذه القسمة الثنائية للإيجاز في هذا المخطوط تجعل الباحث يتوقف مترددًا في قبول مقالة أن الرمانيَّ هو أول من ذهب إلى ذلك ، فقد يكون صاحب هذا المخطوط أسبق وانتقلت منه إلى الرماني ، وقد يكون العكس وأنها انتقلت من الرماني إليه . وهناك احتمال ثالث أن يكون الاثنان مشتركين في الأخذ عن مصدر ثالث سابق عليهما . وهذه احتمالات واردة لا يحلها إلا كشف هوية صاحب هذا المخطوط الذي بين أيدينا .

ويمكن القول بأن تناول المخطوط الذي معنا لهذا المبحث أعمق وأشمل من تناول الرماني لما ساقه من أمثلة .

وأما الباقلاني فلم يزد على أن اختصر كلام الرماني وساق أقسام البلاغة العشرة عنده دون ذكره صريحًا ، مشيرًا إليه ببعض أهل الأدب [2] .

التشبيه والاستعارة :

يلاحظ أن صاحب المخطوط الذي بين أيدينا جمع بين التشبيه والاستعارة في قسم واحد ، وعلل لذلك بأن كلًّا منهما قريب من الآخر ، وإن كان بينهما فضل تفاوت [3] .

---

(١) المخطوط : ١٢٠ .

(٢) راجع إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٦٢ - تحقيق السيد أحمد صقر - ط الخامسة - دار المعارف - القاهرة .

(٣) انظر المخطوط : ١١٥ .

وقد عرف كلًّا من الاستعارة والتشبيه مفرقًا بينهما ، فقال : (التشبيه هو أن يَذكر الشيء باسمه ويشبهه بغيره كقولك : زيد كالأسد شجاعة ، وكالبحر جودًا ، وكالبدر حسنًا ، والاستعارة أن ننقل إليه اسم الشيء المشبه به ؛ وذلك كقولك : « هو بدر ، وأسد ، وحمار إذا وصفته بالبلادة ، أو « كلب » إذا وصفه بالخساسة[(١)] » .

والمتأمل لهذا النص يجد أن المؤلف يطلق مصطلح « الاستعارة » على ما نعرفه باسم التشبيه البليغ . ونجده يستعمل مصطلح « الاستعارة » في مواضع أخرى بمعناها الذي استقر لها عند المتأخرين فنجده يقول مثلًا : « ومن الاستعارات الحسنة قوله تعالى : ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ ، وقوله : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ . فجمع بين الاستعارة الحسنة والجزالة البالغة والعذوبة الطلقة . وأخذ هذا المعنى الكميت فقال :

خفضت لهم مني جناحي مودة　　　إلى كنف عطفاه أهل ومرحب[(٢)]

ويقول : « ومن الاستعارات الحسنة العجيبة العذبة مع الجزالة قوله تعالى : ﴿ واشتعل الرأس شيبًا ﴾ ، فاستعار للابيضاض اسم الاشتعال مصبوبًا في قالبه مقصورًا عليه . وهذا من الفصاحة البالغة[(٣)] » .

ونجده يتوسع في إطلاق مصطلح الاستعارة حتى يشمل عنده ما يسميه المتأخرون بالمجاز المرسل أيضًا ، فعنده أن قوله تعالى : ﴿ اللّٰه نور السموات

---

(١) المخطوط : ١١٥.

(٢) المخطوط : ١١٥ .

(٣) المخطوط : ١١٧ .

والأرض﴾ من قبيل الاستعارة، حيث سمى الله سبحانه نفسه باسم «النور» لما كان سبحانه خالقه ومنشئه. يقول المؤلف: «وهذا من الاستعارة الحسنة وهو تسمية الفاعل بفعله». ومنه قول الشاعر:

ترعى إذا غفلت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار[(١)]

وهو في هذا متابع لابن قتيبة في استعماله «الاستعارة» بهذا المعنى، حيث يقول: «فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مجاورًا لها أو مشاكلًا ...»[(٢)] إلخ.

التلاؤم:

وحديث المؤلف عن «التلاؤم» أعمق أيضًا وأدق نظرًا منه عند الرماني. وعنده أن هذا «التلاؤم» هو العمدة في باب الفصاحة، وأنه يختلف عن باقي أبواب الفصاحة كلها، فهي جميعًا - عدا التلاؤم - يمكن التصنّع لها بالتعليم والتمرن واحتذاء آثار السابقين فيها، أما «التلاؤم»، فلا يمكن فيه مثل هذا؛ لأن مرجعه إلى الطبع المخصوص[(٣)].

والتلاؤم - عند المؤلف - درجة عالية فوق جودة السبك، ورصانة النظم، ينشأ عنها - كما يقول - «العذوبة والحلاوة، وعنه يكون حسن ديباجة الكلام، ولهذا تجد الكلام المنظوم أو المنثور جيد السبك رصين النظم نافرًا عن

---

(١) المخطوط: ١١٨.
(٢) انظر تأويل مشكل القرآن: ١٣٥، تحقيق السيد أحمد صقر - القاهرة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٩م.
(٣) انظر المخطوط: ١٢٩.

الطبع إذا لم تحصل له العذوبة التي يكون سببها التلاؤم»[1].

والتلاؤم عنده على أقسام، فهناك: تلاؤم الحروف، وتلاؤم الحركات والسكنات، وتلاؤم المعنى. «فإذا اجتمعت هذه الوجوه خرج الكلام غاية في العذوبة. وفي حصول بعضها دون بعض انحطاط درجة العذوبة عن الغاية»[2].

ويرى المؤلف أن كل أقسام الفصاحة إن وقعت في الكلام مع عدم تحقق التلاؤم كان ذلك تكلفًا ظاهرًا، وأن اليسير منها مع التلاؤم كثير القدر وشريفه. وكلام المؤلف هنا غاية في الإبانة، وفي الكشف عن ذوقه الأدبي الرفيع؛ حيث يقول: «وسائر أقسام الفصاحة مع عدم التلاؤم يعد تكلفا. وكلما ظهرت الصنعة أكثر كان الكلام أقرب إلى أن يكون تعسفًا. وإذا حصل التلاؤم عظم معه يسير الصنعة، وشَرُف تأليف الكلام ووضعه. ألا ترى إلى قول الشاعر:

تمتعْ من شَميم عَرارِ نَجدٍ ... فما بعد العشيةِ من عَرارِ

ألا يا حبذَا نفحاتُ نجدٍ ... ورَيّا رَوضِه بعد القَطارِ

لما حصل به التلاؤم حصل في النفس القبول التام، مع قلة الصنعة فيه. ومن ذلك قول القائل:

ولمّا قَضَيْنا من مِنًى كلَّ حاجةٍ ... ومسَّحَ بالأركانِ من هو ماسِحُ

وشُدّتْ على دُهمِ المَهارَى رِحالُنا ... ولم ينظُرِ الغَادي الذي هو رائحُ

---

(١) المخطوط: ١٢٩.

(٢) المخطوط: ١٣٠.

أخذْنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا وسالَتْ بأعناقِ المَطيِّ الأباطحُ

ألا ترى إلى ديباجته كيف حسنت وإلى عذوبته كيف ظهرت وإلى سلاسته كيف استُمرئت مع خلوه من الصنعة ووقوعه بالبعد عن التعمُّل؟

وهذا باب إذا تأملته في الأشعار والخطب والرسائل والمحاورات في الجد والهزل ، وضح لك بيانه ، وقام عندك برهانه[(١)] .

ويروي المؤلف أن « التلاؤم » متحقق في القرآن كله من أوله إلى آخره « وإن كان بعض الآيات في الطبقة العليا منه ، وبعضها في الطبقة الوسطى ، وبعضها في الطبقة الدنيا »[(٢)] .

ولم يَحُدّ لنا المؤلف حدود كل طبقة من هذه الطبقات ، ومن أين تبدأ ، وإلى أن تنتهي ، ولكنه ذكر عقيب ذلك كلامًا ينبئ عن أن التمكن من معرفة نقد الكلام تساعد على ذلك ، ولا سيما إن انضاف إليها طبع جيد لناقدِ الكلام . يقول - رحمه الله -: « وأهلُ هذا الشأن يختلفون في أجناس ذلك والتبين له ؛ فمن كان منهم أعرف بنقد الكلام كان إلى تبين ما ذكرنا أقرب ، فإن ساعده على ذلك الطبعُ الجيدُ كان في طريق تصوره أذهب . وقد يكون في أهل كل صناعة من الشعر والخطب والرسائل مَنْ إذا سمع كلامَ غيره عرفَ صاحبَهُ وميز بين طبعه وطبع غيره ؛ كما حكي أن جريرًا رأى ذا الرمة وهو ينشد قصيدة له أولها :

---

(١) المخطوط : ١٣٠ ، ١٣١ .

(٢) المخطوط : ١٣١ .

* بكت عيناك عن طلل بحزوى *

فقال له : ألا أمدك بأبيات تلحقها بشعرك ؟ فقال : بلى ، فقال :

يعد الناسبون بنى تميم   بيوت المجد أربعة كبارًا

يعدون الرباب وآل تيم   وسعدًا ثم حنظلة الخيارا

ويذهب بينها المرئي لغوًا   كما ألغيت في الدية الحوارا

ثم أنشد ذو الرمة هذه القصيدة للفرزدق مع هذه الأبيات ، فلما انتهى إليها قال له : مه ، فإن هذه الأبيات لاكها أشد لحيين منك ، فميز بطبعه بين شعره وشعر جرير[1] .

ونجد المؤلف يعقب على ذلك بأن هذا الأمر ظاهر بين أهله ، وأنه أورد هذا ليبين أن من لا يمكنه الوقوف بطبعه على حدوث التلاؤم والميزة في نظم القرآن ، فليس هو في هذا عائبًا للقرآن ، بل له هو ؛ لأن العيب في طبعه السقيم .

ونجده أيضًا يشير إلى أمر هام في هذا القسم ؛ أعني التلاؤم . إن إدراكه ، والتنبيه عليه بحيث يظهر واضحًا لكل من يعرف العربية لا يمكن إمكانية باقي أقسام الفصاحة ، لأن العمدة في هذا على الطبع ليس إلا[2] .

ثم ساق المؤلف بعد ذلك بعض الأمثلة منبهًا بها المبتدئ والشادي ، فالقرآن كله من هذا النمط ، ولا وجه لذكر آيات مخصوصة . وقد أجاد المؤلف في عرضه هذا بما يكشف عن ذوق رفيع ، وطبع رهيف في إدراك

---

(١) المخطوط : ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) انظر المخطوط : ١٣٢ .

أسرار هذا النظم الكريم[1] .

وهو في هذا الباب مختلف بعض الشيء عن الرماني في قسمة أنواع التلاؤم ؛ حيث التلاؤم – عنده – في الكلام على قسمين : تلاؤم في الطبقة الوسطى ، وتلاؤم في الطبقة العليا[2] .

وقد اتفقا في أن جعلا المقياس في إدراك هذا التلاؤم والفطنة إليه مردها إلى الطبع المرهف[3] .

الفواصل :

ونجد المؤلف يطلق عليها أيضًا « الإسجاع » ، ويذكر أن من الناس من كره تسميتها بالإسجاع إذا كانت في القرآن . وهو يقلل من هذا الخلاف فيقول : « ومن أقسام الفصاحة الفواصل وهي الإسجاع ، ومن الناس من كره تسميتها بالإسجاع إذا كانت في القرآن لكن بيان المراد يغنى عن الاشتغال بالتسمية[4] » .

والرماني من هذا الفريق من الناس الذي يرفض تسمية الفواصلِ الإسْجَاعَ ، ويرى أن الفواصل بلاغة ، والإسجاع عيب ، وعلل لذلك بأن الفواصل تابعة للمعاني ، أما الإسجاع فالمعاني تابعة له[5] .

---

(١) انظر المخطوط : ١٣٢ – ١٣٥ .
(٢) انظر النكت للرماني : ٩٥ .
(٣) السابق ٩٥ .
(٤) المخطوط : ١٢٧ – ١٢٨ .
(٥) انظر النكت : ٩٧ .

ومع تجويز صاحب هذا المخطوط إطلاق تسمية «الإسجاع» على فواصل القرآن، فهو يقيده بأنه ليكون من أبواب الفصاحة، فلا بد فيه من عدم التعسف أو التكلف، وأن يكون نابعًا عن الطبع، وعليه رونق الطلاوة، ولا تنبو عن الأسماع أو تمجه الأفهام[1].

والإسجاع على نوعين عنده: ما كان بحروف متفقة، وهذا يسمى سجعًا نحو: ﴿قل هو اللّٰه أحد اللّٰه الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد﴾. وما كان بحروف مختلفة، وهذا يسمى موازنة، نحو قوله تعالى: ﴿الحمد للّٰه رب العالمين الرحمن الرحيم﴾. فآخر الآية الأولى النون، والثانية الميم[2].

تلك هي القسمة الثنائية لفواصل القرآن عند الرماني، وإن لم يسمها التسمية السابقة، فقد ذكر أنها على وجهين؛ ما كان من الحروف المتجانسة نحو قوله تعالى: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى﴾، والآخر ما كان من الحروف المتقاربة، نحو: ﴿الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾ الميم والنون[3].

التجانس أو التجنيس:

التجنيس عند مؤلفنا هو نفسه ما سماه الرماني «التجانس»، وهناك بعض الاختلاف في تناوله عندهما، فهو عند الرماني على قسمين: تجانس مزاوجة

(١) المخطوط: ١٢٩.

(٢) انظر المخطوط: ١٢٨.

(٣) انظر النكت: ٩٨.

ومناسبة . فالمزاوجة نحو : ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾ ، ومنه : ﴿إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم﴾ ، أما المناسبة فمثل : ﴿يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ . وهذا الذي سماه الرماني تجانس المناسبة هو الذي يسبق إلى الأذهان اليوم وهو ما توافق عليه معظم النقاد والبلاغيين ، أما ما أسماه بتجانس المزاوجة فهو معدود في باب آخر من أبواب البديع يعرف بالمشاكلة[1] .

وقد ذكر صاحب هذا المخطوط أن الاستكثار من الحروف المجانسة يوجب للكلام نوعًا من التنافر ، وأن فن التجنيس لم يكثر في القرآن ، ولا في أشعار المتقدمين ولا المطبوعين من المتأخرين ، وأنه قد استكثر منه المتكلفون من المتأخرين ، ويذهب المؤلف إلى التقلل من إيراد هذا الجنس من أجناس الفصاحة ، وأنه إذا وقع نتفا صغيرة حسن ذلك وزاد الكلام بهجة يقول : (وسمعت بعض أهل الأدب يقول : إن القليل من التجنيس يحسن الكلام ، والإكثار منه يسلب الكلام بهجته) . وقال : ومثله كمثل الخال في الحسناء في أنه يزيدها حسنًا ، فإن كثرت الخيلان حتى تستولي على عامة جسدها كستها الوحشة ، وسلبتها البهجة . وصدق فيما قال ؛ لأن الاستكثار من الجمع بين الحروف المجانسة توجب في الكلام ضربًا من التنافر ؛ ألا ترى إلى قول الأعشى :

وقد عدوت إلى الحانوت يتبعني ... شاو مشلٌ شلُولٌ شُلشُل شَوِلُ

كيف ظهر عليه التنافر . وكذلك قول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

---

(١) انظر شرح عقود الجمان : ١١٠ ، ١١١ لجلال الدين السيوطي ، مطبعة مصطفى الحلبي – مصر ١٣٥٨هـ .

فأما إذا وقع ذلك في الكلام لمعًا ، فإنه يزيده حسنًا وبهجة ، فلذلك – والله أعلم – وجد في القرآن قليلًا ، ولم يكثر[1] .

حسن التصرف :

وهذا القسم من أقسام الفصاحة هو ما ختم به مؤلفنا حديثه عن أقسامها ، وهو يختلف عما أسماه الرماني « التصريف » ، وقد أفاض صاحب هذا المخطوط عما أسماه « حسن التصرف » ، وجعله من كبير أقسام الفصاحة ، وأنه من الأبواب التي لا يتوصل إليها بالتكلف والتعمل ، بل لا بد فيه من طبع خاص ، ومن هنا ظهر تفاضل الخطباء والشعراء وأصحاب الرسائل[2] .

وكلامه في هذا القسم ككلامه في سابقه « الملاءمة أو التلاؤم » ، يكشف عن ذوق أديب مرهف ، عالم ببواطن الحسن ، وتمايز تراكيب الكلام ، وهذا من أهم ما يلزم لمن يتصدى لبحث قضية إعجاز القرآن وبلاغته . ونجده يشير إلى وقوع التفاوت في كل كلام بشري مهما كان بليغًا ، فإنه سرعان ما يلحقه الوهن ، ويتسلل إليه الضعف ، ويمكن للناقد البصير كشف ذلك . أما القرآن فلا يمكنك من مبتدئه إلى منتهاه أن تجد شيئًا من هذا التفاوت . وكلام المؤلف هنا ثمين يُحتاج إلى نقله كله ؛ فأنا أحيل عليه في موضعه ؛ لضيق المقام ، وقد طالت بنا حبال القول ، فلعل فرصة أخرى تتاح لتقديم النص محققًا ، بإذن الله تعالى ، أو الجزء المتعلق منه بإعجاز القرآن . وهو سبحانه مصدر كل خير وولي كل نعمة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

* * *

(١) المخطوط : ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) انظر المخطوط : ١٣٦ .

فهرست تفصيلي

بموضوعات المخطوط

- ذم المؤلف لطائفة الباطنية التي ارتفع ذكرها في عصرها، وتنبيهه إلى باطلهم وكفرهم ص ١ - ٢، وانظر ص ٣٠ س ١٠ .

- غرض المؤلف في كتابه هذا الإبانة عن معجزات نبينا محمد ﷺ ص ٢.

- المؤلف يذكر أنه لا يطمع أن يزيد على ما قاله السلف في هذا الباب، وأن عمله ما بين بسط موجز كلامهم، أو إيجاز مبسوطه ص ٢.

- كلام للمؤلف على مدة الفترات بين آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ... صلوات الله عليهم ص ٣ - ٧ .

- زمن تأليفه لكتابه قبل أربعمائة سنة من مبعث النبي ﷺ ص ٧ س ٢.

- المؤلف يقدم أمام غرضه من الكتاب فصلًا ذكره علماء أهل البيت وغيرهم، وهو أن معجزة النبي لقومه تكون في شيء برعوا فيه ص ٧، ٨.

- باب البيان عن إعجاز القرآن ص ٨ س ٤ من أسفل .

- الإعجاز في القرآن مبني على أن التحدي بالقرآن قد وقع ص ٩ ، ١٠ .

- فصل في أن التحدي بالقرآن قد وقع ص ١٠ .

- قول ساقط لبعض الملحدة والمتهودة من المتأخرين أنهم لم يحصل لهم العلم بأن النبي ﷺ قد تحدى بالقرآن ص ١٠ س الأخير، ص ١١.

- الجاحظ خفف القول في «التحدي» في كتاب «الفرق بين النبي والمتنبي» لظهوره وبيانه. ص ١١، وسيذكر المؤلف هذا الكتاب ثانية ص١٨ س ٢.

- ابن الراوندي وكتابه الفرند ص ١١، وله ذكر في صفحات ٣٠ س ٦.

- ابن الراوندي وكتابه الزمرد في إبطال النبوات ص ١١، ٣٠ س ٨.

- الإعجاز تعلق بنظم القرآن كما تعلق بمعانيه ص ١٣ س ١٠ .

- البرهان على أن القرآن الذي بين أيدينا هو الذي تلاه النبي ﷺ على الناس دون زيادة فيه أو نقصان، وهو مبحث طويل الذيول ص ١٥ س ٤ من أسفل.

- قد يكون الصرف من عظيم المعجزات ص ١٩ س ٧ من أسفل.

- عامة آيات التحدي إنما هي في السور المكية ص ١٩ س ٦.

- الآثار الواردة في اجتماع مشركي العرب على التشاور والنظر في حال القرآن. وقول الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة أو أمية بن خلف، ص ١٩ س الأخير، ص ٢٠.

- المؤلف يذكر أنه سيفرد في هذا الكتاب - إن يسر الله - بابًا مفردًا لذكر المشاهير من معجزاته ﷺ سوى القرآن ص ٢٣ س٨ من أسفل.

- الكلام على أن معارضة القرآن لم تقع ص ٢٤ س ٤ من أسفل.

- تكذيب للإمامية في نصوصهم ص ٢٨ س ٣.

- كتاب «الدامغ في مطاعن القرآن». والاختلاف في مصنفه ص ٣٠ س ٥.

- كتاب التاج في قدم العالم لابن الراوندي ص ٣٠ س ٨.

- الباطنية في زمن المؤلف اتسعت أحوالهم وطعنهم وكفرهم ص ٣٠ س ١٠.

- سخافة المنقول من المعارضة للقرآن من قول مسيلمة وطليحة الأسدي ص ٣ س قبل الأخير، ص ٣١ س ١.

- في أيام المأمون ظهر الإلحاد ص ٣١.

- بعض كلام لمسيلمة أقل سخفًا من سابق له لاعتماده على القرآن ص ٣٣ س ٣.

- من عجيب ما اختص به القرآن أن الشاعر يدخل لفظة من القرآن في بيت شعره، أو الكاتب في فصل من كتابه، أو المحاور في فصل من محاورته فيكتسب ذلك البيت وذلك الفصل من العذوبة والرونق ما يصير غرة في سائره ص ٣٣ س ١٠ من أسفل.

- المؤلف يتعجب من فعل بعض من يتعاطى الفصاحة ويدعي البلاغة من أهل عصره في إعجابه بفصل لطليحة الأسدي المتنبي ص ٣٣ س ٦ من أسفل.

- لا يعرف حال الشاعر بالبيت الواحد والبيتين، ولا يعرف حال الكاتب بالفصل الواحد أو الفصلين أو الثلاثة ص ٣٤ س ٣.

- فصول لابن المقفع زعموا أنه عارض بها القرآن، ورد المؤلف على ذلك ردًا عنيفًا، وفيه كلام عظيم القدر في بيان معنى المعارضة ص ٣٤ - ٤٣.

– الفصيح قد يعدل عن التصريح إلى التلويح ، لكن على وجه يكون أبلغ من التصريح وأمثلة لذلك من القرآن . ص٣٥ س٤ من أسفل ، ص٣٦.

– الإعجاز تعلق بالنظم والفصاحة لا بالصرف ص ٣٨ س ٥.

– أهل طبرستان يستلذون خبز الأرز فوق استلذاذ خبز البر . ص ٤٣ س ٨، ١٠.

– التفاوت بين كلام البشر وكلام القرآن ص ٤٤ س الأول .

– علم المعارضات وطرقها كان أقوى علوم العرب ومعرفتهم ص ٤٨ س٦.

– أحوال الكلام لم تكن تخفي على العرب ص ٥٤ س ٥.

– الكلام في بيان أن القرآن يجب أن يكون معجزًا إذا تعذرت معارضته ص ٥٥.

– عدم معرفة المتقدمين الأوائل لمصطلحات البلاغة لا يعني تقدم المتأخرين وتأخر المتقدمين . وفيه كلام جيد جدًا . أواخر ص ٥٧ – ٦٢ .

– جواب المؤلف عن سؤال سخيف لبعضهم من أنه يجوز أن يكون القرآن كان قد تنزل على نبي قبل نبينا ﷺ ، ثم قام هو بقتله وأخفي حاله ص ٧٠.

– هل يمكن أن يكون مثل القرآن مقدورًا للجن والإنس ص ٧٢

– طعن المؤلف في صحة أشعار الجن وحكاياتها ص ٧٣ س ٩

– كلام هام للمؤلف أن القرآن لم يختص بالفصاحة فقط ، بل الذي اختص به هو النظم المخصوص والأسلوب المتميز واقعًا على طبقات الفصاحة ص٨٩، ٩٠، ٩٦.

– صاحب الموسيقى سبق الخليل في معنى العروض ص٩١

– الخليل سقط عنه أوزان وأضرب منها الوزن المسمى بركض الخيل ، وجاء عليه الشعر المنسوب إلى عمرو الجنى ص٩١ س٩ .

– قصيدة لبعض المحدثين على هذا الوزن مطلعها :

أنسيت فعالهم السمجا   فأراك بذكرهم لهجا

ص ٩١ س ٧ من أسفل .

– سقط من الخليل بن أحمد ضرب من وزن المنسرح وهو أن يقع في القافية مفعولان بدلًا من مفتعل ص ٩١ س ٤ من أسفل.

- عودة إلى الوجوه التي ادعى إعجاز القرآن بها ص ٩٧ س ٤ من أسفل.
- المؤلف لا يمنع أن يكون الإخبار بالغيوب من أوجه إعجاز القرآن ص ٩٦ س ٨ من أسفل.
- القائلون بالإعجاز بالصرف، وأن أكثر المتكلمين على أن إعجاز القرآن في الفصاحة المجردة ص ٨ س ١
- الإعجاز في النظم المخصوص ص ٩٨ س ٢
- اختيار المؤلف أن الإعجاز في النظم مع الفصاحة ص ٩٨، ٩٩ س ٣
- مصطلح «الأسلوب» يساوي في معناه مصطلح «النظم» عند المؤلف ص ٩٨ س ٧
- خطأ في آية قرآنية ص ١٠٠ س ١١
- كلام هام للغاية للمؤلف في الرد على من ادعى الإعجاز في الفصاحة في آية: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ ص ١٠٠
- الذي ذهب إلى أن وجه إعجاز القرآن في الفصاحة فقط هو من خفت بضاعته في معرفة كلام العرب ص ١٠١ س ١
- الذي من أجله لا يتعذر النظم هو العلوم التي يحصل بها ص ١٠٤ س ٣
- العلم بإيقاع الفصاحة في نظم مخصوص علم ثالث غير العلم بالنظم والعلم بالفصاحة ص ١٠٥ س ٤
- العلوم التي يعبر عنها بالطبع ص ١٠٥ س ٦
- الرد بقوة على من ادعى إعجاز القرآن في الصرفة ص ١٠٦
- علم الطبع علم زائد على العلم بالنظم والفصاحة ص ١٠٧
- الكلام في بيان أن القرآن ونظمه في أعلى طبقات الفصاحة ص ١١٠
- أصل الفصاحة الإبانة عن المعنى المقصود بحسن البيان ص ١١٠ س ٧ من أسفل
- من أبواب الفصاحة أن يكون الكلام مركبًا في اللغات الفاشية بين العرب التي لم يترذلها أحد ص ١١٠
- من أقسام الفصاحة أن يكون الكلام مؤلفًا من لغات ترتفع عن المبتذل السوقي، وينحط عن المستثقل الحوشي ص ١١١
- من أقسام الفصاحة جزالة اللفظ ص ١١٢

- من أقسام الفصاحة التشبيهات والاستعارات ص ١١٥
- من أقسام الفصاحة الإيجاز ص ١٢٠
- من أقسام الفصاحة التطابق ص ١٢٧
- من أقسام الفصاحة الفواصل ص ١٢٧
- من أقسام الفصاحة التلاؤم ص ١٢٩
- عز الإسلام ورفعته في زمان المؤلف ص ١٤٦ ، ١٤٧
- المؤلف يذكر أنه رأى من سخفاء الفلاسفة من يذكر أن الإنسان إذا اختبل أخبر بالغيب ص ١٥٥
- ذكر بعض معجزات للنبي ﷺ وردت بها الآثار ص ١٦٠
- ذكر لبعض الآثار التي يعتمد عليها مؤلفو الشيعة من ذكر ماء الحوْب وحديث : « تقتلك الفئة الباغية » ص ١٦١ - ١٦٢
- ذكر للقتيبي في أدب الكاتب ص ١٦٢ س ٤ من أسفل
- حديث المؤلف عن الإمامية يكشف أنه ليس منهم ص ١٧٩ ، ١٨٠ س ٧ من أسفل
- صاحب كتاب الزمرد ص ١٨٠ س الأخير
- ذكر لإبراهيم بن أدهم وشيبان الراعي وبشر الحافي ص ١٨٠
- نقول من المؤلف عن كتب أهل الكتاب بما يشير إلى ثقافته الواسعة في اطلاعه على كتب اليهود والنصارى ص ١٨٢ - ١٩٠
- رجوع إلى الحديث في التأكيد على إثبات النبوة له ﷺ وحتى آخر الصفحات التي بين أيدينا ص ١٩٠ - ١٩٢

* * *

شرح لامية العرب للتبريزي

د . محمود محمد العامودي*

لامية العرب من أنفس قصائد الشعر العربي ، وقد شرحها كثيرون ؛ منهم التبريزي ، والزمخشري ، والعكبري ، وغيرهم. ويعد شرح التبريزي (ت ٥٠٢هـ) من أقدم الشروح ، وقد اهتم فيه مؤلفه بشرح مفردات كل بيت ، وإعطاء المعنى الإجمالي له ، وهو يشير - غالبًا - إلى اختلاف الروايات في البيت الواحد ، وعلى هذا فإن شرحه قد جاء متميزًا ، حتى صار عمدة لمعظم الشُّرَّاح الذين جاءوا بعدُ .

---

* رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب - الجامعة الإسلامية (غَزَّة) .

تُعَدُّ لامية العرب للشنفرى من أنفس قصائد الشعر العربي ، لما حوته من معان جزلة ومفردات لغوية أصيلة وصور بلاغية رائعة ، ولما تصوّره من حياة الصعلكة التي عاشها صاحبها .

ولهذا انبرى لشرحها كبار علماء العربية من أمثال التبريزي والزمخشري والعكبري وابن أبي طي النجار وابن أبي لاجك التركي والغنيمي وابن زاكور الفاسي وعطاء اللّه المصري .

كما تناقلها أصحاب المختارات الشعرية من أمثال ابن طيفور وأبي علي القالي والخالديين وابن الشجري ، وغيرهم .

ويعد شرح الخطيب التبريزي من أهم هذه الشروح ، فهو من أقدم الشروح التي وصلت إلينا ، وقد اهتم فيه الشارح بشرح الألفاظ لغويًا ، وتوضيح المعاني العامة للبيت .

وقد حاولت في هذا البحث أن أخرج النص محققًا تحقيقًا علميًا ، ويعد هذا البحث استكمالًا لبحث سابق بعنوان : « شرح لامية العرب المنسوب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) : توثيق ونسبة » . وفيه أثبتُّ بما لا يدع مجالًا للشك أن قصيدة لامية العرب إنما هي للشنفرى ، وليست لخلف الأحمر (ت ١٨٠ هـ) ، كما أثبتُّ أن هذا الشرح لأبي زكريا يحيى بن علي ، المعروف بالخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) ، وليس كما هو مشهور ومتداول بين الباحثين من أنه لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) .

ومن المعلوم أن الخطيب التبريزي[1] هو أحد أئمة اللغة والنحو، فقد أخذ على أبي العلاء المعري وأبي القاسم عبيد الله بن علي الرقي وأبي محمد الحسن ابن رجاء بن الدهان وعبد القاهر الجرجاني وأبي القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان العكبري والمفصل القصباني، وغيرهم من الأئمة.

وأخذ عنه الجلة، كالخطيب أبي بكر أحمد بن ثابت مؤرخ بغداد، وأبي منصور موهوب الجواليقي والسلفي وأبي الفضل بن ناصر، وغيرهم.

وله مصنفات جليلة منها: «تفسير القرآن العظيم وإعرابه»، و«شرح اللمع»، و«شرح الحماسة» - ثلاثة شروح - و«شرح ديوان المتنبي»، و«شرح ديوان أبي تمام»، و«شرح سقط الزند»، و«شرح المفضليات»، و«شرح القصائد العشر»، و«شرح الدردرية»، و«تهذيب إصلاح المنطق» لابن السكيت، و«تهذيب الغريب المصنف» لأبي عبيد القاسم بن سلام، و«الكافي في العروض والقوافي»، و«مقاتل الفرسان»، و«مقدمة في النحو».

وتولى التدريس في المدرسة النظامية في بغداد، وكان حجة صدوقًا ثبتًا.

ولد سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، ومات فجأة سنة اثنتين وخمسمائة.

---

(١) انظر الترجمة الوافية له، التي صنعها د. السيد تقي عبد السيد في مقدمة كتاب «شرح اللمع»، للخطيب التبريزي. وانظر ترجمته في: نزهة الألباء ٣٧٢، والمنتظم ١٧/١١٤- ١١٥، وإنباه الرواة ٤/٢٨- ٣٠، ومعجم الأدباء ٢٠/ ٢٥، ومعجم البلدان ٢/ ١٣، ووفيات الأعيان ٦/ ١٩١- ١٩٦، والبداية والنهاية ١٢/ ١٧١، والكامل ٨/ ٢٥٨، وإشارة التعيين ٣٨٢، والبلغة ٢٤٠، والعبر ٢/ ٣٨٤، وبغية الوعاة ٢/ ٣٣٨، وطبقات المفسرين ٢/ ٣٧٢، وشذرات الذهب ٤/ ٥، ٦، والأعلام ٨/ ١٥٧، ١٥٨.

ويتلخص منهج التبريزي في شرحه في :

١- بدأ بعبارة « قال الأزدي ثم الأوسي لامية العرب »[١] ، ثم بدأ بعد ذلك بشرح البيت الأول للقصيدة ، بدون مقدمة .

٢- التزم في شرحه ترتيب الأبيات كما وردت في نص القصيدة .

٣- لم يقم بشرح مفردات الأبيات التالية : (١٥- ٢١- ٢٢- ٢٣- ٤٧) ، واكتفى بذكرها فقط حسب ورودها في نص القصيدة ، ولم يذكر البيت التاسع :

وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ

٤- غالبًا ما يقوم بشرح المفردات لغويًّا أولًا ، وبعد ذلك يعطي المعنى الإجمالي للبيت ، فمثلًا في البيت الثاني والأربعين :

وَأَعْدِلُ مَنْحُوضًا كَأَنَّ فُصُوصَهُ كِعَابٌ دَحَاهَا لَاعِبٌ فَهْيَ مُثَّلُ

يقول[٢] : « المَنْحُوضُ : القليل اللَّحْمِ . أَعْدِلُ ذراعًا منحوضًا أي قليلًا لحمه فأتوسده . وفُصُوصُهُ : فَوَاصِلُ عظامِهِ ، الواحدُ فَصٌّ . ودَحَاهَا : بَسَطَهَا .

شبهها في قلة لحمها وظهورها بكعاب ضُرِبَ فَمَثُلَتْ أي انتصبت ، وإنما يريد بهذا كله أنه قليل خفيف معصوب له عظامٌ شديدةُ القصبِ » .

٥- اعتمد في شرحه على القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي ؛

---

(١) شرح لامية العرب ٧ب .

(٢) شرح لامية العرب ١٦أ- ١٦ب .

ففي البيت الرابع والخمسين:

دَعَسْتُ عَلَى غَطْشٍ وبَغْشٍ وَصُحْبَتِي سُعَارٌ وَإرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفكَلُ

يقول[1]: والغَطْشُ: الظلمة، من قوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾[2]، قال الأعشى:

وَيَهْمَاءَ بِاللَّيْلِ غَطْشَى الفَلَا ةِ يُؤْرِقُنِي صَوْتُ فَيَّادِهَا

وفي البيت السادس:

هُمُ الأَهْلُ لَا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلَا الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

يقول[3]: «جعل الوحوشَ أهلًا له يعدل بهم عن أهله، وزعم أنهم لا يذيعون سره، ولا يتخذلون جانبًا لديهم إذا جر جريرة، وقال عليه السلام: «رحم الله من تكلم فغنم، وسكت فسلم».».

وفي البيت السابع عشر:

وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ أَلَفَّ إِذَا مَا رُعْتَهُ اهْتَاجَ أَعْزَلُ

يقول[4]: العَلّ: الصغيرُ الجسم، الكبيرُ الجوفِ، وأكثر ما يوصف به الكبيرُ، ويقال للقراد: عَلّ للطافته، وأنشد الأصمعي للمتنخل الهذلي:

لَيْسَ بِعَلٍّ كَبِيرٍ لَا شَبَابَ لَهُ لَكِنْ أُثَيْلَةُ صَافِي الوَجْهِ مُقْتَبَلُ

(١) شرح لامية العرب ١٧ب.

(٢) سورة النازعات ٧٩/ ٢٩.

(٣) شرح لامية العرب ٨ب.

(٤) شرح لامية العرب ١٠ب.

٦- أشار إلى الروايات المختلفة للبيت ، فمثلًا في البيت السابع :

وَكُـلّ أَبِـيٍّ بَـاسِـلٌ غَـيْـرَ أَنَّـنِـي إِذَا أَعْـرَضَـتْ أُولَى الطَّـرَائِـدِ أَبْـسَلُ

يقول[١] : ويروى : عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ .

وفي البيت الخامس والثلاثين :

وَتَشْرَبُ أَسارِي القَطَا الكُدْرُ بَعْدَمَا سَرَتْ قَرَبًا أَحْنَاؤُهَا تَتَصَلْصَلُ

يقول[٢] : « وروايتي : « أَحْشَاؤُها » ، وهو أجود عندي » .

لقد مَثَّلت لامية العرب حياة الصعلكة التي عاشها الشنفرى أصدق تمثيل ، فعبر بها عن مشاعره وأحاسيسه بصورة صادقة أمينة ، وتميزت بثراء لغوي ونحوي في مفرداتها وتراكيبها ، ويعد شرح التبريزي لهذه القصيدة أقدم شرح وصل إلينا ، وقد اعتمدت عليه معظم الشراح ، مثل عطاء الله المصري ، ففي البيت العاشر :

ثَـلاثَـةُ أَصْـحَـابٍ فُـؤَادٌ مُـشَـيَّـعٌ وَأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

يقول الخطيب التبريزي : « ولا أعلم أحدًا وصف القوس بهذه الصفة غيره »[٣] .

ويقول عطاء الله المصري : « قال بعضهم : ولا نعلم أحدًا وصف القوس

(١) شرح لامية العرب ٨ ب .

(٢) لامية العرب ١٥أ .

(٣) شرح لامية العرب ٩أ .

بهذه الصفة غيره»[1] .

وقد اعتمدت على نسخة وحيدة مجهولة المؤلف في مكتبة برلين، وهي ضمن مجموعة تحتوي على المصنفات التالية :-

١- المقصور والممدود، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ)، ويبدأ من الورقة ١أ وينتهي بالورقة ٧أ.

٢- شرح لامية العرب، مجهول المؤلف، وتبدأ من الورقة ٧ ب، وتنتهي بمنتصف الورقة ٢٠أ، وهو هذا الشرح الذي نقوم بتحقيقه.

٣- شرح بانت سعاد، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، وتبدأ من منتصف الورقة ٢٠أ، وتنتهي بالورقة ٣٠ب.

٤- قصيدة على قافية الثاء، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ)، وتبدأ من الورقة ٣٠ب، وتنتهي بالورقة ٣٧ب.

إذن هذه النسخة تقع في ثلاث عشرة ورقة، وهي مجهولة المؤلف، وليس للكتاب صفحة خاصة بعنوانه، ومسطرتها ثلاثة عشر سطرًا، وفي كل سطر حوالي ثلاث عشرة كلمة، وخطها فيه بعض الشكل.

أما النسختان المطبوعتان فتختلفان اختلافًا كبيرًا عن النسخة المخطوطة، ولذلك لم أعتمد عليهما في التحقيق، وهما :

---

(١) نهاية الأرب ٤٥ .

أ - شرح لامية العرب، المنسوب للمبرد - طبع مطبعة الجوائب - قسطنطينية بإستانبول - ١٣٠٠هـ.

ب - شرح لامية العرب، المنسوب للمبرد - طبع ضمن كتاب «بلوغ الأرب في شرح لامية العرب»، وقد قام بطبعه محمد عبد الحكيم القاضي، ومحمد عبد الرازق عرفان، بدون تحقيق.

قال الامام ... الشنفرى ... لامية العرب

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

ويروى بني أمي أي جدوا في أمركم وانتبهوا من رقدتكم قال الشيخ العالم ... الشنفرى ... الفحل

فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وأرحل

حمت قدرت قوله والليل مقمر أي قد وضح لكم الأمر ... والطية الحاجة ... مطايا جمع مطية وأرحل جمع رحل

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متحول

منأى أي مذهب بعيد أن الكريم ... على الأذى ... يبعد في الأرض عنه ويذهب إلى البعض ... القلاة أي البغض

لعمرك ما بالأرض ضيق على امرئ سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل

أي أن الإنسان إذا كان له عقل ما تضيق عليه الأرض راغبا كان أو راهبا والسرى سير الليل

ولي دونكم أهلون سيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل

الأرقط الذي فيه سواد وبياض والسيد الذئب ... الزهلول الأملس ... ابن سيدة

عملس أسفار إذا اغبر منكبه ... لم يتلثم

والعملس ... الذئب ... قال العملس ...

والسيد ... هذيل الأسد ... الذئب ... العملس

والأرقط ... والرقط ... والزهلول الخفيف

... العرفاء الضبع الطويلة العرف ... نعت ...

نعت ... بمنزلة الاسم عند العرب ... جاءت

العرفاء فيها من هذا القول لأنه الضبع ... بهذا ...

...

للخلق ... محذل إذ ...

...

الورقة الأولى من مخطوطة «شرح لامية العرب»

«برلين»

ولمثل ... [illegible] ... له ...

ترود الأراوي الصحم حولي كأنها عذارى عليهن الملاء المذيل

ترود تذهب وتجيء ... الأراوي ... [illegible] ... الصحم ...

التي تضرب إلى السواد ... [illegible] ...

... [illegible] ...

... [illegible] ... ابن ...

... [illegible] ... والمذيل الطويل الذيل

ويركدن بالآصال حولي كأنني من العصم أدفى ينتحي الكيح أعقل 68

... [illegible] ... الأصيل العشي والجمع ...

... [illegible] ... لأنه ...

... [illegible] ... والعصم جمع أعصم

وهو الذي في ... [illegible] ...

... [illegible] ... أبو زيد ... [illegible] ...

... [illegible] ... الكيح ... [illegible] ... الجبل

... [illegible] ...

... [illegible] ... في الجبل ... [illegible] ...

... [illegible] ... حدثنا

... [illegible] ... أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم ... [illegible] ... أبي بكر الصديق ... [illegible] ...

... [illegible] ... يا رسول الله ... [illegible] ... الإسلام ثم بسط يده ...

9 ... [illegible] ... يا رسول الله ... [illegible] ...

... [illegible] ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

... [illegible] ... محمد ... [illegible] ...

... [illegible] ... العراق ... [illegible] ...

... [illegible] ... صلى الله عليه وسلم ... [illegible] ...

... [illegible] ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الإسلام ...

الورقة الأخيرة من مخطوطة «شرح لامية العرب»

«برلين»

شرح لامية العرب للتبريزي

بسم الله الرحمن الرحيم

/٧ب قال الأزدي ثم الأوسي : لامية العرب :

١- أَقِيمُوا بَنِي أُمّي صُدُورَ مَطِيّكُمْ   فَإنّي إلَى أَهْلٍ سِوَاكُمْ لأَمْيَلُ

ويروى : « بني لُبْنَى » . أي جِدُّوا في أمركم ، وانتبهوا من رَقْدتكم .

قال أبو العباس(١) : الشّنْفَرَى : البَعِيرُ الضّخْمُ .

٢- فَقَدْ حُمّتِ الحَاجَاتُ وَاللّيْلُ مُقْمِرٌ   وَشُدّتْ لِطِيّاتِي مَطَايَا وَأَرْحُلُ

حُمّتْ : قدِّرت . وقوله : والليلُ مُقْمِرٌ أي قد وضح الأمر كما يكشف القمر الخفاء . والطّيّةُ : الحَاجَةُ . مطايا جمع مَطِيّةٍ . وأَرْحُل : جَمْعُ رَحْلٍ .

٣- وَفِي الأَرْضِ مَنْأًى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأَذَى   وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَحَوّلُ

مَنْأًى أي مذهب بعيد ، إِنّ الكَرِيمَ لا يجلس على الأذى ، بل يبعد في الأرض عنه ويذهب . والقِلَى : البُغْضُ ، يقال : قَلاهُ أَيْ بَغَضَهُ .

٤- لَعَمْرُكَ مَا بِالأَرْضِ ضِيقٌ عَلَى امْرِئٍ   سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهْوَ يَعْقِلُ

أَيِ أَنّ الإِنْسَانَ إذا كان له عَقْلٌ ما تضيقُ عليه الأرض رَاغِبًا كَانَ أَوْ رَاهِبًا .

---

(١) هو أبو العباس ثعلب ، إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه . توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين . انظر : نزهة الألباء ٢٢٨، وإنباه الرواة ١/ ١٧٣، وإشارة التعيين ٥١، والبلغة ٦٥، ٦٦، وبغية الوعاة ١/ ٣٩٦، والخزانة ١١/ ٣٥٠.

والسُّرَى : سَيْرُ الليل . / ٨أ

٥- وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَزفَاءُ جَيْأَلُ

الأَرْقَطُ : الذي فيه سَوَادٌ وبَيَاضٌ . والسّيدُ : الذِّئْبُ . [والعَمَلّسُ][1] : فيما [ذكر لي][1] عن الأجول : السريع المَرّ في سهولة ، وأنشدني لابن ميادة[2] :

عَمَلّسُ أَسْفَارٍ إِذَا اعْتَرَضَتْ لَهُ سَمُومٌ كَحَرّ النَّارِ لَمْ يَتَلَثّمِ[3]

وَالعَمَلّسُ : من أوصاف الذئب ، فوصف هذا به رجلًا استعارة . والسّيدُ في لغة هُذَيْل[4] : الأسد وإنما عني هنا الذئب ، ألا تراه قال : عَمَلّسُ . والأَرْقَطُ : النَّمِر والحية ، والرّقْطَةُ : كُلّ لونين مختلفين . والزّهْلُولُ : الخفيفُ ، ويقال : الثّقِبُ . وَالعَرْفاءُ : الضّبُعُ الطويلة العُرْف ، وليس هاهنا بنعت ، ولكنه في الأصل نعت ، فقُلب فصار بمنزلة الأسماء غير النعوت ، حتى أنه يقال : جاءتكم العرفاء ، فيفهم من هذا القول : إنه الضبع جاءت . يجري هذا مجرى : أَجْدَل

(١) ما بين المعكوفتين زيادة من الجوائب ١٧ ، ليستقيم المعنى .

(٢) في المخطوطة : لابن مياد . تصحيف .

(٣) ينسب البيت لابن ميادة ، ولغيره في : شعر ابن ميادة ق ١٠٣/ ٣، ص ٢٥٥، وشرح حماسة أبي تمام للأعلم ٢/ ٩٣٩ ، وحاشية على شرح بانت سعاد ٢/ ١/ ٤٩٧، وينسب البيت أيضًا لعدي ابن الرقاع العاملي في ديوانه ٧٨، ولسان العرب (عملس) ٤/ ٣١١٠ ، وينسب البيت أيضًا لِمُلحة الجرمي ، في : شرح ديوان حماسة أبي تمام المنسوب للمعري ٢/ ١١٥٥، وشرح كتاب الحماسة للفارسي ٣/ ٣٣٤، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤/ ١٧٤٩، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/ ٢٦٦، والبيت بلا نسبة في الصحاح (عملس) ٣/ ٩٥٣، وأعجب العجب ٤٧، وعنوان الأدب ٧ب . ويروى : « استقبلت » بدل « اعترضت » ، في بعض المصادر .

(٥) انظر : عنوان الأدب ٧أ .

بمَعْنَى الصقر لا يُراد غيره. وهو في الأصل نعتٌ؛ لأنه من الجَدْل وهو شدة الخلْق، يقال: غلامٌ مَجْدول إذا كان شديد العَصْب، وزمامٌ مجدول إذا كان مُحْكَم الخَرْز، وليس كل ما كان مجدولًا يسمى أجدل، فصار اسمًا غالبًا.

وَجَيْأَلُ: من أسماء الضَّبُعِ. / ٨ب

٦- هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلا الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

جعل الوحوشَ أهلًا له يَعْتَدُّ بهم عن أَهْلِهِ، وَزَعَمَ أنهم لا يذيعون سِرَّهُ ولا يَخْذُلون جانيًا لديهم إذا جَرَّ جريرةً. وقال عليه السلام: «رحم الله من تكلم فغنم، وسكت فسلم»[1]. والسِّرّ عندهم مذاع، عَنَى بذلك أهله.

٧- وَكُلُّ أَبِيٌّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي إِذَا أَعْرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ

والأَبِيُّ: الحَمِيُّ الأَنْفُ الذي لا يَقِرُّ على الضَّيْم. وَالبَاسِلُ وَالبَسِيلُ: الكَرِيهُ. ويروى[2]: «عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ» أي بدت، ومن قال: «أَعْرَضَتْ» يريد بدا عَرْضُهَا وهو ناحيتها قال: عمرو بن كُلثوم[3]:

---

(١) أورده السيوطي في «الدرر المنتثرة» ٨٩.

(٢) هذه الرواية في: أعجب العجب ٥١، وإعراب لامية الشنفرى ٦٥، وخزانة الأدب ٣/ ٣٤٠، وعنوان الأدب ٩ب، وتفريج الكرب ٣٠، ونهاية الأرب ٤٠.

(٣) اسمه عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، وهو شاعر فارس جاهلي، أحد فتاك العرب، وهو الذي فتك بعمرو بن هند ملك الحيرة، وكنيته أبو الأسود، وأخوه مُرّة هو الذي قتل المنذر بن النعمان، وأمه أسماء بنت مهلهل بن ربيعة. انظر: الشعر والشعراء ١/ ٢٣٤، ومن اسمه عمرو من الشعراء ٤٨-٤٩، والمؤتلف والمختلف ١٥٥- ١٥٦، وخزانة الأدب ٣/ ١٨٣.

وأَعْرَضَتِ اليَمَامَةُ وَاشْمَخَرّتْ[1] ... ...

والطَّرائِدُ جَمْعُ طَرِيدَةٍ، فقد يكون أراد[2] بالطريدة التي تُطْرَد، فإذا قال: التي تطرد فلا نظر فيه.

يقول: إذا لقيني أوائل الخيل التي تريد طردي وقتلي امتنعت لشجاعتي وإن كانت التي تُطْرَدُ لم تطمع فيها من قبلي، والتي تطرد الخيل هذا الأخلق وإن كانوا ربما قاتلوا على الإبل فخبرهم بالقتال على الخيل.

وَالأَبْسَلُ: الأَشْجَعُ. / ٩أ

٨- وَإِنْ مُدّتِ الأَيْدِي إِلَى الزّادِ لَمْ أَكُنْ بأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ

أراد به: لا يَمُدُّ يدَه قبل أيديهم إلى الطعام. والأَجْشَعُ[3]: الحَرِيصُ على الطعام.

---

(١) صدر بيت لعمرو بن كلثوم في ديوانه ق ٣٤/ ٢٦، ص٨١ وعجزه:

... ... كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُصْلِتِينَا

وفي معلقة عمرو بن كلثوم لأبي الحسن بن كيسان ٥٣، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ق ١٤/٥ ص ٣٨٣، وشرح القصائد المشهورات للنحاس ق ١٥/٧ ج٢ ص ٩٥، وتهذيب اللغة (صدره) ١/ ٤٦١، وشرح المعلقات السبع للزوزني ٢٩٩، وشرح القصائد العشر للتبريزي ق ٦/ ١٦، ص ٣٢٩، ولسان العرب (عرض) ٤/ ٢٨٩٦، ونهاية الأرب ٤١. والبيت بلا نسبة في الصحاح (عرض) ٣/ ١٠٨٤، وشرح أشعار الهذليين ٣/ ١١٩٤.

(٢) كلمة: «أراد» مكررة مرتين في المخطوطة.

(٣) في المخطوطة: «والأشجع». وفيه تصحيف.

٩- وَإِنِّي كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِيًا بِنُعْمَى[(١)] وَلا في قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ

جواب هذا البيت في البيت الذي يليه ، وهو « ثَلاثَةُ أَصْحَابٍ » ، يعني أن هؤلاء الثلاثة كفَوْه فَقْدَ مَن ليس جازيًا بنُعْمَى ، أي لا يفكر بفقده إذا وجد هذه الثلاثة .

١٠- ثَلاثَةُ أَصْحَابٍ : فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ ، وَأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ ، وَأَصْفَرُ[(٢)] عَيْطَلُ

المُشَيَّعُ : المقدامُ المجتمعُ القلب ، كأنه في شِيعته أي أصحابه . والإِصْلِيتُ : السّيْفُ الذي جُرّدُ من غمده . والصَّفْرَاءُ : قَوْسُ نَبْعٍ[(٣)] .

وعَيْطَلٌ : طويلةٌ ، يقال : امرأة عَيْطَلٌ ، إذا كانت تامة القامة ، وعنقٌ عَيْطَلٌ إذا كانت كذلك .

ولا أعلم أحدًا[(٤)] وصف القوس بهذه الصفة غيره .

١١- هَتُوفٌ مِنَ المُلْسِ المُتُونِ تَزِينُهَا رَصَائِعُ قَدْ نِيطَتْ عَلَيْهَا[(٥)] مِحْمَلُ

---

(١) يروى : « بِحُسْنَى » بدل « بِنُعْمَى » ، في : أعجب العجب ٥٧، وإعراب لامية الشنفرى ٧١، وعنوان الأدب ١١ب ، وتفريج الكرب ٣٢، ونهاية الأرب ٤٤، واختصار المنتخب ٨ب .

(٢) يروى : « صفراء » بدل « أصفر » ، في : أعجب العجب ٦٠، وإعراب لامية الشنفرى ٧٢، وعنوان الأدب ١٢ب ، وتفريج الكرب ٣٢، ونهاية الأرب ٤٥، وشرح لامية العرب لابن أبي لاجك ٤أ، واختصار المنتخب ٨ب .

(٣) النَّبْعُ : شجرٌ تتخذُ منه القسيّ . انظر : الصحاح « نبع » ٣/ ١٢٨٨.

(٤) في المخطوطة « أحد » . وهو غلط .

(٥) يروى : « إليها » بدل « عليها » ، في : أعجب العجب ٦١، وإعراب لامية الشنفرى ٧٣، ونهاية الأرب ٤٦، وشرح لامية العرب لابن أبي لاجك ٤أ، واختصار المنتخب ٩أ .

هَتُوفٌ إذا أَنْبَض فيها سمعتَ لها صوتًا كأنها تهتِف ، أي هي من عُودٍ أَمْلَس لم تكثر أغصانه ، فتكثر فيه العُقَدُ . والرّصَائعُ : خَرَزٌ نيطت عليها ، / ٩ب لئلا تصيبها العين . والمِحْمَل : مَا يُحْمَلُ بِهِ ، كمِحْمَل السيف وغيره . وَنِيطَتْ : عُلِّقَت .

١٢- إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَنَّتْ كَأَنَّهَا   مُـرَزَّأَةٌ ثَـكْـلَـى تَـرِنّ وَتُـعْـوِلُ

زَلّ عنها : خَرَجَ . وحَنِينُهَا : صَوْتُ وَتَرِهَا . والمُرَزَّأَةُ : الكثيرة الرَّزَايَا ، فهي حَرِيَّة بأن تَرِنّ ، وتُعْوِلَ مما بها من الحزن ، والثكلى مثلها . ويروى : عَجْلى ، وعَجْلَى : مسرعة ، يقال : أرنَّت تُرِنّ ، ورنَّت تَرِنّ .

١٣- وَلَسْتُ بِمِهْيَافٍ يُعَشِّى سَوَامَهُ   مُجَدَّعَةً سُقْبَانُهَا وَهْيَ بُهَّلُ

المِهْيَافُ : الذي يبعد بإبله طلب المَرْعَى على غير علم فيعطشها ويمشي بها . المُجَدَّعَةُ : السيئة الغذاء . والسُّقْبَانُ[١] : جَمْعُ سَقْبٍ ، وهو ولد الناقة الصغير . قال الأصمعي[٢] : أول ما يقال لولد الناقة لما يسقط من بطنها سَلِيلٌ ، وهو قبل أَنْ يُعْلَمَ ذَكَرٌ هُوَ أَمْ أُنْثَى ، ثم يُسَمّى بعد ذلك إذا تَبَيّنَ سَقْبًا وَحُوَارًا ، والأنثى سَقْبَةٌ ، والذي قرأنا على أبي العباس أحمد بن يحيى[٣] : سَقْبَاتُها ولا يمتنع[٤] ، والمحفوظ ما بدأتُ به .

---

(١) الصحاح (سقب) ١/ ١٤٨؛ (حيل) ٤/ ١٦٨٠.

(٢) انظر : الصحاح (سلل) ٥/ ١٧٣١، ونهاية الأرب ٤٨. والأصمعي هو عبد الملك بن قريب ، ويكنى أبا سعيد ، وكان صاحب النحو واللغة والغريب والأخبار والملح. توفي سنة ست عشرة ومائتين. انظر : طبقات النحويين واللغويين ١٦٧، ونزهة الألباء ١١٢، وإشارة التعيين ١٩٣.

(٣) أي أبو العباس أحمد بن يحيى ، المعروف بثعلب ، وهذا القول في خزانة الأدب ٩/ ١٩٩.

(٤) في المخطوطة : «ولا تمنع». تصحيف .

والبُهَّلُ[1] : جَمْعُ بَاهِلَة وبَاهِلٍ ، وهي المُخَلَّاة لا يتعهدها راعيها وبه سميت بَاهِلَةُ ، ويقال : بَهَلَ الرجلُ إذا مَضى لا قَيِّم عليه ، وَأَبْهَلْتُهُ إذا تركـتـه مُخَلّى ، /١٠أ والبَاهِلَةُ أيضًا التي لا صِرَارَ عليها لترضعها أولادها ذلك أسمن لها .

١٤- وَلَا جُبَّاءٍ أَكْهَى مُرِبّ بِعِرْسِهِ   يُطَالِعُهَا فِي شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ

والجُبَّاءُ : الجَبَانُ .

والأَكْهَى : الكَرِيهُ الأَخْلَاقِ الذي لا خَيْرَ فيه . قال أبو العباس[2] : الأَكْهَى البليد مثل الكَهَام والدّدَانِ . والمُرِبّ : المقيمُ . يقال : لست أُسيءُ الرعيةَ ، ولا أَجْبُنُ ، ولا أُقِيمُ مع النساءِ أُشَاوِرُهُنّ في أموري . ولو نصب « جُبّاءً » لعطفه على الموضع . والجُبَّاءُ : مقصورٌ ومهموزٌ ، الضعيفُ القَلْبِ .

١٥- وَلَا خَرِقٍ هَيْقٍ كَأَنّ فُؤَادَهُ   يَظَلّ بِهِ المُكَّاءُ يَعْلُو وَيَسْفُلُ

١٦- وَلَا خَالِفٍ دَارِيّةٍ مُتَغَزِّلٍ   يَرُوحُ وَيَغْدُو دَاهِنًا يَتَكَحَّلُ

الخَالِفُ : الفاسدُ ، يقال : خَلَفَ الأَدِيمُ إذَا فَسَدَ ، ويقال : المُتَخَلِّفُ عن الخيرِ ، وأكثر ما تقول العربُ : خَالِفَةٌ ، وهو مأخوذ من عمود البيت المتأخر ؛ لأن ذلك يسمى خَالِفَةً ، وأصل الجميع أنه مأخوذ من الخلفة . والهاء الزائدة للمبالغة في الذم ، كما يقال : راوٍ وراويةٌ ونَسّابٌ ونَسّابَةٌ ، وما أشبه ذلك .

والدّارِيّةُ : الذي لا يفارق البيوت ، الملازم الدار . ومُتَغَزّلٌ : (مُتَفَعّلٌ) ، من الغَزَلِ مع النساء وَيدّهِنُ ويتكحّل .

---

(١) انظر : الصحاح (بهل) ٤/١٦٤٢ - ١٦٤٣ .

(٢) خزانة الأدب ٩/٢٠٠ .

١٧- وَلَسْتُ بعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ   أَلَفَّ إِذَا مَا رُعْتَهُ اهْتَاجَ أَعْزَلُ

/ ١٠ب العَلّ : الصغير الجسم ، الكبيرُ الجوفِ ، وأكثر ما يوصف به الكبيرُ ، ويقال للقراد : عَلّ للطافته . وأنشد الأصمعي للمُتَنَخِّلِ الهُذَلِيّ[(١)] :

لَيْسَ بِعَلٍّ كَبِيرٍ لَا شَبَابَ لَهُ   لَكِنْ أُثَيْلَةُ صَافِي الوَجْهِ مُقْتَبَلُ[(٢)]

والأَلَفُّ : الذي لا يقوم بحرب ولا لضَيْف ، إنما يلتف لينام . قالت امرأة من العرب لزوجها : « وَاللَّهِ إِنّ أَكْلَكَ لاقْتِفَافٌ ، وَإِنّ شُرْبَكَ لاشْتِفَافٌ ، وَإِنّ ضَجْعَتَكَ لالْتِفَافٌ »[(٣)] .

الاقْتِفَافُ : كأنه يأخذ غذاءه كالسرقة لئلا يُشَارَكَ فيه ، وقيل أيضًا : إنه يستوعب آخر الغذاء لا يبقى منه شيئًا شرَهًا ، يقال : اقتف ما في الإناء إذا استوفاه .

والاشْتِفَافُ : أن يستوفي ما يشرب ، وهو مثل الاقتفاف . والأَعْزَلُ : الذي لا رمح معه ولا سلاح . قال أبو عبيدة[(٤)] : إن كان معه عصًا فليس بأعزل .

---

(١) اسمه مالك بن عويمر بن عثمان بن خنيس بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة ، أخو بني لحيان بن هذيل بن مدركة ، شاعر محسن من شعراء هذيل ، وهو صاحب القصيدة الطائية ، قال الأصمعي : هي أجود طائية قالتها العرب . والمتنخل لقبه وهو شاعر جاهلي . انظر : المؤتلف والمختلف ١٧٨ ، وخزانة الأدب ٤/ ١٥٠ .

(٢) البيت للمتنخل الهذلي في شرح أشعار الهذليين ق ٦/٩ ج٣ ص ١٢٨٢ ، والشعر والشعراء ٢/ ٦٦١ ، ولسان العرب (علل) ٤/ ٦٠٨٠ ، ونهاية الأرب ٥١ .

(٣) هذا القول في نهاية الأرب ٥٢ .

(٤) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري . من أعلم الناس باللغة وأخبار العرب وأنسابها . وله في ذلك مصنفات . ولد سنة عشرة ومائة ، وتوفي سنة عشرة ومائتين . انظر : مراتب النحويين ٧٧-٧٩ ونزهة الألباء ١٠٤- ١١١ وإنباه الرواة ٣/٢٧٦- ٢٧٨ ، والبلغة ٢٢٤ .

١٨- وَلَسْتُ بِمِحْيَارِ الظَّلَامِ إِذَا انْتَحَتْ هُدَى الهَوْجَلِ العِسِّيفِ يَهْمَاءُ يَعْمَلُ

مِحْيَارٌ: مِفْعَالٌ مِنَ الحَيْرَةِ؛ لأن مِفْعَالًا للتكثير كفعّال ونحوه. وَنَحَتُّ: قَصَدْتُ، هكذا كان في الأصل. وحفظي: إذا انتحت، أي اعترضت. وَالهَوْجَلُ: البَلِيدُ الذي لا هداية له. والعِسِّيفُ: الذي يسير على الأرض على غير هدى. واليَهْمَاء: التي لا عَلَمَ بها. والهَوْجَلُ مِن الأرض: الشديد/ ١١أ البعيد المسلك المهول. يقول: أنا كثير الهداية في الأرض الذي لا يهتدَى فيها. يقال: هذا هدًى حَسَنَةٌ. مسموعةٌ عند العرب، وتُذَكَّرُ أيضًا.

١٩- إِذَا الأَمْعَزُ الصَّوَّانُ لَاقَى مَنَاسِمِي تَطَايَرَ مِنْهُ قَادِحٌ وَمُفَلَّلُ

الأَمْعَزُ[1]: المكان الذي فيه حصى، والبُقْعَةُ مَعْزَاءُ.

والصَّوَّانُ[2]: الحِجَارَةُ المُلْسِ، الوَاحِدَةُ صَوَّانَةٌ، وليس هو الصَّوَّانُ في الحقيقة وإنما التقدير إذا الأَمْعَزُ ذو الصَّوَّانِ، فحذف ذو لعلم السامع كما قال جل ذكره: ﴿وَاسْأَلِ القَرْيَةَ﴾[3]. وهو كثيرٌ، وإنما يريد مكانًا فيه حصًى وهو الصَّوَّانُ.

والمَنَاسِمُ: في الأصل أَخْفَافُ البَعِيرِ، كالسَّنَابك من الخيل، فاستعارَهَا لِنَفْسِهِ. وَالقَادِحُ: ما يخرج معه النار من شدة وطئه. وَالمُفَلَّلُ: المُكَسَّرُ.

يقول: إذا أصابت رجلي حجرًا قَدَحَتْ منه نَارًا وانكسر[4] الحَجَرُ.

---

(١) انظر: الصحاح (معز) ٣/٨٩٧.

(٢) انظر: الصحاح (صون) ٦/٢١٥٣.

(٣) سورة يوسف ١٢/٨٢.

(٤) في المخطوطة: «وانكسرت»، تصحيف.

٢٠- أُدِيمُ مِطَالَ الجُوعِ حَتّى أُمِيتَه   وَأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحًا فَأُذْهَلُ

يقول : أقوى على رد نفسي عما تهوى ، وأغلبها . وَأُذْهَلُ عن الجوع : أَنْسَاهُ ، يقال : ذَهَلَ يَذْهَلُ ذهولًا .

٢١- وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلا يَرَى لَهُ   عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

٢٢- وَلَوْلا اجْتِنَابُ الذّامِ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ   يُعَاشُ بِهِ إِلّا لَدَيَّ وَمَأْكَلُ / ١١ب

٢٣- وَلكِنَّ نَفْسًا حُرَّةً لا تُقِيمُ بي   عَلَى الذّمّ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوّلُ

يقال : ذمٌّ وذامٌ وذيْمٌ وذيْنٌ وذَنٌّ وذَانٌّ .

٢٤- وَأَطْوِي عَلَى الخَمْصِ الحَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ   خُيُوطَةُ مَارِيّ تُغَارُ وَتُفْتَلُ

الخَمْصُ : الضّمْرُ .

والحَوَايَا : جَمْعُ حَوِيَّة ، كثَنِيَةٍ وَثَنَايَا ، ورَكِيَةٍ ورَكَايَا ، وهو ما تَحَوَّى في البطن إذا اجتمع واستدار ، وبعض العرب تقول : حَاوِيَةٌ كَرَاوِيَةٍ وَرَوَايَا .

وخُيُوطَةٌ : الخُيُوطُ ، وأتى بالهاء للتأنيث إذ كان يعني الجماعة ، كقولك : الجوارية وما أشبه ذلك . والمَارِيّ : الفَاتِلُ .

وتُغَارُ : يُحْكَمُ فَتْلُها ، يقال : مَارتُّ الشّيءَ إذا أصلحته . يصف : أنه مُحْكَم كهذا الحبل .

وأخبرني اليزيدي [١] عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي [٢] ، أَنّ الأصمعي سأله

---

(١) الفضل بن محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي (٢٧٨) إنباه الرواة ٣/ ٢٧ ، وأعجب العجب ٣٦ .

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي أبو محمد ، ابن النديم ، من أشهر ندماء =

عن قول أَرْطَأَةَ بن سُهَيَّةَ المُرِّيّ[1] :

وَمُعَرِّسٍ لَعِبَ الكَلالُ به رُودِ الشَّبابِ كأنَّه حَبْلُ[2]

فقال : ما معنى حبل ؟

قلت : أراد الضعيف ، يقول : هو مُتَثَنٍّ كهذا الحبل ، فأنكره عليَّ .

قلت : ما معناه ؟

قال : مُمَرٌّ.

٢٥ - وَأَغْدُو عَلَى الزَّادِ الزَّهيدِ كَمَا غَدَا أَزَلُّ تَهادَاهُ التَّنائِفُ أَطْحَلُ ١٢أ

ويروى[3] : «عَلَى القُوتِ الزَّهِيدِ» . والزَّهِيدُ : القليل الذي يُزْهَدُ فيه .

= الخلفاء ، تفرد بصناعة الغناء . وكان عالمًا باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام ، راويا للشعر حافظًا للأخبار شاعرًا . فارسي الأصل ، مولده ووفاته ببغداد ، وعمي قبل موته بسنتين ، نادم الرشيد والمأمون والواثق من العباسيين . قال ثعلب : رأيت لإسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب كلها سماعه . من تصانيفه أغانيه ، وأخبار عزة وأغاني معبد وأخبار حماد عجرد وأخبار ذي الرمة وغيرها من الكتب . توفي سنة مائتين وخمس وثلاثين . انظر : طبقات ابن المعتز ٣٥٩، والأغاني ٥/ ٢٧٨، ومعجم الأدباء ٦/ ٥، ووفيات الأعيان ١/ ٢٠٢، والأعلام ٢٩٢.

(١) هو أرطأة بن زفر بن عبد الله بن مالك الغطفاني المُري ، أبو الوليد ، ابن سُهَيَّةَ وهي أمه بنت زامل وقيل : كانت أمه لضرار بن الأزور وصارت إلى زفر وهي حامل ، فجاءت بأرطأة ، شاعر من فرسان الجاهلية ، معمر ، عاش قريبًا من نصف عمره في الإسلام ، وأدرك خلافة عبد الملك بن مروان ، ودخل عليه وعمره ١٣٠ سنة ، وأنشده من شعره ، وعمي قبيل وفاته ، توفي سنة خمس وستين . انظر : الشعر والشعراء ١/ ٥٢٢، والأغاني ١٣/ ٣٢، وكنى الشعراء ٢/ ٣١٢، والأعلام ١/ ٢٨٨.

(٢) البيت في أعجب العجب في الشرح المنسوب للمبرد : ٣٦.

(٣) هذه الرواية في : أعجب العجب ٨٥، وإعراب لامية الشنفرى ٩٢، واختصار المنتخب ، ١٢أ =

والأَزَلّ : الأَرْسَحُ ، وبه يوصف الذئب ، يقال : أَرْسَح وأَرْصَع وَأزَلّ بمعنى ، ومن أمثالهم[1] : «لَا أُنْسَ فِي الذِّئْبِ الأَزَلِّ الجَائِع» .

وقال بعضهم : قلت لأعرابي : ما الأَرْسَحُ ؟ فقال : الذي لا اسْتَ له .

ووصف رجل فارسًا فقال : قَاتَلَهُ اللَّهُ أَقْبَلَ بِزُبْرَةِ[2] أَسَدٍ وَأَدْبَر بعَجُز ذِئْبٍ ، وذلك أنه يُحْمَد من الفارس أن يكون مَمْسُوح الاسْتِ كالذئب .

وَالتَّنَائِفُ : الأَرْضُونَ القِفارُ . وَالأَطْحَلُ : الذي لونه كلون الطِّحَالِ .

يقول : أَقْنَعُ بالقُوتِ الزَّهِيدِ ، وَأَغْدُو فِي طَلَبِهِ غَدْوَ الذِّئْبِ .

٢٦- غَدَا طَاوِيًا يُعارِضُ الرِّيحَ هَافِيًا يَخُوتُ بأَذْنَابِ الشِّعَابِ وَيَعْسِلُ

يقول : غَدَا طَاوِيًا ، وَطَوَاهُ من الجوع كأنه طوَى أَمْعَاءَهُ عليه ، يقال : رجل طَاوٍ وَطَيَّانٌ ، وَالأُنْثَى طَاوِيَةٌ وطَيًّا ، والمصدر الطَّوَى ، وهو خُمْصُ البَطْنِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ .

وَهَافِيًا : يَذْهَبُ يَمِينًا وشمالًا من شِدَّةِ الجُوعِ .

وَيَخُوتُ[3] : / ١٢ب وَيَخْتَاتُ : يَخْتَطِفُ وَيَخْتَلِسُ ، يقال : خَاتَ الذِّئْبُ الشَّاةَ واخْتَاتَهَا وَامْتَشَتَهَا وامْتَشَقَهَا وَامْتَدَقَهَا ، كل ذلك إذا اخْتَطَفَهَا .

= وشرح لامية العرب لابن أبي لاجك ٦ب ، وعنوان الأدب ٢٢ب ، وتفريج الكرب ٤٣ ، ونهاية الأرب ٦٠.

(١) هذا المثل في خزانة الأدب ٩/ ١٩٤.

(٢) في لسان العرب (زبر) ٣/ ١٨٠٥ : «الزبرة» : الشعر المجتمع للفحل والأسد وغيرهما ، وقيل : زُبْرَةُ الأسد في الشعر على كاهله .

(٣) انظر : الصحاح (خوت) ١/ ٢٤٨.

ويروى أن الفرزدق[1] لقي جريرًا[2] بالبصرة فقال له: مَا أَشْبَهَكَ بِي أَكَانَتْ أُمّكَ وَرَدَتِ البَصْرَةَ؟

فقال: لا ولكن وردها أبي فَاخْتَاتَ في بَنِي مُجَاشِع.

والشِّعَابُ: مَسايِل صغارٌ. وَيَعْسِلُ: إذا مَرّ مرًّا سهلًا في استقامة، ومن ذلك يقال للرمح: عَسّالٌ، إذا تتابع عند الهز ولم يكن كزًّا.

٢٧- فَلَمّا لَوَاهُ القُوتُ مِنْ حَيْثُ أَمّهُ ... دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحّلُ

لَوَاهُ: دَفَعَهُ، يقال: لوَيْتُ الرجلَ عن حاجَتِه ليًّا وليّانًا إذا صرفته. وَأَمّ: قَصَدَ، يقال: أَمّهُ وأَمّمَهُ وتَيمّمه بمعنًى واحدٍ.

وَالنّظَائِرُ: جمعُ نَظِيرَةٍ، كَعَجِيبَةٍ وَعَجَائِبَ وَكَبِيرَةٍ وَكَبَائِرَ، وإنما يعنى السِّلْقَ وهي إِنَاثُ الذّئَابِ، الواحدةُ سِلْقَةٌ، فإذا أراد الذكور يَجُزْ عندنا إلا إذا اضطر الشاعر كما قال الفرزدق:

وَإِذَا الرّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ ... خُضُعَ الرّقَابِ نَوَاكِسَ الأَبْصَارِ[3]

---

(١) هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية، ولقب بالفرزدق لغلظه وقصره، ويكنى أبا فراس، عده ابن سلام في الطبقة الأولى من شعراء الإسلام، مات في سنة عشرة ومائة، وله إحدى وتسعون سنة، ومات فيها جرير أيضًا. انظر: طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٩٨، والشعر والشعراء ١/ ٤٧١، والمؤتلف والمختلف ١٦٦، وخزانة الأدب ١/ ٢٢٢، ٢٧٧.

(٢) هو جرير بن عطية بن حذيفة، ولقب حذيفة بالخطفي، وهو من بني كليب بن يربوع، عمر نيفًا وثمانين سنة، ومات باليمامة، ويكنى أبا حَزْرَةَ، وكان من فحول شعراء الإسلام. انظر: الشعر والشعراء ١/٤٦٤، ٤٦٥، والمؤتلف والمختلف ٧١، وخزانة الأدب ١/ ٧٥، ٧٦.

(٣) البيت للفرزدق في ديوانه ق ١٥/٢٤٠ ج١ ص ٤٩٦، والكتاب ٣/ ٦٣٣، والمقتضب، =

ويروى : « نَوَاكِسِي الأَبْصَارِ » ، فَفَعَائِل عندنا من جمع المؤنث ، وإنما جاء المذكر / ١٣أ في غير الضرورة في أشياء معدودة ليس هذا موضع شرحها .

ونُحّلٌ : ضوامر ، يقال نَحِلَ جِسْمُ فُلَانٍ ، ومن قال : نَحَلٌ ، فقد غلط .

٢٨- أَوِ الخَشْرَمُ المَبْعُوثُ حَثْحَثَتْ دَبْرَهُ   مَحَابِيضُ أَرْدَاهُنّ سَامٍ مُعَسِّلُ

الخَشْرَمُ : رئيسُ النّحْلِ ، وبه سُمّيَ الرّجلُ خَشْرَمًا .

وحَثْحَثَتَ : حرك وأزعج ، وهو بمعنى حثّ ، وليس بمَبْنِيّ عليه ، ولو كان كذلك لقيل : حثث وهو كقولهم : لآل من اللؤلؤ . وَالدّبْرُ : النّحْلُ : الواحدةُ دَبْرَةٌ . وَمَحَابِيضُ : جَمْعُ مِحْبَضٍ وهو العود يكون مع مُشتار العَسَل يثير به النحل ، وفيه قولان :

أحدهما : أنه اضطر ، وذلك أنه أراد أَنْ يقول : « محابِض » ، فأشبع الكسرة فصارت [ياء][1] بالضرورة .

= والكامل ٢/ ٥٨، والأصول ٣/ ١٧، وشرح مقصورة ابن دريد لابن خالويه ٤٩٩، والجمل ٣٧٧، والتنبيهات ١٣١، والموشح ١٤٦، والأغاني ٢١/ ٣٤٨، وشرح ديوان الحماسة ١/ ١٦، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٨٤، والقزاز القيرواني ١٥٤، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/ ٣٥٢، وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ٢/ ٣١٧، والحلل ٤٠٣، والاقتضاب ٢/ ١٠، واللخمي ١٦، ووشى الحلل ٢/ ٤٨٢، وابن جهور ٦٠ والصنهاجي ١٩٦أ، وشرح أدب الكاتب للجواليقي ٢٦، وشرح ابن يعيش ٥/ ٥٦، والمزهر ٢/ ٧٤، وشرح شواهد المغني ٢/ ٧٥٥، وشرح أبيات المغني ١/ ٢٣٢، وشرح شواهد الشافية ٤/ ١٤٢، وخزانة الأدب ١/ ٢٠٤، والبيت بلا نسبة في معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣٤، وعيون الأخبار ١/ ٤١١، وشرح أبيات الجمل للأعلم ٢/ ١١٩، وشرح ملحة الإعراب ٢٣٦، وشرح الجمل لابن هشام ٤٢٢.

(١) ما بين المعكوفتين زيادة ، ليستقيم المعنى .

والآخر : يلزمه ضرورة ؛ لأنه يبنيه على مِخْبَاضٍ فيصير الجمع مَخَابِيض كقولِكَ : مِفْتَاحٌ ومَفَاتِيحُ ، والأصل مِفْتَح .

وَرَادَهُنَّ وَأَرَادَهُنَّ مثل كرَمْتَهُ وأكْرَمْتَه وحَسَبَهُ وأَحسَبه ، وما أشبه ذلك .

وإنما يرجع إلى النحل كأنه حَثْحَثَ دَبْرَهُ التي أرادهن سَام مُعَسّلُ في المعنى ، ولم يضمر التي ، هكذا قرأناه .

ورُوِّيته من وجه آخر[1] : « أَرْدَاهُنّ » يعنى العيدان إذا جاء بهن إلى / ١٣ ب الكُوَّارَةِ[2] ، وهو موضع النحل .

والسّامُ : الذي يسمو لطلب العسل ، ومن شأن النحل أن يَعْسِلَ في الموضع الممتنع الصعب .

٢٩- مُهَلّلَةٌ شِيبُ الوُجُوهِ كَأَنَّهَا قِدَاحٌ بِكَفَّيْ يَاسِرٍ تَتَقَلْقَلُ

المُهَلّلَةُ : الدّقِيقَةُ الخَلْقِ ، خلقت كأنها أَهِلّة في الدِّقة ، والمهلّلة في غير هذا الموضع الذين يحيدون عن الحرب ويجنبون ، يُقَالُ[3] : هَلّلَ الرّجُلُ إذا جَبُنَ ؛ كما قال النكري[4] .

---

(١) هذه الرواية في الشرح المنسوب للمبرد بهوامش أعجب العجب ١٠٣، وإعراب لامية الشنفرى ٩٧، وعنوان الأدب ٢٦ب، وتفريج الكرب ٤٦.

(٢) انظر : الصحاح (كور) ٢/ ٨١٠.

(٣) انظر : لسان العرب (هلل) ٤٦٩١/٦ .

(٤) هو المفضل النكري ، واسمه عامر بن جَعْشَر بن أسحم بن عدي بن شيبان بن سواد بن عذرة بن منبه بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وسمي مفضلاً لقصيدة أنصف فيها عدوه ، وهو شاعر جاهلي . انظر : الأصمعيات ١٩٩، وطبقات فحول =

... ... إذا خام المُهَـلّـلَـةُ البَـرُوقُ[1]

وَاليَاسِرُ[2] واليَسَرُ الذي يضرب بالقداح ، فَيَسَرٌ اسمٌ له مشتقٌّ ، وَيَاسِرٌ جارٍ على الفعل كقولك : يَسَرَ يَيْسِرُ فهو يَاسِرٌ كَضَرَبَ يَضْرِبُ فهو ضَارِبٌ .

شبهها في إفلاسها ونحافتها وضُمْرها بالقِداح .

٣٠- مُـهَـرَّتَـةٌ فُـوهٌ كَـأَنَّ شُـدُوقَـهَـا شُـقُـوقُ العِـصِـيِّ كَـالِحَـاتٍ وَبُـسَّـلُ

المُهَرَّتَةُ : المشقوقةُ الفمِ شقًّا واسعًا . والفُوهُ : جَمْعُ أَفْوَهَ ، وهو الواسع الفَمِ . وشُدُوقٌ : جَمْعُ شِدْقٍ إذا أردت الجمع الكثير ، فإن أردت القليل قلت : أَشْدَاقٌ . والبُسَّلُ : الكريهةُ المرْأَى ، يقال للرجل الشجاع : بَاسِلٌ من/ ١٤أ الكراهية عند القتال ، وأَنْشَدَ عن ابن الأعرابي[3] لرجلٍ أكل حنظلًا فتكرهه ، فقال :

شَرّ الطّعَام الحَنْظَلُ المُبَسّلُ

= الشعراء ١/ ٢٧٤، ٢٧٥، والمعارف ٩٣، والاشتقاق ٣٣٠، وشرح شواهد المغني ١/ ١٧١، وشرح أبيات مغني اللبيب ١/ ٣٤٩.

(١) صدره : « وهُمْ عَلُّوا الرماحَ وأَنْهَلُوها »

(٢) انظر : الصحاح (يسر) ٢/ ٨٥٨، والبيت موجود في شرح المبرد بهامش أعجب العجب ٤٠. وهو من قصيدته المعروفة بالمنصفة ، وهي الأصمعية رقم ٦٩، ولكنه ليس فيها ، وانفرد كتاب « المنتخب في محاسن أشعار العرب » بإيراده ، انظر : ١/ ١٣٠.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ، كان مولى لبني هاشم ، وكان من أكابر أئمة اللغة المشار إليهم في معرفتها ، أخذ عن الكسائي ، وأبي معاوية الضرير ، والمفضل الضبي ، وأخذ عنه ثعلب ، وكان إمامًا في النحو واللغة ، نسابة كثير السماع والرواية ، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين . انظر : مراتب النحويين ١٤٧، ونزهة الألباء ، وإشارة التعيين ٣١١، والبلغة ١٩٦، وبغية الوعاة ١/ ١٠٥.

تَيْجَعُ مِنْهُ كَبِدِي وَأَكْسَلُ[١]

المُبَسَّلُ: الكَرِهُ، وهذا البيت أخذه من عَلْقَمَةَ بن عَبَدَةَ[٢] ووصف الظليم:

فُوهٌ كَشَقِّ العَصَا لأْيًا تَبَيَّنُهُ   أَسَكُّ ما يَسْمَعُ الأَصْوَاتَ مَصْلُومُ[٣]

٣١- فَضَجَّ وَضَجَّتْ بالبَرَاحِ كأَنَّهَا   وَإِيَّاهُ نَوْحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ

البَرَاحُ: الأرضُ الوَاسعةُ لَا نبتَ فيها. والنَّوْحُ: جَمْعُ نَائِحَةٍ، وقد يكون مصدرًا نُعِت به؛ لأنك تقول: ناحت نوحًا، والتناوح في الأصل تقابل الشجر بعضها بعضًا بالأغصان. قال الأَصْمَعيّ[٤]: سُمّيَتِ النائحةُ؛ لأنها تقابل صاحبتها. والعَلْيَاءُ: البقعة المشرفة.

يقول: اسْتَغْوَاهَا فَعَوَت.

٣٢- فَأَغْضَ وَأَغْضَتْ وَاتَّسَى واتَّسَتْ بِهِ   مَرَامِيلُ عَزَّاهَا وَعَزَّتْهُ مُرْمِلُ

ويروى[٥]: «واتَّسَى واتَّسَتْ به».

---

(١) البيتان بلا نسبة في لسان العرب (بسل) ١/ ٢٨٥.

(٢) هو عَلْقَمَةُ بن عَبَدَة من بني تميم، شاعر جاهلي من أقران امرئ القيس، ويلقب بعلقمة الفَحْلِ، عده ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول شعراء الجاهلية. انظر: طبقات فحول الشعراء ١/ ١٣٩، والشعر والشعراء ١/ ٢١٨، والمؤتلف والمختلف ١٥٢، وخزانة الأدب ٣/ ٨٢، ٢٨٣.

(٣) البيت لعلقمة في ديوانه ق ٢/١٩ ص ٥٩ .

(٤) انظر: نهاية الأرب ٦٨ .

(٥) هذه الرواية في اختصار المنتخب ١٣ ب ، وعنوان الأدب ٢٩أ، ونهاية الأرب ٦٩ .

يقال : اتَّسأْتُ به واتْتَسأْتُ به ، أي : اتَّسَيْتُ . وَالمرَامِيلُ : جَمْعُ مُرْمَلَةٍ وهي التي لا قوت لها ، يقال : أَرْمَلَ الرَّجُلُ إذا لم يكن له زاد ، والجمع في الحقيقة مَرَامِلُ ، ولكنه أشبع الكسرة لمَّا / ١٤ب اضطر فصارت ياء . وأراد عَزَّاهَا مُرْمِلٌ وعَزَّتْهُ ، يريد أنه لم ييأس من الطعام .

أَغْضَى : لم يضج ، فكان إغضاؤه تعزيتها عن فَقْد القُوت .

٣٣- شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وارْعَوَتْ   وَلَلصَّبْرُ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّكْوُ أَجْمَلُ

ويروى : « ينفع الوَجْدُ »(١) .

يقول : شكا الذئبُ إلى الذئاب ، ثم ارعوى بعد الشكوى ، فكفَّ وصبَر .

٣٤- وَفَاءَ وَفَاءَتْ بَادِرَاتٍ وَكُلُّهَا   عَلَى نَكَظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ

ويروى : « بادراتٌ » رواجِعُ . والنَّكَظُ(٢) : الشِّدَّةُ وهو الاسم ، والمصدر النَّكْظُ ، يقال : نَكَظَهُ نَكْظًا إذا أصابه بِشَرٍّ ، وهو هاهنا شدة الجوع ، وفي موضع آخر العَجَلَةُ .

٣٥- وَتَشْرَبُ أَسَآرِي القَطَا الكُدْرُ بَعْدَمَا   سَرَتْ قَرَبًا أَحْنَاؤُهَا تَتَصَلْصَلُ

الأَسَآرُ : جَمْعُ سُؤْر ، والأَسَآرُ البقيةُ ، يقال : أَسْأَرْتُ في الإناء إِسَآرًا ، إذا أبقيتُ فيه بقيةً . يقول : أَنَا أَرِدُ قَبْلَ القَطَا ، وهو أسرعُ الطيورِ وِرْدًا ، فيشرب القطا فضلاتي ، يقال(٣) : سَرَيْتُ إذا سِرْتُ في أول الليل ، وأَسريتُ إذا سِرْتُ في

---

(١) الوجد : الغضب .

(٢) انظر : لسان العرب (نكظ) ٤٥٤٢/٦ .

(٣) كلمة : « يقال » مكررة مرتين في المخطوطة .

آخره، وقيل: بل هما لغتان، وهو الذي أذهبُ /١٥أ إليه.

وَالقَرَبُ: الوُرُودُ، يُقَالُ: قَرَبْتُ الماءَ أَقْرَبُهُ قربًا إِذَا وردته، و[لَيْلَةُ القَرَبِ][1] لَيْلَةُ وُرُودِ المَاءِ. وَالأَحْنَاءُ: الجوانبُ، الواحدةُ حِنْوٌ.

وروايتي[2]: «أحشاؤها»، وهو أجود عندي.

ويقال: لليابِس سمِعتُ لهُ صَلْصَلةً، أي صوتًا من يُبْسِه، والصَّلْصال الفخَّار إذا صَوّتَ ليُبْسه، فيقول: هذه تَتَصَلْصلُ أجوافُها ليُبْسِها، ويقال للحمارِ: مُصَلْصِلٌ وصَلْصالٌ، إذا صفا صوته؛ تشبيهًا بما ذكرت لك.

٣٦ - هَمَمْتُ وَهَمّتْ وَابْتَدرْنَا وَأَسْدَلَتْ وَشَمّرَ مِنّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلُ

أَسْدَلَتْ: كفَّت من العَدْو، وهكذا قال، وحِفْظِي «وَابْتَدَرْنَا وَقَصّرَتْ». يريد أن القطا عجزت عن العَدْو، ولم يكلّ هو.

وَالفَارِطُ: المتقدِّمُ، وفَارِطُ القَوْم في السفر هو الذي يتقدم ليُصْلِح الموضع الذي يقصدونه، والجمع فُرّاطٌ، وكُل متقدمٍ فَارِطٌ. وإنما ضرب الإسدال مثلًا.

٣٧- فَوَلّيْتُ عَنْهَا وَهْيَ تَكْبُو لِعَقْرِهِ يُبَاشِرُهُ مِنْهَا ذُقُونٌ وَحَوْصَلُ

تَكْبُو: تَتَسَاقَطُ من الضعفِ. والعَقْرُ: مقام الساقي من الحوض. والذّقُونُ: /١٥ب جَمْعُ ذَقْنٍ في الكثرة، وفي القِلّةِ الأَذْقَانُ. وَحَوْصَلُ: جَمْعُ حَوْصَلَةٍ كَجَنْدَلٍ وَجَنْدَلَةٍ.

---

(١) ما بين المعكوفتين زيادة من نهاية الأرب ٧٢.

(٢) هذه الرواية في نهاية الأرب ٧٢.

فيقول : وردتُ وصدرتُ ، والقطا يَكْرَع بعدُ ولم يَصْدُر ، وكنت أسرعَ منها .

٣٨- كَأَنَّ وَغَاهَا حَجْرَتَيْهِ وَحَوْلَهُ أَضَامِيمُ مِنْ سَفْرِ القَبَائِلِ نُزَّلُه

وَغَاهَا وَوَعَاهَا وَوَحَاهَا واحدٌ ، وهو أصواتها . وَحَجْرَتَاهُ : نَاحِيَتَاهُ . وَأَضَامِيمُ : جَمْعُ إِضَمَامَةٍ ، وهو القوم ينضم بعضهم إلى بعض في السَّفرِ ، والإضمامةُ في الأصل الإِضْبارة ، فاستعاره . والسَّفْرُ : المسافرون .

ويروى[1] : « مِنْ سُفْلَى[2] القبائل » ، يريد مؤخرهم .

٣٩- تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا كَمَا ضَمَّ أَذْوَادَ الأَصَارِيمِ مَنْهَلُ

ويروى : مَنْزِلُ . الشَّتَّى : الطرق المختلفة ، وهو مأخوذ من التَّشَتُّت وهو التفرق . وَالأَذْوَادُ : جَمْعُ ذَوْدٍ ، وهُم ما بين الثلاثة[3] إلى العشرة من الإبل . وَالأَصَارِيمُ : جَمْعُ أَصْرَامٍ ، الواحد صِرْمٌ ، وهو القطعةُ مِنَ الإِبِلِ ، والمَنْهَلُ : الماءُ .

شبَّه القطا بكثرةِ الناسِ في الورود . / ١٦أ

٤٠- فَعَبَّتْ غِشَاشًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاظَةَ مُجْفِلُ

عَبَّتْ : تَابَعَتِ الشُّرْبَ كأنها تصبه في أجوافها . والغِشَاشُ : الشيء القليلُ ، يريد أنها وإن تابعت الشرب فذلك منها قليلٌ .

(١) هذه الرواية في : اختصار المنتخب ١٤أ ، ونهاية الأرب ٧٤ .

(٢) في المخطوطة : « سلفي » ، تصحيف . انظر : اختصار المنتخب ١٤/أ ، ونهاية الأرب ٧٤ .

(٣) في المخطوطة : « الثلاث » ، وهو تصحيف .

وأحاطَةُ، فيما ذكر أحمد بن يحيى[١] : قبيلة من الأزد. وقال لي غيره: هي قبيلة من اليمن، ولم يعرفها أبو العباس محمد[٢] بن يزيد[٣]، ولم أسمع باسمها إلا في هذا الشعر.

وَالمجْفِلُ: المُسْرِعُ. وَالرَّكْبُ : ركبانُ الإبِلِ خاصةً دُونَ غَيْرِهَا. وقال بعضهم: غِشَاشًا على عجلةٍ. وَالعَبّ: الجَزَعُ.

يقول: وردتُ على عجلةٍ، ثم صدرتُ في بقايا من الظلمةِ قَبْلَ في الفجر.

٤١- وآلَفُ وَجْهَ الأَرْضِ عِنْدَ افْتِرَاشِهَا بِأَهْدأَ تُنْبِيهِ سَنَاسِنُ قُحَّلُ

بِأَهْدَأَ: يريد بمنكبٍ، أهدأ، يريد: فيه جَنَأٌ، وقيل: الأهدأ الشديد الثبات في المكان، يعني جنبه.

وتُنْبِيهِ : تُجْفِيهِ وتَرْفَعُهُ عن الأرض. ويروى[٤] : «تُثْنِيهِ» أي تكفه عن لزوم الأرض. والسَّنَاسِنُ[٥] : مَغارِز الأضلاعِ في الصلبِ، واحدها سِنْسِنٌ.

٤٢- وَأَعْدِلُ مَنْحُوضًا كَأَنَّ فُصُوصَهُ كِعَابٌ دَحَاهَا لَاعِبٌ فَهِيَ مُثَّلُ

المَنْحُوضُ: القَلِيلُ اللَّحْمِ. يقول: أَعْدِلُ ذراعًا منحوضًا أي قليلًا لحمه،

(١) أي أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب.

(٢) في المخطوطة : «أحمد»، وهو خطأ.

(٣) أي المبرد.

(٤) هذه الرواية في : إعراب لامية الشنفرى ١١٢، واختصار المنتخب ١٤ ب، وشرح لامية العرب لابن أبي لاجك ١٠ ب، ونهاية الأرب ٧٧.

(٥) انظر : الصحاح (سنن) ٢١٤١/٥.

فأَتوسّده . وَفُصُوصُهُ : / ١٦ب فَوَاصِلُ عظامِهِ ، الواحدُ فَصّ . وَدَحَاهَا : بَسَطَهَا .

شبهها في قِلَّة لحمها وظهورها بكِعاب ضُرِبَ فَمَثُلَتْ أي انْتَصَبَتْ ، وإنما يريد بهذا كله أنه قليل خفيف مَعْصُوب له عظامٌ شديدةُ القَصَبِ .

٤٣- فَإِنْ تَبْتَئِسْ بِالشّنْفَرَى أُمُّ قَسْطَلٍ لَمَا اغْتَبَطَتْ بَالشّنْفَرَى قَبْلُ أَطْوَلُ

القَسْطَلُ : الغُبَارُ ، وإنما يريد بأُمِّ قَسْطَلٍ : الحَرْبُ . وقُحّلٌ[1] : جَمْعُ قَاحِلٍ ، وهو اليابسُ ، ويقال : قَحِلَ جِلْدُهُ إِذَا جَف . وتَبْتَئِس : تَلْقَ بُؤْسًا من فراقِهِ .

٤٤- طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ عَقِيرَتُهُ لأَيِّهَا حُمَّ أَوَّلُ

وتروى : جرح تَيَاسَرْنَ : اقْتَسَمْنَ لَحْمَهُ كَأَنَّهُنّ ضَرَبْنَ عليها بِالمَيْسِرِ ، وهي القِدَاحُ ، وَاليَاسِرُ وَاليَسَرُ : الضّارِبُ بالقِدَاح . وَعَقِيرَتُهُ : نَفْسُهُ وجُثّته اللّتَانِ يُعْقَران ، متى ظُفِرَ به .

٤٥- تَنَامُ إِذَا مَا نَامَ يَقْظَى عُيُونُهَا حَثَاثًا إِلَى مَكْرُوهِهِ تَتَغَلْغَلُ

تَنَامُ : يَعْني الجنايَاتُ ، هي في نَوْمِهَا يَقْظَى عُيُونُهَا .

يقول : إذا قَصّر الطالبون عني بالأوتار لم تقصر الجِنَايَاتُ ، أو تبغي لي طالِبًا أحذره . وَحَثَاثًا سِرَاعًا .

٤٦- وَإِلْفُ هُمُومٍ مَا تَزَالُ تَعُودُهُ عِيَادًا كَحُمَّى الرِّبْعِ أَوْ هِيَ أَثْقَلُ

الحَمِيُّ : المَحْمُومُ .

---

(١) انظر : الصحاح (قحل) ٥/١٧٩٩ .

يقول : يعتادني الهمّ كما يَعْتَادُ حُمّى الرِّبْعِ المَحْمُومَ . / ١٧أ

٤٧- إِذَا وَرَدَتْ أَصْدَرْتُهَا ثُمّ إِنّهَا تَثُوبُ فَتَأْتِي مِنْ تُحَيْتٍ وَمِنْ عَلُ

٤٨- فَإِمّا تَرَيْني كَابْنَةِ الرّمْلِ ضَاحِيًا عَلَى رِقّةٍ أَحْفَى وَلَا أَتَنَعّلُ

ابْنَةُ الرّمْلِ : البقرةُ الوحشيّةُ . ضَاحِيًا : بَارِزًا للقَرّ والحَرّ كهذه الوحشية . وَرِقّةٍ : يُرِيدُ : رِقّةُ حَالٍ وَهُزَالٌ . وبَنَاتُ الرّمْلِ : الحيّاتُ وَمَا أَشْبَهَهَا من ساكني الرّمْلِ . وَيُرْوَى[(١)] : أَتَسَرْبَلُ .

٤٩- فَإِنّي لَمَوْلَى الصّبْرِ أَجْتَابُ بَزّهُ عَلَى مِثْلِ قَلْبِ السّمعِ والحَزْمَ أَفْعَلُ

ويروى[(٢)] : أَنْعَلُ . مَوْلَى الصّبْرِ : وَلِيّهُ . وأَجْتَابُ : أَقْطَعُ . وهذا مثلًا ضربه . وَالسّمْعُ : وَلَدُ الذئْبِ مِنَ الضّبُعِ .

٥٠- وَأُعْدِمُ أَحْيَانًا وَأَغْنَى وإِنّمَا يَنَالُ الغِنَى ذُو البُعْدَةِ المُتَبَذّلُ

يقال : عَدِمَ الرّجُلُ يَعْدَمُ وأَعْدَمَ يُعْدِمُ ، بِمَعْنًى . وَأَغْنَى : اسْتَغْنَى . والبُعْدَةُ : يريد البُعْدَ في الهمةِ . يقول : مَنْ كَانَ بَعِيدَ الهمّةِ نَال مَا طَلَبَ . ويروى[(٣)] : « البِعْدَةُ » بكسر الباء . وضمها .

٥١- فَلَا جَزِعٌ مِنْ خَلّةٍ مُتَكَشّفٌ وَلَا مَرِحٌ تَحْتَ الغِنَى أَتَخَيّلُ

المُتَكَشّفُ : الذي تَكَشّفَ فقرُه للناس . والمُتَخَيّلُ : المُخْتَالُ بغناه .

٥٢- وَلَا تَزْدَهِي الأَجْهَالُ حلْمِي وَلَا أُرَى سَئُولًا بأَعْقَابِ الأَقَاوِيلِ أُنْمِلُ

(١) هذه الرواية في : اختصار المنتخب ١٥أ ، ونهاية الأرب ٨٤ .

(٢) هذه الرواية في : أعجب العجب ١٢١ .

(٣) هذه الرواية في : أعجب العجب ١٢٢ ، وإعراب لامية الشنفرى ١٢٣ ، ونهاية الأرب ٨٦ .

تَزْدَهِي : تَسْتَخِفُّ . والأَجْهَالُ[1] : جَمْعُ جَهْلٍ ، لغةٌ شَاذَّةٌ ، بل جَمْعُ جَهْل : جُهُول ، وهي المستعملة : / ١٧ب . بأَعْقَابِ بمآخير .

أَنْمُلُ[2] : أَنَمّ ، يقال : رَجُلٌ مِنْمَل إذا كان نَمَّامًا .

٥٣- وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّها وَأَقْطُعَهُ اللاتِي بِهَا يَتَنَبَّلُ

النَّحْسُ : هاهنا البَرْدُ ، وإذا اصطلى الأعرابي قوسه فليس وراء ذاك في الشدة شيء .

والأَقْطُعُ[3] : جَمْعُ قِطْع ، وهو السَّهْمُ القصير النَّصْلِ .

ويَتَنَبَّلُ : يختار لِرميه ، وأنشد الأصمعي لذي الإِصْبَعِ[4] :

قَوَّمَ أَفْوَاقَهَا وتَرَّصَهَا أنبلُ عَدْوَانَ كُلِّهَا صَنَعَا[5]

٥٤- دَعَسْتُ عَلَى غَطْشٍ وبَغْشٍ وَصُحْبَتِي سُعَارٌ وَإِرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكَلُ

دَعَسْتُ : دَفَعْتُ . يقول : سريتُ على هذا الحال .

---

(١) انظر : القاموس المحيط (جهل) ٣/٣٤٢ .

(٢) انظر : الصحاح (نمل) ٥/١٨٣٦ .

(٣) انظر : الصحاح (قطع) ٣/١٢٦٧ .

(٤) هو ذو الإِصْبَعِ العَدواني ، واسمه حُرثان بن محرّث ، من عَدْوَان بن عمرو بن قيس عيلان ، شاعر معمر من شعراء الجاهلية ، عاش ثلاثمائة سنة ، وسمي ذو الإصبع ؛ لأن حَية نهشته في إصبعه فقطعها ، وهو أحد الحكماء ، انظر : المعمرين من العرب ١٢٣ ، والشعر والشعراء ٢/ ٧٠٨ ، والمؤتلف والمختلف ١١٨ ، وخزانة الأدب ٥/ ٢٨٤ .

(٥) البيت بلا نسبة في : الصحاح (نبل) ٥/ ١٨٢٣ ، ولسان العرب (نبل) ٦/ ٤٣٣١ .

والغَطْشُ : الظّلْمَةُ ، من قوله تعالى : ﴿أَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾[1] . قال الأعشى[2] :

وَيَهْمَاءَ بِاللّيْلِ غَطْشَى الفَلا ةِ يُؤْرِقُنِي صَوْتُ فَيّادِهَا[3]

والبَغْشُ : المطرُ الخفيفُ ، يقال : أَرْضٌ مَبْغُوشَةٌ ، أي مَمْطُورَةٌ . والفَيّادُ : ذَكَرُ البُوم . والسّعَارُ : حَرّ يجده الإنسان في جوفه من شدة الجوع والبرد . وإِرْزِيزٌ : (إِفْعِيلٌ)[4] من شيئين : من الارتزاز أي الثبوت ، يريد أنه يجمد في مكانه من شدة البرد ، أو يكون من الرّزّ وهو صوت أحشائه من الشدة . والوَجْرُ : من الخوف ، ومن ذلك يقال : أنا أَوْجَرُ ووَجِرٌ من ذلك أي أخاف . والأَفْكَلُ : الرّعْدَةُ . / ١٨أ

٥٥- فَأَيّمْتُ نِسْوَانًا وَأَيْتَمْتُ إِلْدَةً وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ وَاللّيْلُ أَلْيَلُ

أَيّمْتُ[5] : جعلتهن بلا أزواج ، والأَيّمُ التي لا زوج لها ، يقال : فُلانَةُ بَيّنَةُ الأَيْمَةِ والأُيُوم . وَاليُتْمِ في الناس مِن قِبَل الآباء ، وفي البهائم من قِبَلِ الأمهات ، هذا قول الأصمعي .

ويقالُ : وِلْدَةٌ وإِلْدَةٌ لما انكسرت ، كما قالوا في وُجُوه أُجُوهِ ، وأُقّتَتْ في

(١) سورة النازعات ٧٩/ ٢٩.

(٢) الأعشى : هو ميمون بن قيس بن سعد بن ضبيعة بن قيس ، وكان أعمى ، ويكنى أبا بصير ، من فحول شعراء الجاهلية ، أدرك الإسلام في آخر عمره ولم يسلم . انظر : طبقات ابن سلام ٤١، والشعر والشعراء ١/ ٢٥٧، والمؤتلف والمختلف ١٢، وخزانة الأدب ١/ ١٧٥- ١٧٨.

(٣) البيت للأعشى في ديوانه ق ٤٠/٨ ص ١٢٣. ويروى : « يُؤْنِسُني » بدل « يُؤْرِقُني » .

(٤) في المخطوطة : « تفعيل » ، تصحيف . انظر : خزانة الأدب ١٠/ ٣٩.

(٥) انظر : الصحاح (أيم) ١٨٦٨/٥ .

وُقِتَتْ ، وكذلك يُفْعَل بهذا إذا انكسرت أو انضمت من غير إعراب فهذا مطّردٌ .

وأَبْدَأْتُ : ابْتَدَأْتُ ، يقال : من أين أَبْدَأُ الرَّكْبَ ، ووَضَحَ وَأَوْضَحَ ، وطَرَأَ ، ودَرَهَ ، أي : من أين ابتدأ أو طلع .

أَلْيَلُ : ثابت الظلمة مُسْتَحْكِمُها ، يقال : نَهَارٌ أَنْهَرُ ، وشَهْرٌ أَشْهَرُ ، ودَهْرٌ أَدْهَرُ إذا كَمُلَ .

٥٦- وَأَصْبَحَ عَنّي بالغُمَيْصَاءِ جَالِسًا فَرِيقَانِ مَسْئُولٌ وَآخَرُ يَسْأَلُ

الغُمَيْصَاءُ : مَوْضِعٌ . وجَالِسٌ : أتى الجَلْسَ ، وهي نَجْدٌ ، يقال[1] : جَلَسَ إذا أتى الجَلْسَ أي نَجْدًا ، وأنشد الأصمعي :

إِذَا أُمّ سِرياحِ أَتَتْ فِي ظَعَائِنٍ جَوَالِسَ نَجْدًا ظَلّتِ العَيْنُ تَدْمَعُ[2]

٥٧- فَقَالُوا لَقَدْ هَرّتْ بِلَيْلٍ كِلابُنَا فَقُلْنَا أَذِئْبٌ عَسّ أَمْ عَسّ فُرْعُلُ

عَسّ[3] : طَافَ وَدَارَ ، ومنه سُمّيَ العَسْعَسُ عَسْعَسًا . والفُرْعُلُ : وَلَدُ الضّبُع ، والأنثى / ١٨ب فُرْعُلَةٌ ، وجمعها فَرَاعِلُ .

يقول : دَعَسْتُ فَنَبَحَتْ كِلَابُهُمْ فتوهّموا ذئبًا .

---

(١) انظر : لسان العرب (جلس) ٦٥٨ - ٦٥٩ .

(٢) البيت لدرّاج بن زرعة ، وهو في : الأزهية ٢٦٩، ولسان العرب (سرح) ٢/ ٤٨٢، ويروى :

إِذَا أُمّ سِرْيَاحٍ غَدَتْ فِي ظَعَائِنٍ جَوَالِسَ نَجْدًا فَاضَتِ العَيْنُ تَدْمَعُ

(٣) انظر : الصحاح (عس) ٩٤٩/٣ .

٥٨- فَلَمْ يَكُ إلّا نَبْأَةٌ ثُمَّ هَوَّمَتْ فَقُلْنَا قَطَاةٌ رِيعَ أَمْ رِيعَ أَجْدَلُ

نَبْأَةٌ: صَوْتٌ. هَوَّمَتْ: يعني الكلابُ نَامَتْ بَعْدَ النباحِ. والأَجْدَلُ: الصَّقْرُ. وإنما أراد أَقَطاةٌ رِيعَ أَمْ رِيعَ أَجْدَلُ، فدلت أَمْ على الألف. ويروى: «أَوْ رِيعَ». وَرِيعَ: أُفْزِعَ.

٥٩- فَإِنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لأَبْرَحُ[1] طَارِقًا وَإِنْ يَكُ إِنسًا مَاكَهَا الإِنْسُ تَفْعَلُ

لأَبْرَحُ: أي أتى بالبَرْح [وهي][2] الشدة. قال جرير:

مَا كُنْتُ أَوَّلَ مُشْتَاقٍ أَضَرَّ بِهِ بَرْحُ النَّوَى وَعَذَابٌ غَيْرُ تَفْتِيرِ[3]

والكاف في قوله: «كها» كاف التشبيه، والهاء والألف راجعتان إلى فِعْلَته، وهذا كقول العرب: «مَنْ عَقَّ أَبَاهُ لَا يَفْلَحُ بَعْدَهَا». يريدون بعد العَقَّة والفِعْلة.

٦٠- ويَوْمٍ مِنَ الشِّعْرَى يَذُوبُ لُوَابُهُ أَفَاعِيهِ فِي رَمْضَائِهِ تَتَمَلْمَلُ

لُوَابُهُ: ولُعَابُهُ واحد، وهو لُعَابُ الشَّمْسِ الذي يُرَى في شدة الحر، وهو كالخيوط يعرِض في العين.

٦١- نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلكِنَّ دُونَهُ وَلَا سِتْرَ إِلَّا الأَتْحَمِيُّ المُرَعْبَلُ

---

(١) يروى: «لأَبْرَحُ» في: مختارات ابن الشجري ١٠٢، وأعجب العجب ١٣١، وإعراب لامية الشنفرى ١٣٦، وتفريج الكرب ٦٧، ونهاية الأرب ٩٦.

(٢) ما بين المعكوفتين زيادة ليستقيم المعنى. انظر: نهاية الأرب ٩٧.

(٣) البيت في ديوانه ق ١٣/ ٩، ج ١، ص ١٤٥، والكامل ٢/ ٣٠٦، ونهاية الأرب ٩٧. ويروى: «محزون» و«مشعوف» بدل «مشتاق». ويروى: «الهوى» بدل «النوى».

الأَتْحَمِيّ : ضَرْبٌ مِنَ البُرُودِ . والمُرَعْبَلُ : المُقَطَّعُ الرقيقُ ، يقال : رَعْبَلْتُهُ إِذَا قَطَّعْتُهُ وَرَقَقْتُهُ . / ١٩أ

٦٢- وَضَافٍ إِذَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ طَيَّرَتْ لَبَائِدَ عَنْ أَعْطَافِهِ مَا تُرَجَّلُ

الضَّافِي : السّابِغُ . وإنما عنى شَعَرَه ، يقول : ليس يسترني في هذا الحرب إلا البُرْدُ والشَّعْرُ . واللَّبَائِدُ : جَمْعُ لَبِيدَةٍ ، وهو ما تَلَبَّدَ من شَعَرِهِ ؛ لأَنَّه لا يُرَجِّلُهُ ولا يدهنه . ويُرَجَّلُ : يُسَرَّحُ .

٦٣- بَعِيدٌ بِمَسّ الدُّهْنِ والفَلْيِ عَهْدُهُ لَهُ عَبَسٌ[1] عَافٍ مِنَ الغِسْلِ مُحْوِلُ

أَصْلُ العَبَس : مَا تَعَلَّقَ بأذناب الإبل والشاءِ وإلياتها من الأوضار . وعَافٍ : كثير ، يقال : عَفَا شَعَرُهُ إذا كَثُرَ . والغِسْلُ : مَا يُغْسَلُ به الرأس . ومُحْوِلٌ : أتى عليه الحَوْلُ . يقول : له من التراب والأوساخ ما يقوم له مَقام الغِسْل ، ولم يُنق رأسه حين غسله وفيه عَبَس منه .

٦٤- وَخَرْقٍ كَظَهْرِ التُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ بِعَامِلَتَيْنِ ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ

الخَرْقُ : البلدُ الواسعُ الذي تنخرق فيه الريحُ . كَظَهْرِ التُّرْسِ : من استوائه . وعاملتين : يعني رجليْه . غير مُعْمَل : غير مَسْلُوكٍ بَطْن هذا الخَرْق .

٦٥- فَأَلْحَقْتُ أُولَاهُ بِأُخْرَاهُ مُوفِيًا عَلَى قُنَّةٍ أُقْعِي مِرَارًا وَأَمْثُلُ

أي قطعته كله عدوًا . مُوفِيًا : مشرفًا على قُنَّةِ جَبَلٍ . والقُنَّةُ : والقُلَّةُ أعلى

---

(١) يروى : «عبس» في : مختارات ابن الشجري ١٤، وأعجب العجب ١٣٥، وإعراب لامية الشنفرى ١٤٢، واختصار المنتخب ١٨ب ، وشرح لامية العرب لابن أبي لاجك ١٧أ، وتفريج الكرب ٧١، ونهاية الأرب ٩٩.

الجبل . والإقْعَاءُ : القعود على الركبتين وباطن الفخذين كقِعْدة الكلب والسَّبُع . وَأَمْثُلُ[1] : / ١٩ب أنتصِب .

وإنما يُقْعِي ويَمْثُل ؛ لأنه مُرْتَبِئ مُرْتَقِب ليرى شيئًا يطلع له فيغير عليه .

٦٦- تَرُودُ الأَراوِي الصُّحْمُ[2] حَوْلِي كَأَنَّها   عَـذَارَى عَـلَـيْـهِـنّ المُلاءُ المُذَيَّـلُ

تَرُودُ : تذهب وتجيء . وواحد الأَرَاوِى : أُرْوِيّة وهي أنثى التَّيس البَرّي . والصّحْمُ[2] : الحُمْرُ التي تضرب إلى السواد ، وليست السُّحم ، وقال بعض المَلاصّ لنفسه أو رفيقه :

إِيّاكَ وَالأَصْحَمَ أَنْ تَعْتَارَهْ

يكذبكَ مَنْ أَبْصَرَ يَوْمًا نَارَهْ

يعتاره : يريد تعتريه بأَخْذِهِ . والنار : السِّمَة ، يقال : ما نارُ هذا البعير فيقال : مِيسَم بني فلان . يقول : إن أحببت أَخْذَ هذا البعير ، علم أنك غير مالك له لسِمته . والمُذَيّلُ : طَوِيلُ الذّيْلِ .

٦٧- وَيَرْكُدْنَ بالآصَالِ حَوْلِي كَأَنَّني   مِنَ العُصْمِ أَدْفَى يَنْتَحِي الكِيحَ[3] أَعْقَلُ

---

(١) كلمة : « وأمثل » مكررة .

(٢) في المخطوطة : « الضُّحْمُ » . تصحيف .

(٣) يروى : « يَنْتَحِي الكَيْحَ » في : مختارات ابن الشجري ١٠٦ ، وأعجب العجب ١٣٩ ، وإعراب لامية الشنفرى ١٤٧ ، واختصار المنتخب ١٩ب ، وشرح لامية العرب لابن أبي لاجك ١٧ب ، وتفريج الكرب ٧٥ ، ونهاية الأرب ١٠٣ .

يَرْكُدْنَ : يَقِفْنَ حَوْلِي . والأَصِيلُ : العَشِيّ ، والجَمْعُ أُصُلٌ ، وجَمْعُ الجَمْعِ آصَالٌ ، كَعُنُقٍ وَأَعْنَاقٍ وطُنُبٍ وأَطْنَابٍ . وإنما يَرْكُدن حوله لطول العهد به ؛ لأنه قد صار كواحد منهن فيما يزعم ، كما يألفن الأَعْصَمَ ، وهو الذكرُ من الوَعْلِ . والعُصْمُ : جَمْعُ أَعْصَم وهو الذي في موضع المِعْصَم منه بياض ، يريد الوعل وهو الموفقة أيضًا . والأَدْفَى : الذي يميل قرناه ناحيتي ظهره ، والأنثى دَفْواء ، قال أبو زيد[1] : يقال : نمت دفواء / ١٢٠أ إذا انصَبّ قرناها نحو عِلْباوَيْها . وتنتحي : تعتمد . والكَيْخُ : والكَاخُ ناحية الجبل . وأَعْقَلُ : يحل أعاقل الجبال ليَعتصِم بها ، يقال : وعلٌ أَعْقَلُ ، وأُرْوِيَّةٌ عَقْلَى ، إذا كانا قد عقلا في الجبل ، والعَقْل الحِصْنُ ، وإنما سمي مَعْقِلًا ؛ لأنه يَعْقِل فيه ويُحلّ ويُقِيم فيه .

تمت بحمد الله وعونه

---

(١) انظر : لسان العرب (دفا) ٢/١٣٩٩ .

وهو أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري ، كان عالمًا بالنحو واللغة ، توفي سنة خمس عشرة ومائتين . انظر : طبقات النحويين واللغويين ١٦٥ ، ونزهة الألباء ١٢٥ ، وتاريخ العلماء النحويين ٢٢٤ .

فهرس المصادر

١- اختصار المنتخب في شرح لامية العرب ، لمجهول المؤلف - مخطوطة مصورة عن مكتبة كوبريلي رقم ١٠٨٠ بإستانبول - ولدي مصورة عنها .

٢- الأزهية في علم الحروف ، لعلي بن محمد الهروي (ت ٤١٥ هـ) - تحقيق عبد المعين الملوحي - مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٣- إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ، لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت ٧٤٣هـ) - تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب - شركة الطباعة العربية السعودية - الطبعة الأولى - الرياض ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٤- الاشتقاق ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ) - تحقيق وشرح عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٥٨م .

٥- الأصمعيات ، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦هـ) - تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف - الطبعة الخامسة - القاهرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٦- الأصول في النحو ، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج البغدادي (ت ٣١٦هـ) - تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٧- أعجب العجب في شرح لامية العرب ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) - تحقيق الدكتور محمد إبراهيم حور - مطبعة سعد الدين - الطبعة الأولى - دمشق ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

٨- إعراب لامية الشنفرى ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ) - تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران - المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٩- الأعلام ، لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - الطبعة الثامنة - بيروت ١٤٠٩هـ ١٩٨٤م .

١٠- الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) - تحقيق عبد علي مهنا وآخرين - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

١١- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ) - تحقيق مصطفى السقا والدكتور حامد عبد المجيد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٢- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٢٤هـ) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٤- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) - تحقيق محمد المصري - منشورات مركز المخطوطات والتراث - الطبعة الأولى - الكويت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٥- بلوغ الأرب في شرح لامية العرب ، جمع وتحقيق محمد عبد الكريم القاضي ومحمد عبد الرازق عرفان - دار الحديث - القاهرة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٦- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم ، لأبي المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (ت ٤٤٢هـ) - تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو - طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٧- تفريج الكرب عن قلوب أهل الأرب في معرفة لامية العرب ، لأبي عبد الله محمد بن القاسم بن زاكور الفاسي (ت ١١٢١هـ) - دراسة وتحقيق الدكتور محمود محمد العامودي - مطبعة المقداد - الطبعة الأولى - غزة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٨- التنبيهات ، لأبي القاسم علي بن حمزة البصري التميمي (ت ٣٧٥هـ) - تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي - دار المعارف - القاهرة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

١٩- تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ) - تحقيق عبد السلام هارون وآخرين - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر - القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢٠- الجمل في النحو ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) - حققه وقدم له الدكتور علي توفيق الحمد - مؤسسة الرسالة ودار الأمل - الطبعة الثانية - بيروت

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢١- حاشية على شرح بانت سعاد، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) - تحقيق نظيف محرم خواجة - دار صادر - الطبعة الأولى - بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٢- الحلل في شرح أبيات الجمل، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ) - دراسة وتحقيق الدكتور مصطفى إمام - مكتبة المتنبي - الطبعة الأولى - القاهرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٣- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣م) - تحقيق وشرح عبد السلام هارون - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٤- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) - دار الاعتصام - القاهرة.

٢٥- ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين - دار النهضة العربية - بيروت ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٢٦- ديوان جرير، شرح أبي جعفر بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) - تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه - دار المعارف - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٧- ديوان عدي بن الرقاع العاملي - جمع وتحقيق ودراسة الدكتور عبد الله الحسيني البركاتي - المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

٢٨- ديوان علقمةالفحل، شرح أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى، المعروف بالأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) - حققه لطفي الصقال ودرية الخطيب، وراجعه الدكتور فخر الدين قباوة - دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى - حلب ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٢٩- ديوان عمرو بن كلثوم، صنعة الدكتور علي أبو زيد - دار سعد الدين - الطبعة الأولى - دمشق ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٣٠- ديوان الفرزدق، شرح إيليا الحاوي - منشورات دار الكتاب اللبناني - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣١- شرح أبيات الجمل، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى، المعروف بالأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) - تحقيق الدكتور محمد محمود شعبان - مخطوط رسالة دكتوراة بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٣٢- شرح أبيات الجمل ، لأبي القاسم عيسى بن إبراهيم بن عبد ربه بن جهور القيسي - مخطوطة مصورة عن خزانة جامع القرويين رقم ٦٥/٨٠ (١) بالرباط - ولدي نسخة مصورة عنها .

٣٣- شرح أبيات الجمل ، لمحمد بن عبد الرحمن الصنهاجي - مخطوطة مصورة عن مكتبة برلين ، تحت رقم ١٠٠٨ هـ - ولدي نسخة مصورة عنها .

٣٤- شرح أبيات سيبويه ، لأبي محمد يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي (ت ٣٨٥هـ) - تحقيق محمد علي الريح هاشم - مكتبة الكليات الأزهرية ودار الفكر - القاهرة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٣٥- شرح أبيات مغني اللبيب ، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) - تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق - دار المأمون للتراث - الطبعة الأولى - دمشق ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

٣٦- شرح أدب الكاتب ، لأبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ت ٥٤٠هـ) - دار الكتاب العربي - بيروت .

٣٧- شرح أشعار الهذليين ، لأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت ٢٧٥هـ) - حققه عبد الستار أحمد فراج ، وراجعه محمود محمد شاكر - دار التراث - القاهرة .

٣٨- شرح جمل الزجاجي ، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) - دراسة وتحقيق الدكتور علي محسن عيسى مال الله - عالم الكتب - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٣٩- شرح حماسة أبي تمام ، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى ، المعروف بالأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) - تحقيق وتعليق الدكتور علي المفضل حمّودان - دار الفكر المعاصر - بيروت ، ودار الفكر - دمشق - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

٤٠- شرح ديوان الحماسة ، لأبي زكرياء يحيى بن علي ، المعروف بالخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) - عالم الكتب - بيروت .

٤١- شرح ديوان الحماسة ، لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت ٤٢١هـ) - نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون - دار الجيل - الطبعة الأولى - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٤٢- شرح ديوان حماسة أبي تمام ، المنسوب ، لأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ) - دراسة وتحقيق الدكتور حسين محمد نقشة - دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٤٣- شرح شواهد شرح شافية ابن الحاجب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) - تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٤٤- شرح شواهد المغني، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) - تحقيق أحمد ظافر كوجان - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

٤٥- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ) - تحقيق وتعليق عبد السلام هارون - دار المعارف - الطبعة الخامسة - القاهرة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤٦- شرح القصائد العشر، لأبي زكرياء يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) - تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة - دار الآفاق الجديدة - الطبعة الرابعة - القاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٤٧- شرح القصائد المشهورات، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ) - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤٨- شرح كتاب الحماسة، لأبي القاسم زيد بن علي الفارسي (ت ٤٦٧هـ) - دراسة وتحقيق الدكتور محمد عثمان علي - دار الأوزاعي - الطبعة الأولى - الدوحة.

٤٩- شرح لامية العرب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) - طبع مطبعة الجوائب - قسطنطينية - الطبعة الأولى - استانبول ١٣٠٠هـ.

٥٠- شرح لامية العرب، لمجهول المؤلف - مخطوطة بمكتبة برلين، وعندي نسخة مصورة عنها.

٥١- شرح لامية العرب، لمحمد بن الحسين بن أبي لاجك التركي - مخطوطة بمكتبة برلين - وعندي مصورة عنها.

٥٢- شرح المعلقات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني (ت ٤٨٦هـ) - تحقيق ودراسة محمد عبد القادر أحمد - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الأولى - القاهرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٥٣- شرح المفصل، لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ) - مكتبة المتنبي - القاهرة.

٥٤- شرح مقصورة ابن دريد، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) - دراسة وتحقيق محمود جاسم محمد - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٧هـ -

١٩٨٦م.

٥٥- شرح ملحة الإعراب، لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري (ت ٥١٦هـ) - حققه الدكتور أحمد محمد قاسم - مطبعة عبير للكتاب - الطبعة الأولى - القاهرة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

٥٦- شعر ابن ميادة، جمع وتحقيق الدكتور حنا جميل حداد - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٥٧- الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) - تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر - دار المعارف - القاهرة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٥٨- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨هـ) - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - الطبعة الثالثة - بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥٩- ضرائر الشعر، لأبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي القزاز القيرواني (ت ٤١٢هـ) - تحقيق وشرح ودراسة الدكتور محمد زغلول سلام، والدكتور محمد مصطفى هدارة - منشأة المعارف - الإسكندرية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٦٠- طبقات الشعراء، لعبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ) - تحقيق عبد الستار أحمد فراج - دار المعارف - الطبعة الرابعة - القاهرة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٦١- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ) - شرح محمود محمد شاكر - مطبعة المدني - القاهرة.

٦٢- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت ٣٧٩هـ) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - الطبعة الثانية - القاهرة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٦٣- عنوان الأدب بشرح لامية العرب، لأبي الإخلاص جاد الله الغنيمي الفيومي المصري (ت ١١٠١هـ) - مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٩٥ أدب، وعندي نسخة مصورة عنها.

٦٤- عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) - شرح وضبط وتعليق وتقديم الدكتور يوسف علي طويل - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦٥- الفصول والجمل في شرح أبيات الجمل، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم ابن خلف اللخمي (ت ٥٧٧هـ) - مخطوطة بالزاوية الحمراء بالمغرب - وعندي نسخة

مصورة عنها.

٦٦- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي (ت ٨١٧هـ) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٦٧- الكامل، لأبي العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - القاهرة.

٦٨- الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه (ت ١٨٠هـ) - تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٦٩- الكشف عن وجوه القراءات السبع، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) - تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان - مؤسسة الرسالة - الطبعة الرابعة - بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٧٠- كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه، لأبي جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ)، ضمن نوادر المخطوطات - تحقيق عبد السلام هارون - دار الجيل - الطبعة الأولى - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٧١- لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ) - دار المعارف - القاهرة.

٧٢- مختارات شعراء العرب، لهبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي (ت ٥٤٢هـ) - تحقيق علي محمد البجاوي - دار نهضة مصر - القاهرة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٧٣- مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٧٤- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) - شرحه وضبطه محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي - دار التراث - القاهرة.

٧٥- مشكل إعراب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) - تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية - بيروت - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٧٦- المعارف، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) - حققه وقدم له

الدكتور ثروت عكاشة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة السادسة - القاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٧٧- معاني القرآن ، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة ، المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ) - تحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد - عالم الكتب - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٧٨- معجم الأدباء ، لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ) - دار الفكر - الطبعة الثالثة - بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٧٩- معجم البلدان ، لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ) - دار صادر - بيروت .

٨٠- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ) - تحقيق مصطفى السقا - عالم الكتب - الطبعة الثالثة - بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٨١- معلقة عمرو بن كلثوم ، بشرح أبي الحسن محمد بن أحمد بن كيسان (ت ٢٩٩هـ) - دراسة وتحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا - دار الاعتصام - الطبعة الأولى - القاهرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .

٨٢- المعمرين من العرب ، لأبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني البصري (ت ٢٥٣هـ) - تحقيق وتعليق محمد إبراهيم سليم - دار الطلائع - القاهرة - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٨٣- المقتضب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) - تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة - مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - القاهرة - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٨٤- من اسمه عمرو من الشعراء ، لأبي عبد الله بن داود بن الجراح (ت ٢٩٦هـ) - تحقيق الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع - مكتبة الخانجي - الطبعة الأولى - القاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

٨٥- المؤتلف والمختلف ، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠هـ) - تصحيح وتعليق الدكتور ف . كرنكو - دار الكتب العلمية - الطبعة الثانية - بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٨٦- الموشح ، لأبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤هـ) - تحقيق علي محمد البجاوي - دار الفكر العربي - القاهرة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

٨٧- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار نهضة مصر - القاهرة.

٨٨- نهاية الأرب في شرح لامية العرب، لعطاء الله بن أحمد بن عطاء الله بن أحمد المصري الأزهري (ت ١١٨٦هـ) - دراسة وتحقيق الدكتور محمود محمد العامودي - دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى - غزة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٨٩- وشي الحلل في شرح أبيات الجمل، لأبي العباس أحمد بن يوسف اللبلي (ت ٦٩١هـ) - تحقيق ودراسة الدكتور أحمد الطيب محمد الفاتح قريب الله - رسالة دكتوراة في كلية الآداب جامعة أدنبرة بيريطانيا ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٩٠- وفَيَات الأعيان وإنباء أنباء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان (ت ٦٨١هـ) - تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار صادر - بيروت.

* * *

اصطلاحات الصوفية :
أبعاد جديدة
في التطور الدلالي

د . يحيى عبد الرؤوف جبر*

تمثل اصطلاحات الصوفية ثروة أدبية كبيرة ؛ إذ إن لهم معجمهم الخاص وتعابيرهم الخاصة ، وطرقهم الخاصة . وهذه التعابير تمثل مذهبهم في الأدب .

وقد رأى غيرهم أن ذلك من قبيل « الرمز » ، لكن الحقيقة تجانب ذلك ؛ فهم يقصدون إلى الإغراب قصدًا ، ولذلك لجأوا إلى استخدام ألفاظ معقدة ومعانٍ مغلقة ؛ فهم لم يكونوا يكتبون للعامة ، بل للخاصة العارفين ، ولقد صدقوا في تجربتهم ، فإن من ذاق عرَف .

---

* رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطيني (سابقًا) ، وأستاذ العلوم اللغوية في جامعة النجاح الوطنية بنابلس .

نحاول في هذا البحث أن نغوص في بحر التصوف لمعرفة العلاقة بين اصطلاحات المتصوفة ودلالاتها، ولما كانت هذه الألفاظ من المعجم اللغوي، وكانت تستخدم لغير دلالالتها الأصلية لعلاقات غير مجازية، بل لا مجال فيها للنظر العقلي، فإن البحث فيها عسير، ورصد أوجه التطور الدلالي يكاد يكون كذلك، غير أننا تمكنا من الإشارة إلى بعض الحقائق التي من شأنها أن تمهد الطريق لبحث أعمق، حبذا لو يتم على يد رجل من المتصوفة، نظرًا للخصوصية التي يمتاز بها عالم التصوف عن عالم الإدراك الحسي والعقلي .

مصادر الألفاظ الصوفية

يقف المطالع في ألفاظ المتصوفة واصطلاحاتهم على أنها مستمدة من عدة مصادر، ثم صرفت لدلالات جديدة خاصة بهم، ويصعب فهمها فهمًا دقيقًا من قبل غيرهم، ذلك لأنها تعتمد على التجربة والمعرفة الذوقية، وهما أمران لا سبيل إلى «تأطيرهما» وفقًا لمعايير وأقيسة علمية منطقية .

ونستطيع ردَّ جل اصطلاحات الصوفية إلى الفقه والتوحيد من علوم الديانة الإسلامية، وأكثرها مستمدٌّ من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فلو تأملنا في اصطلاحات البدايات ومقاماتها من عناصر ودعامات المنازل العشرة عند الهروي[1] : اليقظة، التوبة، المحاسبة، الإنابة، التفكر، التذكر،

(١) دراسات في الفلسفة الدينية والصوفية والعلمية، د . عبد القادر محمود . دار الفكر العربي، ١٩٨٧، ص ٢٧٣ .

والاعتصام ، والفرار والرياضة والسماع - لوجدنا أنها مما ورد في القرآن الكريم بلفظه أو بفعله عدا الرياضة ، ونظير ذلك في الأبواب : الحزن ، الخوف ، الإشفاق ، والخشوع ، والإخبات ، والزهد ، والورع ، والتبتل ، والرجاء ، والرغبة ، إذ إن معظم هذه الألفاظ قرآنية لمعانيها ، لولا أن القوم أضْفَوا عليها أبعادًا اختصُّوا بها دون غيرهم . وقد يطول بنا الحديث في استعراض الاصطلاحات التي استمدها المتصوفة من القرآن الكريم والحديث الشريف ، وقد يكون خير مثال يوضح مذهب القوم في التصرف في الألفاظ وتوليدها ما يعرف في اصطلاحاتهم باسم « العلم اللّدني » ، من كلمة « لدن » الواردة في قوله تعالى : ﴿ وعلّمناه من لدنّا علمًا ﴾[١] ، وهو العلم الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج .

ومن مصادر ألفاظ الصوفية المعجم الشيعي ، لا سيما أن كثيرًا من الباحثين والمتصوفة يرتدون بأصل المذهب إلى الإمام علي (مصباح التوحيد ومفتاح التغريد) ، على ما لقبه العز بن عبد السلام[٢] ، ونجد كثيرًا من المفردات مستمدة مما عرف بفقه الباطن مقارنًا بفقه الظاهر ، ومن ذلك اصطلاحات كالقطب والولاية والأبدال .

وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن « نظرية الحلول » التي قال بها بعض الشيعة (الفاطمية والدروز منهم) هي نفسها التي كان يقول بها الحلّاج وبعض المتصوفة . ومن يطالع أشعار تميم بن المعز لدين اللّهِ الفاطمي وأشعار العز بن عبد

---

(١) الكهف ٦٥ .

(٢) زبدة خلاصة التصوف المسمى بحل الرموز ، العز بن عبد السلام . المطبعة اليوسفية بطنطا ، ص ٥١ .

السلام يجد تشابهًا كبيرًا في الألفاظ لدلالاتها .

كما يستخدم المتصوفة اصطلاحات مستمدة من معجم اللغة العام، كالحرية والحزن[١] ، ولكنها لا تستخدم للدلالة على المعنى المألوف ، فالحرية والعبودية عندهم لعلاقة بالشهوات والنفس والشيطان ، فمن تولاها فهو عبد لها . ومن أفلت من سطوتها فهو الحر . والحزن عند عامة الناس إنما يكون على الدنيا وما فيها ، ونادرًا ما يكون على شيء آخر ، بينما شرطه عندهم ألا يكون على الدنيا وما فيها . والحزن هو زاد الصوفي وراحلته ، والقلب الطروب في نظرهم قلب فارغ خرب ، والقلب الحزين قلب مملوء بالإيمان والخشية والرجاء[٢] .

بإجمال ، فإن التصوف العلاقة بالنفس وأحوالها ، وبالمعرفة وسبيلها ، وهو عندهم القلب والذوق ، ومن هنا كانت اصطلاحاتهم مستمدة من معجم النفس وأكثر ذلك من القرآن الكريم ، كتاب النفس ودليلها الذي وضعه صانعها - عزّ وجل - وهو أدرى بها . وقد ذهب القوم بعيدًا في التحليل ، وتعمقوا فوصلوا آفاقًا لم يصل إليها سواهم ، فعرفوا من الحقائق ما لم يعرفه غيرهم ، وبالتالي فإنهم وإن استخدموا ألفاظنا إلا أنهم يُحَلِّقون بمعانيها في أجواء أرحب من أجواء معانينا ، وأكثر إشرقًا ، فلا عجب إن نحن حُمْنا حول معانيهم دون أن ندركها مثل ما يدركونها هم .

وكي نتمكن من سبر العلاقة بين ألفاظ المتصوفة ودلالاتها ، فإنه لا بد لنا

---

(١) التصوف الإسلامي ، د . حسن عاصي . مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٤ . ص ١٤٠، ١٤١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

بداية من استعراض نظرية المعرفة عندهم، وسبيلهم إلى تحقيقها وإدراكها، وهل هم سواء وغيرهم في ذلك، أم أنهم مختلفون، وهل يخضع الاختلاف إلى أقيسة ومعايير تمكننا من التحقق مما يعرض لنا ويتكشف منه ؟ وتوجيه ذلك كله أن نظرية المعرفة تضبط العلاقة بين المدركات والإنسان، وتوجّهها، وتتحكم في مسار دلالة الألفاظ والاصطلاحات في رحلة التطور، وتمكننا من رصد الأبعاد الجديدة التي بلغتها رموز الصوفية ألفاظًا ومعانيَ .

نظرية المعرفة عند المتصوفة

تناول ابن خلدون في الفصل الثاني من كتابه «شفاء السائل لتهذيب المسائل»[١] النظرية المفسرة لإمكان الكشف الصوفي، وفسره بنظريتي النفس والمعرفة وتستند نظرية النفس عنده إلى فكرتين تتعلق أولاهما بالنظرية الثنائية، قال : «اعلم أن اللّهَ خلق هذا الإنسان مركبًا من جثمان طاهر وهيكل محسوس وهو الجسد، ومن لطيفة ربانية وأركبها مطية بدنه، وهذه اللطيفة مع البدن بمنزلة الفارس مع الفرس، والسلطان مع الرعية»[٢] .

وتتعلق الثانية بشروط اكتمال النفس، وهي شروط متناقضة كما سنرى، فالنفس بحاجة إلى البدن لاكتساب المعرفة، ولكن البدن عائق دونها، والمعرفة المباشرة لما هو من طبعها، وما تكتسبه النفس من العلوم والأخلاق بواسطة البدن بعضها يرفعه نحو الكمال، وبعضه يحطُّها .

(١) شفاء السائل مع دراسة تحليلية للعلاقة بين السلطان الروحي والسلطان السياسي، د. أبو العزب المرزوقي . الدار العربية للكتاب، بيروت، ١٩٩١، ص ١٥٣ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ص ٧٧ ب .

ولم يتعرض ابن خلدون إلى نظرية العقل عند الإنسان ، لأن هذه النظرية تقتضي الوصول إلى إدراك العالم الروحاني بتوسط المعرفة الكسبية في معناها الفلسفي القائم على المعرفة الحسية المنطقية ، التي يعدّها ابن خلدون عوائق أمام المعرفة الذوقية والوجدان ؛ « فالنفس الروحانية إذا شعرت بإدراكها الذي لها من ذاتها بغير واسطة وحصل لها ابتهاج ولذة لا يعبر عنهما ، وهذا الإدراك لا يحصل بنظر ولا علم ، وإنما يحصل بكشف حجاب الحس ونسيان المدارك الجسمانية بالجملة ... » .

فأما قولهم – يعني الفلاسفة – : إن البراهين والأدلة العقلية محصلة لهذا النوع من الإدراك والابتهاج عنه ، فباطلٌ كما رأيته ، إذ البراهين والأدلة من جملة المدارك الجسمانية لأنها بالقوى الدماغية من الخيال والفكر والذكر ، ونحن نقول : إن أول شيء نعنى به في تحصيل هذا الإدراك (هو) إماتة هذه القوى الدماغية كلها ، لأنها منازعة له ، قادحة فيه »[1] .

كما ناقش ابن خلدون ، عقب ذلك ، شرط تحقق المعرفة الكشفية وأنها لا تكون بتوسط البدن ، بل بالقطع معه وإماتته حتى لا يحول دون النفس وعالمها الذي منه ذاتها .

والسبيل الأولى المؤدية إلى المعرفة الكسبية منهجها المنطق . والسبيل الثانية المؤدية إلى المعرفة الكشفية منهجها الطريقة الصوفية « الرافعة للعوائق البدنية والماحية للصفات البشرية »[2] .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٩٩٨، ٩٩٩ .

(٢) شفاء السائل ، ص ٨١ أ (عن المرزوقي ص ١٥٥) .

ويمكن أن نوجز نظرية ابن خلدون في هذا المجال بأن اللّه- سبحانه وتعالى - لما فطر اللطيفة الربانية (الروح) المودعة في الإنسان على الاستكمال بالمعرفة والعلم بحقائق الموجودات وصفات موجدها ، جعل لها جانبين :

- جانب تجاه الوجود الحسي يعتمد العقل .

- وجانب تجاه ما كتب في اللوح المحفوظ ، فإذا ارتفع الحجاب بالتصفية والتخليص من الإكدار وقع الإدراك بالجانب الآخر ، لا بالحس ولا بالفكر ولا بالخيال ، ولكن باللطيفة الربانية ، إذ تنطبع الصور في ذاتها لأن لها من ذاتها ، وتحصيل مالها من ذاتها بذاتها أوثق من تحصيله بغيرها .

ومن هنا لم ير أفلاطون في العلم الكسبي برهانًا قطعيًا على العالم الروحاني ، ويرى نسبة الكسبي إلى الإلهامي كنسبة الظن إلى العلم ، وهكذا فالمعرفة الكشفية ممكنة ، وشروط وجودها موجودة في النفس وقابلة للتحقيق ، بفضل السلوك الصوفي المزيل للعوائق البدنية .

ويفرق ابن خلدون أيضًا بين هذين النوعين من العلم وبين العلم الروحاني[(١)] فيجمل رأيه فيها على النحو التالي :

١- العلم الكسبي : وجهته الحياة الدنيا والعالم الأسفل ، يكتسب منها العلوم والمعارف ببسط الحواس الظاهرة على المدركات بانتزاع صورها من الخيال ، ثم تجريد المعاني المعقولة منها ، ثم تصرّف الفكر فيها بالتركيب والتحليل ونظم الأقيسة حتى يحصل مطلوبها الذي تتوجه إليه ، وهذا العلم ظاهر بالحس .

(١) المصدر السابق ، ص ٨١ أ .

٢- العلم الإلهامي : وهو الوحي ينزل على النفس الصافية خلقة وجبلة بالعصمة ، وهذا معلوم من الدين ضرورة .

٣- العلم الروحاني : وهو ما كان نتيجة للتصفية والتخليص بالمجاهدة من غير عصمة ، وإنما بالاكتساب والتكلف ، والعلم المستفاد هنا لا نشعر بسببه ولا بمورده ، وإنما يكون نفثًا في الروح ، وهو ذوق العلم ، والعلم اللدني من قوله تعالى : ﴿ وآتيناه من لدنا علمًا ﴾ ، وهو العلم الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج . وهذا ما يعرف عند بعضهم بعقل الاختصاص أو العقل الحادث أو الذوق الباصر الكاشف ... سبيل المتصوفة إلى المعرفة الذوقية أو الوجدانية التي هي أعلى درجات المعرفة الصحيحة ، ولا يمكن الإفصاح عنها بأية وسيلة من وسائل التعبير الإنساني ، ولا يمكن بالضرورة نقلها أو توصيلها للآخرين إلا بوصولهم أنفسهم إليها[(١)] .

وهذا يعني أننا بصدد معارف خاصة ، لا يدرك دلالاتها إلا من ذاقها ، ولكن حاجة القوم إلى التعبير عنها ووصفها تضطرهم إلى استخدام لغة « العامة » ، فجاءت عباراتهم رموزًا مستغلقة إلى حد ما . وقد يصحُّ أن نترجم ذلك بقصور اللغة عن التعبير عن معانيهم ، ليس لقصور طبعي فيها ، وإنما لأن معاني المتصوفة تقع خارج إطار معاني اللغة ، ويتم التوصل إليها بغير الأساليب التي يتم التوصل بها إلى معانيها ، ولا يعرف الشَّوْقَ إلا من يكابده ... والمكابدة درجات ، وأنَّى للغة أن تُعَبِّر عن ذلك كله ، بل أنى لامرئ أن يقدر على التعبير لآخر عن شيء يجده بألفاظ يستخدمها الآخر للتعبير عن شيء مختلف يجده .

(١) دراسات في الفلسفة الدينية ٣٧٤، ٣٧٥ .

قصور اللغة

يرى ابن عربي أن العلم الروحاني ، أو ما أسماه بالعلوم الإلهية الذوقية ، تختلف عن سائر العلوم ، وذلك في أنها لا تخضع لمعايير ، ولا تعترف بالعقل « فلا يقدر عاقل على أن يَحُدَّها ولا يُقيم على معرفتها دليلا ، كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والعشْق والوجد والشوق ، وما شاكل هذا النوع من العلوم ، فهذه علوم من المحال أن يعلمها أحد إلا بأن يتصف بها ويذوقها ، وبالذوق تتميز الأشياء عند العارفين ، والكلام على الأحوال لا يحتمل البسط ، وتكفي فيه الإشارة إلى المقصود ، ومهما بسطت القول فيه أفسدته ، فعلوم الأذواق لا تنقال ولا تنحكي ولا يعرفها إلا من ذاقها ، وليس في الإمكان أن يبلغها من ذاقها إلى من لم يذقها وبينهم في ذلك تفاضل لا يعرف »[(١)] .

إذا فنحن بصدد معان تتحصَّل في النفس وتعجز اللغة عن التعبير عنها ، لأن اللغة إنما تستخدم في مجال التعبير عن شيء مألوف عند كل من الملقي والملتقى ، أو عند أحدهما ، فهذا يحاول بسطه للآخر بألفاظ من لغتهما ، أما ألفاظ المتصوفة فهي من ألفاظ اللغة من حيث هي أصوات ، ولكنها من حيث المعنى تختلف عن سائر ألفاظ اللغة ، لأن معانيها ليست متداولة بين عامة الناس ، ليس لجِدَّتها ، فهي لم تستقر لها بعد في معاجمهم وعقولهم ، ولكن لطبيعتها وللطريقة التي تدرك بها ، إذ هي متفاوتة من متصوف لآخر ، ونادرًا ما يستطيع

---

(١) شرح فصوص الحكم من كلام محيي الدين بن عربي ، تحقيق محمود العزاب ، مصر ١٩٨٥، ص ١٤٥ .

غير المتصوفة إدراكها وإن اجتهدوا في ذلك ، ولأنها لا تخضع في تحصيلها لمعايير مصطلح عليها ومعايير متفق عليها ، بل تتحصَّل في النفس عن طريق الحلول دون كَيْفٍ تحدده الألفاظ .

يقول ابن خلدون في هذا الصدد[1] : « إن التعبير عن تلك المدارك والمعاني المنكشفة من علم الملكوت متعذِّرة ، لا بل مفقودة ، لأن ألفاظ التخاطب في كل لغة من اللغات إنما وضعت لمعان متعارفة من محسوس أو متخيل أو معقول تعرفه الكافة ، إذ اللغات تواضع واصطلاح ، فلا توضع إلا للمعروف المتعاهد ، فأما ما ينفرد بإدراكه الواحد في الأعصار والأجيال فلم توضع له ، ولا يصح التجوز بهذه الألفاظ على طريق المجاز ، إذ التجوز إنما يكون بعد مراعاة معنى مشترك أو نسبة ، ولا نسبة بوجه بين عالم الملكوت وعالم الملك ، بل هي متعذرة أو مفقودة ، فكيف يتكلم بما لا يفهم فضلا عن أن يودع الكتب ؟ وإن صاروا إلى ضرب الأمثال والقنوع بالإجمال فسبيل مبهم » .

ومن هنا لجأ المتصوفة مضطرين إلى الإشارة والتلميح ، فالسامع من غيرهم يحوم حول معانيهم دون أن يكون قادرًا على الوقوع عليها ، ولذلك رأيناهم يفرقون بين معرفة العقل ومعرفة القلب ، وتجعل استحالة التعبير الحقيقي والمجازي عن هذه المعاني المنكشفة أمام مفارقة تتمثل في كيف نوفق بين هذا وبين ما يقال من تحقيق علم المكاشفة أو علم الباطن « إن القلب عند تطهيره وتزكيته من الصفات المذمومة ، ثم إخماد القوى البشرية ، ومحاذاة جانب الحق ... يرتفع عنه الحجاب ويتجلى فيه النور الإلهي ، فتنكشف له بذلك أسرار الوجود ؛ علوه

(١) شفاء السائل ، ص ٣٥ أ .

وسفله، وملكوت السماوات والأرض، فتتضح له معاني العلوم والصنائع، وتنحل جميع الشكوك والشبه، ويطلع على ضمائر القلوب وأسرار الوجود، وتنكشف له معاني المتشابهات الواردة في الشرع حتى تحصل له المعرفة بحقائق الوجود كلها على ما هي عليه[1] ».

وكما ذكرنا قبل قليل، وإزاء عجز اللغة عن التعبير عن الحقائق التي يدركها المتصوفة في تجلياتهم، فقد وجدوا في الإشارة والتلميح سبيلا يمكنهم من تقريب تلك المكاشفات بعضهم إلى بعض، وإلى من يدرس آدابهم محاولًا فهمها، ونذكر في هذا المجال ما قاله بعض المتكلمين لأبي العباس ابن عطاء: ما بالكم أيها المتصوفة قد اشتققتم ألفاظًا أغربتم بها على السامعين وخرجت عن اللسان المعتاد، هل هذا إلا طلبًا للتمويه أو سترًا لعوار المذهب؟ فقال أبو العباس: ما فعلنا ذلك إلا لغيرتنا عليه لعزته علينا، كيلا يشربها غير طائفتنا، ثم اندفع يقول:

أحسن ما أظهره ونظهره ... بادئ حق للقلوب نشعره
يخبرني عنه وعنه أخبره ... أكسوه من رونقه ما يستره
عن جاهل لا يستطيع ينشره ... يفسد معناه إذ ما يعبره
فلا يطيق اللفظ بل لا يعشره ... ثم يوافي غيره فيخبره

ثم قال وأنشدونا أيضًا:

(١) المصدر السابق، ص ٣٢ ب.

إذا أهل العبارة ساءلونا　　أجبناهم بإعلام الإشارة
نشير بها فنجعلها غموضًا　　تقصر عنه ترجمة العبارة
ترى الأقوال في الأفعال أسرى　　كأسر العارفين ذوي الخسارة[١]

وفي هذه الحكاية ما يقفنا على حقيقة العلاقة بين اصطلاحات الصوفية ومعانيها ، فالمتكلمة يركبون مطية المنطق والألفاظ المتداولة ، أما هؤلاء فإن لهم سبيلًا آخر ، فعلومهم غير العلوم ، إنها «علوم الخواطر ، علوم المشاهدات والمكاشفات ، وهي التي تختص بعلم الإشارة ، وهو العلم الذي تفردت به الصوفية ...، وإنما قيل : علم الإشارة ؛ لأن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق ...»[٢] . ولذلك فإن علومهم مستورة عن عامة الناس ، مفتوحة لهذه الطائفة دون غيرهم .

وتوجيه ذلك أن هذه الطائفة اصطلحت على ألفاظ في علومها تعارفوها بينهم ورمزوا بها ، فأدركها صاحبهم ، وخفيت على غيره . ومن هنا خف عدد كبير من المصنفين قديمًا وحديثًا إلى وضع معاجم لشرح اصطلاحات الصوفية وتقريبها من الأفهام ، كالقاشاني والكاشاني وابن عربي وغيرهم .

جاء في مقدمة اصطلاحات الصوفية لابن عربي ، المطبوع في هامش كتاب التعريفات للجرجاني[٣] : «أما بعد ، فإنك أشرت إلينا بشرح الألفاظ التي تداولها الصوفية المحققون من أهل اللهِ بينهم ، لما رأيت كثيرًا من علماء الرسوم

---

(١) التصوف الإسلامي ، ص ٢٢٩ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .
(٣) بيروت ١٩٧٨ .

وقد سألونا في مطالعة مصنفاتنا، ومصنفات أهل طريقتنا مع عدم معرفتهم بما تواطأنا عليه من الألفاظ التي يفهم بها بعضنا عن بعض، كما جرت عادة أهل كل فن من العلوم ...».

وتعد اصطلاحات الصوفية ثروة أدبية كبيرة، ذلك بما تمثله من الحياة الروحية العميقة التي يحياها المتصوفة. «ونكاد نقول: إن لهم معجمهم الخاص، وتعبيرهم الخاص وطرقهم الخاصة، وهذه التعابير تمثل مذهبهم في الأدب والرمز، المذهب الذي عيب عليهم سلوكه، حتى إن الثعالبي حين أخذ على المتنبي قال: «أمثال ألفاظ المتصوفة واستعمال كلماتهم المعقدة ومعانيهم المغلقة». وأعتقد أن الصوفية أرادوا هذا الغموض والرمز، وعمدوا إليه باختيارهم، لأنهم لا يقولون الشعر أو النثر لعامة الناس، وإنما يقولون لفئة خاصة من أصحاب القلوب وذوي الأبصار»[1].

ومن هنا كان «كل ما نعرفه حتى يومنا هذا عن الصوفية ضئيلًا ومحدودًا بالمقارنة بما ذكره علماء وفقهاء الصوفية في كتبهم، وحتى هذا الجزء الضئيل من المعرفة الصوفية غير معروف إلا لفئة قليلة متخصصة في جامعاتنا، ويرجع ذلك إلى عدم الإلمام بمعاني الألفاظ الصوفية لدى الكثير من المتعلمين والمثقفين»[2].

ونستطلع شيئًا من طبيعة معاني المتصوفة يؤكده أقطابهم في آثارهم. فهذا هو العز بن عبد السلام يقول في قصيدة تدور حول فكرة أن الكون نسخة من الإنسان:

(١) في التصوف الإسلامي، قمر كيلاني، دار مجلة شعر، بيروت ١٩٦٢، ص ٧٨، ٩٢.

(٢) المذاهب الصوفية ومدارسها، عبد الحكيم عبد الغني محمد قاسم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٧.

إذا كنت تقرأ علم الحروف   فشخصك لوح به أسطر
وتمـثـال ذلـك أنمـوذج   لكل الوجود لمن يبصر
حروف معانيك لا تنقري   لذي الجهل كلا ولا تظهر[(١)]

فالإنسان لوح عليه سطور، وسطور معانيه لا تنقري لذي الجهل، يقصد غير العارف باللّهِ، من غير المتصوفة، لأنه حتى من ادّعى المعرفة باللّهِ قد لا يكون كذلك:

يا أيها المدعي للّهِ عرفانا   وقد تفوه بالتوحيد إعلانا
وتطلب الحق بالعقل الضعيف   وبالقياس والرأي تحقيقًا وتبيانا[(٢)]

فالعقل ضعيف، وكل أدواته من قياس ورأي وغيرهما لا تستطيع اختراق الحجب، وإنما السبيل إلى ذلك بالمجاهدات والذوق وعلم القلوب .

دلالات الاصطلاحات الصوفية

تتراوح أبعاد التطور الدلالي المرصودة في جل اللغات ما بين المادي والمعنوي استجابة لما تقتضيه العلاقات المجازية والعلل التوليدية في ضوء ما ينعكس من تباين وتواصل بين الحواس والعقل، اللذين يمثلان السبيل الرئيس لمعرفة الإنسان لما يقع خارجه . وقد كان اعتماد الإنسان على حواسه أكثر من اعتماده على

(١) زبدة خلاصة التصوف، ص ٣٩ .
(٢) المصدر السابق، ص ٤٨ .

عقله باديء الأمر، ثم راح ينظم معارفه الحسية ويحللها ويعللها على نحو ما ينشط به العقل، ونبرهن على ذلك بما تعكسه مفردات اللغة التي تطلق على «الشهر» في جل لغات العالم، إذ نجدها مشتقة من اللفظ الذي يطلق على الهلال والقمر[1]، ذلك أن الإنسان علّم بدورة القمر - وهي مما يدرك بحاسة البصر - على حدود الزمان، بينما نجد أن التقويم الشمسي قد تأخر، ذلك لأنه يعتمد على الحساب، وهو عقلي لا حسيّ.

ومن ذلك أيضًا سَبْق الألفاظ التي يعبر بها عن المشرق والمغرب، تلك التي يعبر بها عن الشمال والجنوب، ذلك أن الأولين يعلم عليهما بشروق الشمس وغروبها، وهما مما يدرك بالحس، بينما لا يعلّم على الآخرين بمثل ذلك، بل يعرفان بالعقل.

ويقف المطالع في معجم العربية على حقيقة تتمثل في أن جلَّ الألفاظ إنما كانت ابتداء - وما تزال - تستخدم لدلالات تنصرف لمعان مادية، ثم تطورت دلالاتها لتقع على معان معنوية أو مجردة. فالعطف والحنان والحنو - من المعاني الإنسانية - هي في الأصل معان مادية تختصُّ بالناقة وابنها، وهذا موضوع واسع يطول فيه الحديث، ولكن لا يعدو أن يكون في إطار ما يتراوح بين المحسوس والمعنوي، أو بين ما تدركه الحواس وما يدرك بالعقل.

وينقلنا الصوفيون إلى أبعاد جديدة في معارفهم، ذلك أنهم يتجاوزون دائرتي المحسوس والمعقول إلى دائرة المذوق، ويجعلون الذوق كالحس والعقل،

(١) نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة، د. يحيى جبر، ط. نابلس، د. ت. «الصين بين العلم واللغة»، ص ٢٧ وما بعدها.

بوابة للمعرفة على نحو ما يتجلى في قولهم : « من ذاق عرف ، ومن لم يذق لم يعرف » . ذلك أن الذين لم يعرفوا طعم الوجد والشوق الصوفي لا يعرفون ماهية الوجد والشوق الحقيقي .[١] وتحرير ذلك أن التصوف تجربة ذوقية ، وليس علمًا يدرس ، وهو تجربة روحية بعيدة من المادة ، مما يعني أنه لا شأن للعلم الحديث بالتصوف لأن العلم مجاله المادة ، والتصوف روحاني ولا يدرك حقيقته إلّا من مارسه وعاشه . ومن هنا فإنه إذا دخل شخص عادي أحد مجالس الصوفية صعب عليه فهم ألفاظهم وإشاراتهم ، أما إذا دخل صوفي مجلسًا من مجالسهم فإنه يندمج بينهم ويتفهم أقوالهم وكأنه يعرفهم من زمن بعيد ، ويعتبر هذا بالنسبة له جوًّا عاديًّا وطبيعيًّا ومألوفا »[٢] .

واصطلاحات الصوفية ليست كغيرها من الاصطلاحات ؛ تخضع لمنطق العقل والنظر ، ولكنها « تفهم عن طريق الذوق والكشف . ولا يتأتى ذلك إلا لسالك يداوم على مخالفة الأهواء وتجنب الآثام والبعد عن الشهوات وإخلاص العبادات والسير في طريق اللّهِ بالرياضات والمجاهدات في الطاعات ، حتي تنكشف لهذا المريد الصادق غوامضها وتتجلى له معانيها ، فيتحلى بها كالجواهر الفريدة لا ينازعه في فهمها إلا من وصل إلى درجته أو تجاوزها من أقرانه وأساتذته في الطريق »[٣] .

وهذا يعني أن المتصوفة في رياضاتهم ومجاهداتهم يتجاوزون حدي الحس

---

(١) ألفاظ الصوفية ومعانيها ، د . حسن الشرقاوي . ط٢ . دار المعرفة الجامعية ، ص ٨ .

(٢) التعرف لمذاهب أهل التصوف ، أبو بكر محمد الكلاباذي ، ص ٨٨ . والرسالة القشيرية في علم التصوف ، أبو القاسم عبد الكريم القشيري ، تحقيق معروف زريق ، وعلي بلطجي . دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ١/٢٥ .

(٣) ألفاظ الصوفية ومعانيها ، ص ٥ .

والعقل ويبلغون حد الفناء الذي يمثل الوجه الآخر للاتحاد، ويستقلون عن سائر العباد بعالم فريد، يختلف عن عالم الناس العاديين في معالمه وأبعاده، «ويعتبرون السبيل إليه أن يفنى الإنسان عن ما يدرك بالحس، وعن ما يخطر بالعقل، وعن كل فعل وكل شعور، وأن يكون في حالة تأمُّل تصل به إلى حد تعطيل الحياة العقلية الواعية»[(١)] . ويترتب على ذلك أن تكون معاني المفردات التي يعبرون بها عن مشاهداتهم ومعانيهم - وإن كانت هذه المفردات مما يتداوله عامة الناس - مختلفة عن معاني العامة، ولا تخضع لمعايير العقل والمنطق، في أبعادها وتطورها والعلاقات التي تربط بينهما، والعلل التي توجهها.

إن الأبعاد الجديدة في التطور الدلالي التي تعكسها اصطلاحات الصوفية تتجلى في منهجهم في الكشف واكتساب المعرفة، على نحو ما يوضحه الإمام الغزالي من ذلك إذ يقول: «علمت أن طريقهم تتم بعلم وعمل، وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة، وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل إلى تخلية القلب عن غير اللّهِ تعالى، وتحليته بذكر اللّهِ ... وكان العلم أيسر عليَّ من العمل ... فظهر لي أن أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعليم، بل بالذوق والحال تبدل الصفات. وكم من الفرق بين أن تعلم حد الصحة وحد الشبع وأسبابهما وشروطها، وبين أن تكون صحيحًا وشبعان، فعلمت يقينًا أنهم أرباب أحوال لا أصحاب أقوال»[(٢)] .

فالفرق بين معرفة الصوفي ومعرفة العالم والمتكلم أن هذين يقفان عند

---

(١) التصوف: منشؤه ومصطلحاته، د. أسعد السحمراني. ط ١، دار النفائس. بيروت، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، ص ٥٨.

(٢) المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي، تقديم فريد جبر، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٦٩، ص ٣٥.

الحدود والتعريفات والمنطق والقياس، بينما يعيش الصوفي حقيقة ما يقاس وما يعرّف . « فحقيقة التصوف أن تغني حالك عن مقالك ... والمتصوفة هم الذين لا يشهد سوى اللّهِ أسرارهم[(١)] ... ولهم استعداد سامٍ وإحساس مرهف ولهم وراء الاستعداد والإحساس عقل راجح، ومن وراء العقل بصيرٌ نفاذة، وعزم قوي وهداية موهوبة، وإلهـــام لدني »[(٢)] . ويجد المتصوفة في الآيات المتشابهة منهلًا يسعفهم في توليد اصطلاحاتهم ويغريهم بالتوسع في مدلولاتها إلى حد بعيد إذ نجد ألفاظا في القرآن الكريم قد صرفت لمعان « باطنية » لا يصح بحال أن تُفَسَّر بالمعنى الظاهري، فما معنى وجه اللّهِ في قوله تعالى « فأينما تولوا فثم وجه اللّهِ » ؟ وما معنى الجوارح الواردة في الحديث القدسي : « ولا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها ...» . وجدير بالذكر أن الصوفية وجدوا في هذا الحديث مجالاً رحبًا لمعاني الفناء، فناء المخلوق في الخالق والمحب في المحبوب »[(٣)] ، فالسمع والبصر واللسان واليد وأفعالها هي مما يدرك بالحس والعقل في حال نسبتها للإنسان، أما إسنادها إلى اللّهِ عز وجل فذلك شأو بعيد، تَكِلُّ في إدراكه الأفهام، وتضنى في بلوغه الأجسام، فهو القريب البعيد، والمألوف الغريب، كالسهل الممتنع من الأساليب .

إن الشفافية الصوفية ورقة الحجب التي تفصل ما بين الصوفي والحقيقة

(١) المدخل إلى التصوف، السيد محمود أبو الفيض المتوفى، الدار القومية، القاهرة، د . ت، ص ٩، ٣٠ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) في التصوف الإسلامي، ص ١٨ .

الكبرى تغنيانه عن حسه وعقله في إدراك ما حوله ، ذلك أن الإنسان يكون في حاجة إليهما لإدراك ما خفي من الأمور ، واستشعار ما وراء الحجب ، أما إذا لم يكن بينه وبين حقائق الأشياء حجاب ، أو كان هذا الحجاب غلالة تشف عما وراءها فإنه يستغني عن العقل والحس .

وقد نقرّب الصورة أكثر ، ولكن دون تكافؤ ، فنشبه المسألة بمن عرف الغابة درسًا في كتاب أو حديثًا ألقي إليه ، ومن عرفها مشاهدة على شاشة الإذاعة المرئية ، ومن شاهدها عيانا وتجول في أرجائها . فالأول استخدم اللفظ مقروءًا أو مسموعًا لإدراك المعنى ، والثاني أدركه ألوانًا متحركة ، أما الثالث فقد اتصل به دون وسيط من رمز أو تمثيل .

وكلما اعتلى الصوفي مقامًا توسعت إدراكاته ، وتفهم الأشياء بطريقة أشمل وأهم ، حتى إن تصرفاته لتبدو للشخص العادي شاذة وغريبة عما هو مألوفٌ لنا جميعًا وعما اعتدنا عليه ، وربما ننسب ذلك إلى الهذيان والجنون[١] .

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن أبعاد التطور الدلالي التي تعكسها اصطلاحات الصوفية هي نمط جديد من الرمزية ما أشبهها بالسريالية التي لا يفهمها إلا صاحبها ولا يدرك حقيقتها إلا من تجرّد من حسه ، وتجاوز عقله إلى مراق أعلى وأسمى ، تتصل فيها النفس عبر شفافية الروح بحقائق الكون تاركة وراءها إدراك واقعه ومحسوسه إلى عقل العلماء وإحساس العامة ، وهذا يعني أننا لا نستطيع أن نفلسف اصطلاحاتهم ، ولا أن نخضعها لمقاييس التطور اللغوي

---

(١) ألفاظ الصوفية ومعانيها ، ص ٧ .

المعروفة بل تقتضي أن نبحث لها في جعبتنا عن مواصفات ومقاييس جديدة ، وذلك لأنها ليست نتاج عقل و ، بقدر ما هي حصاد روح وتجليات نفس مشرقة .

ونستعرض في ما يلي طائفة من الاصطلاحات لمعانيها في عرف المتصوفة وعند عامة الناس (المعنى اللغوي) ، لنعرف مدى الفرق بينهما ، فالسهر في اللغة هو عدم النوم ، ولكن عندهم عدم الغفلة ، أي أنه يكون في كل وقت ، بينما لا يكون السهر إلا ليلًا ، والمقصود بالغفلة أن تكون عن ذكر اللّهِ . والصمت في اللغة : ترك الكلام ، أما المعنى الصوفي فهو صمت الضمير عن جميع التفاصيل[1] .

والذهاب هو ما نعرفه ، بمعنى الانطلاق إلى جهة ما ، أو الموت على نحو ما نجده في قول أبي فراس عندما حضرته الوفاة : « كل الأنام إلى ذهاب » . ولكنه عند المتصوفة بمعنى المحبة الخالصة للّهِ تعالى ، والفناء في ذاته نتيجة الانشغال ، وهو ثمرة من ثمرات العشق الإلهي ، وتحرر من المدركات الحسية[2] . والحزن عند الصوفية حافز ييسر انتقال المريد الحزين من مقام إلى مقام أثناء رحلة المجاهدات والرياضات أسرع من المريد الذي فقد حزنه ، ويقال : إن ما يقطعه الحزين في شهر يقطعه غير الحزين في سنة[3] . وهو أنين من القلب يمنع النفس من طلب السرور والطرب ، فهو إذن همّ يجعل الصوفي دائم التفكير في حاله ... لا من أجل طلب من طلبات الدنيا ابتغاه ولم يتحقّق ، ولا بسبب ابتلاء أو

(١) الرسالة القشيرية ، تحقيق د . عبد الحليم محمود ، ٢/٢٩٩ .

(٢) ألفاظ الصوفية ومعانيها ، ص ١٦٩ .

(٣) اللمع ، للسراج الطوسي ، ص ٣٧٢ .

مصيبة دنيوية أو لفقد مال أو أهل أو جاه[١] ، كما هي الحال عند عامة الناس وعلى نحو ما تجده في المعاجم اللغوية .

ونقف على جانب عريض من المفارقات الدلالية - وهي تشبه الألغاز - في أشعار المتصوفة ، فتبدو وكأنها تلاعب بالألفاظ ، وما هي بذلك ، ولكن للقوم معاني يفهمونها ، ويدرك مراميها العارفون .

والذكر عند الهروي هو : التخلص من الغفلة والنسيان . وهذا مخالف للتعريف المعجمي وللمعنى الاصطلاحي في الفقه الظاهري ، ولكن الهروي عَبَّر عن الذكر بزوال ضده ، ولم يذكر حقيقته[٢] وما نراه فعل ذلك إلا لأنه يرى أن حَدَّ الذكر أوسع بكثير من أن يعبر عنه بتعريف جامع مانع يبين حده ، فذهب إلى التعريف السلبي بنفي النقيض .

واليقين في اللغة : العلم ، ونقيض الشك والجهل . ولكنه عند المتصوفة لمعان شتى ؛ فهو العلم المستودع في القلوب ، وهو قلة الاهتمام بالغد ، وهو شعبة من شعب الإيمان ، وهو تحقق الأسرار بأحكام المغيبات[٣] .

وختامًا لهذا البحث ، نستطيع أن نستخلص النتائج والحقائق التالية .

١- اصطلاحات الصوفية مستمدة من المعجم اللغوي العام ، ولكن لدلالات ومعان غير التي يتداولها أهل العلوم الأخرى وعامة الناس .

٢- ومعظم تلك الاصطلاحات قرآني في أصله ، سواء كان بلفظه أم بمشتق

(١) ألفاظ الصوفية ومعانيها ، ص ١٤٢ .

(٢) دراسات في الفلسفة الدينية ، ص ٢٧٧ .

(٣) الرسالة القشيرية ، ص ١٧٩ .

منه ، وقد عمل المتصوفون على توليد الألفاظ على مذهب الفلاسفة والمتكلمة والفقهاء ، فهناك المصادر الاصطناعية كالحرية ، والعبودية ، والمصادر المطلقة كالحلول والفناء والحزن ، والإشراق والكشف ، وهناك النسبة كالعلم اللدنيّ ، ونحو ذلك .

٣- فهم اصطلاحات الصوفية رهين بفهم نظرية المعرفة عندهم ، وهو محال إدراكه إلا لمن حلق في أجوائهم ، وأخذ نفسه بالرياضة والمجاهدة ، وتجرد من طينه وعقله وحسه ، وذاق بقلبه ، وهذا يعني أن معانيهم لا تدرك بالعقل ولا بالحس ، ولكن بالقلب .

٤- المعروف أن التطور الذي يطرأ على دلالات بعض الألفاظ والاصطلاحات إنما يكون لعلاقات تربط بين الدلالة السابقة والدلالة اللاحقة ، مما يدرك بالعقل والحواس ، ولكننا - فيما يتعلق بألفاظ المتصوفة - نقف إزاء علاقات مختلفة لا تدرك بالعقل ولا بالحس ، وقد نشبه ذلك بخيط الجاذبية يربط بين الجاذب والمجذوب ، وبحبل من ليف يربط بين جسمين ... الأول مثال اللفظ ومعناه عند المتصوفة ، والثاني مثال ذلك عند أهل العقل والحس .

٥ - من هنا نستطيع أن نقرر أن اصطلاحاتهم ليست كسائر الاصطلاحات ، فهذه تفهم بالنظر العقلي والدرس ، أما تلك فلا سبيل إلى فهمها دون ممارسة التجربة الصوفية .

٦ - وأخيرًا ، إن المعاني التي يصرف لها المتصوفة ألفاظهم تتضمن المعاني اللغوية الأصلية دون أن تكون مقصودة بتلك الألفاظ ، ما لم يكن الحديث موجهًا لعامة الناس ، وهذا يعني أن الصوفي يستخدم الألفاظ بمستويين

مختلفين : مستوى الخاصة من المتصوفة ، ومستوى العامة ، عامة الناس .

٧ - وآخرًا ، إن الأبعاد الدلالية الجديدة التي بلغتها اصطلاحات الصوفية تذهب في عكس الجهة التي يجتهد اللغويون في توجيه ألفاظ العربية صوبها ، فاللغويين ، وأهل العلوم يميلون إلى « ريضنة » اللغة ما كان ذلك ممكنًا ، وإلى أن تكون اللغة دقيقة في توصيل المعارف والعلوم على نحو متكافئ عند عامة الناس ، أما الصوفيون ، فإن مذهبهم في استخدام الألفاظ يعمل على إبهام معانيها ، لكن ليس عن قصد ، وإنما هي مقتضيات المعرفة الذوقية وذلك شأو بعيد ، لا يتأتى إلا لعارف باللّهِ ؛ إنه مستوى من المعرفة مختلف جدًّا ، ولا يخضع لنواميس العقل والحس ، ومن هنا كان النظر فيه مستحيلًا ، والتقاء العامة عليه أكثر استحالة ، وهذا يعني أن على الباحث في اصطلاحاتهم وتطورها الدلالي أن يكون متصوفًا ، يكتب للمتصوفين .

* * *

إنقاذ المخطوطات :
المواقع والمسئوليات والوسائل

أ . فيصل عبد السلام الحفيان*

إنقاذ تراثنا المخطوط قضية « ساخنة » حقاً ، إذا جاز التعبير ، « ساخنة » لأن هذا التراث يعيش أوضاعاً سيئة ، في مناطق كثيرة داخل وطننا العربي وخارجه ، بل إن جزءاً كبيراً منه يلفظ أنفاسه مختنقاً بهموم السياسية ونيران الحروب وضباب الإهمال والنسيان .

والحقّ أني أتناول هذه القضية ، ليس في صورة بحث ، أو تشخيص لمشكلاتها وهمومها ، فلست لهذا أهلاً ، وليس هذا هو هدف الورقة المتواضعة هذه ، بل إني أعرض القضية في صورة أسئلة أو تساؤلات تهدف إلى إثارة النقاش ، وطرح الرؤى المختلفة والمتباينة ، وصولاً إلى تصورٌ مشترك ، يجمع بين مراكز المخطوطات العربية ، ويوحِّد خطَّتها ، وينسِّق عملها ، إسراعاً في الاتجاه نحو الغاية ، واختصاراً للوقت والجهد والمال .

وهذه مناسبة لأؤكد أن المعهد قد شكَّل هذه « الهيئة » الموقرة ، ليَسْمعَ منها ، أكثر مما يُسمعُها ، ولذلك فإنه عندما فكَّر في طرح أوراق عمل ضمن جلسات الهيئة ، لم يكن القصد أن يطرح رؤًى أو تصورات ، بقدر ما كان

---

* تخصصي بالمعهد .

القصد أن يُذْكي النقاش، حتى تكون ما تُسفر عنه اجتماعات هذه الهيئة، هو نتاج آرائكم واقتراحاتكم وأفكاركم. ولهذا جاء عنوان الورقة: المواقع والمسئوليات والوسائل. وبلغة التساؤلات: «أين»، و«مَن»، «وكيف»: أين هي المواقع، ومن يتحمل المسئولية، وكيف يتم الإنقاذ؟

وبداية فإن المقصود بـ«الإنقاذ» هنا هو الإنقاذ المادي، بمعنى إنقاذ المخطوطات المبعثرة في كل مكان داخل بلادنا العربية، وخارجها، من الأوضاع السيئة التي تعاني منها، والتي هي نتاج لظروف مختلفة، ليس هذا موطن الدخول في تفصلاتها. الواقع الذي لامِراء فيه أن التراث المخطوط في عدد لا بأس به من البلاد العربية يوضع في أماكن، وضمن ظروف تخزينية غير سليمة، مما يؤثر فيه، ويسرع في إتلافه. وهذا الواقع موجودٌ أيضاً في بلدان غير عربية، بسبب ظروف خاصة تعيشها، فكأنَّ هذا التراث «المسكين» يعيش بين مطرقة أبنائه، وسندان غربته.

المواقع:

بعد هذا أقول: تُرى هل نملك نحن أو أنتم خريطة واضحة المعالم لتراثنا المخطوط؛ لمواقعه عموماً، ولمواقعه التي تحتاج إلى إنقاذ سريع خصوصاً؟ هذا مع العلم أن تضاريس هذا التراث متباينة تبايناً شديداً، وأوضاعه مختلفة اختلافاً بيّنا ومثل هذه الخريطة ضرورة لا بد منها، وخطوة أولى للتحرك الجاد باتجاه «الإنقاذ».

هل توافقونني - حضراتكم - على أن الخريطة المطلوبة ينبغي أن تتضمن

الإشارة إلى عدد من مجموعات المناطق « الساخنة » التي ينبغي أن تحظى باهتمام سريع وعاجل.. وما رأيكم في القول بأن هذه المناطق يمكن تصنيفها إلى مجموعات على النحو التالي :

- مناطق أكثر حاجة ، وتلك هي التي لا تجد اهتماماً ، بسبب عدم توفر الإمكانات المادية ، وأظن أن منها : اليمن ، وموريتانيا .

- ومناطق أكثر غنى : كماً ونوعاً وتنوعاً ، مثل : تركيا ، والهند ، واليمن أيضاً .

- ومناطق أخرى ، ذات ظروف خاصة ؛ سياسية ، واقتصادية ، سواء داخل الدائرة العربية أو خارجها . ومنها : فلسطين ، والبوسنة والهرسك ، والجمهوريات الإسلامية التي استقلت مؤخراً عن الاتحاد السوفيتي .

- ومناطق مجهولة . وهذه لا تزال بدون أبجديات ، فهناك مناطق ، هي في إطار المعرفة الحالية ، معدودةٌ مناطق فقيرة في المخطوطات ، وقد تكشف الخريطة المطلوبة أنها ليست كذلك .

المسئوليات :

بعد ذلك تعالوا - حضراتكم - ننتقل إلى المسئوليات : مَن يحمل الأمانة ؟ وعلى من تقع المسئولية ؟ وما هو نصيب كل طرف من هذه المسئولية ؟

لنتفق - إن رأيتم - على أن حجم المسئولية كبير ، وأن كلاً منا منفرداً لن يقوم به ..

ولنتفق – إن شئتم – على أن المساحة التي يشغلها هذا التراث واسعة، كما سلف القول .

وبناء على هذا الاتفاق ، فإني أظن أن المسئولية ينبغي أن تتحرك في ثلاث دوائر :

- الدائرة القطرية .
- الدائرة القومية .
- الدائرة العالمية .

أما الدائرة الأولى ، فالمسئولية فيها أساساً على الجهات المعنية في البلاد العربية ، والمعهد على استعداد للإسهام فيها ، في إطار الإمكانات الممنوحة له .

وأما الدائرة الثانية ، فالمسئولية فيها أساساً على المعهد ، بوصفه الجهاز القومي المتخصص الذي ندبته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ليكون مسئولاً عن خدمة التراث القومي ، وفي هذه الدائرة يكون التعاون مطلوباً من مراكز المخطوطات العربية ، التي تملك الإمكانات ، سواء المادية ، أو المعنوية .

وما قيل عن هذه الدائرة ، ينطبق على الدائرة الثالثة .

وليس من قبيل الاستطراد هنا أن أشير إلى أن المعهد قد تَبَنَّى في دورته الحالية (٩٥/٩٦) مشروعاً تحت اسم «إنقاذ المكتبات العربية المعرَّضة للتلف» . ومما يؤسف له حقاً أن هذا المشروع هو المشروع الوحيد الذي لم يتمكن المعهد من تنفيذه ! لا لشيء سوى أن الجهات المعنية في البلاد العربية ، لم تستجب للمراسلات التي قام بها المعهد ، ولم ترشح أي مكتبة للإنقاذ ، والجهة أو الجهتان

اللتان رشحتا، تراجعتا، فهل مكتبات المخطوطات في بلادنا العربية جميعاً في أحسن حال ؟!

الوسائل :

وأخيراً : ماذا عن الوسائل ؟

أظن بدءاً أنه لا بد من الانطلاق من الجزء إلى الكل، فلتبدأ كل بلد عربية بمخطوطاتها، وليبدأ كل مركز بما لديه .

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن ساحة التراث المخطوط خالية أو تكاد من التشريعات والقوانين، ونعيد إلى الذاكرة في هذا المجال «القانون النموذجي لحماية المخطوطات في البلاد العربية» الذي صاغه المعهد، وأقرّه وزراء الثقافة العرب في مؤتمرهم السادس، عام ١٩٨٧. ويبقى السؤال : هل عُمل بهذا القانون في كل الدول العربية، أم أن المخطوطة مازالت نوعاً من الأثر، يتم التعامل معه من خلال قوانين الآثار، دون وضع خصوصية المخطوطة في الحسبان ؟

والتشريعات وسيلة أو خط ، لا بد أن ترافقه خطوط أخرى ، منها :

– تصوير مخطوطاتنا ، في أي وعاء من أوعية التصوير الحديثة، وبهذا الوعاء الجديد نتيحها للباحثين، وبذلك نتخلّص من مشكلة الحفظ والإتاحة : الحفظ يبعد المخطوطة عن الأيدي، و«العلم» ينبغي أن يكون مبذولاً، حتى تتحقق الإفادة منه .

– فتح أبواب خزائن المخطوطات أمام المعهد ، فمكتبة المعهد ، هي مكتبة كل البلاد العربية ، والمعهد هو – كما سلف – الجهاز القومي ، المنوط به ، الحفاظ على التراث المخطوط . وهنا أود أن أشير بكل أسف إلى أن المعهد قد فشل في إيفاد بعثة تصوير منذ عودته إلى القاهرة ، واستئنافه عمله فيها ، مع بدايات عام ١٩٩١ ! علماً بأنه لا يوجد سبب مفهوم لذلك .

– تبادل المصورات بين مراكز المخطوطات وبعضها من ناحية ، وبينها وبين المعهد من ناحية أخرى ، فلا بد أن يكون هناك خط مفتوح ، يتم من خلاله تبادل المصورات . إننا بذلك نحفظ مخطوطاتنا ، ونسهِّل عمل المحققين والدارسين .

– تنظيم الدورات التدريبية الفنية على ترميم المخطوطات وصيانتها وحفظها . وقد نجح المعهد في تنظيم دورتين على مدى السنتين : الحالية والسابقة ، بالتعاون مع مكتبة الأسد الوطنية ، في دمشق ، بالجمهورية العربية السورية .

إن تنظيم مثل هذه الدورات يجب أن يكون سمة عامة من سمات عمل مراكز المخطوطات ، وبخاصة المراكز الكبيرة ، التي تتمتع بالإمكانات ، فنحن الآن في أمسّ الحاجة إلى إعداد أجيال من المرممين .

تلك إشارات وومضات خاطفة ، نختمها بالقول : إن المعهد متفائل بكم ، ومتفائل بهذه « الهيئة » ، وكلُّه أمل أن يكون هذا اللقاء بداية لوضع استراتيجية متكاملة لإنقاذ التراث العربي المخطوط : تحدد المواقع ، وتستنفر الهمم ، وتغني الوسائل ، في سبيل خدمة قضيتنا المشتركة : قضية التراث .

* * *

مشكلة الفهرسة :

البحث عن حل

أ. عصام محمد الشَّنْطِي*

للمخطوطات العربية المبعثرة في أنحاءِ شَتَّى من العالم مسائل عديدة، أصبحت - بازاء عدم مواجهتها المواجهة المطلوبة، معضلاتٍ مستعصيةً تحتاج إلى اهتمام أكثر، ورعاية أكرم.

وأولُ هذه المسائل صيانةُ هذه المخطوطات في كلّ مكان، بمعالجتها وحمايتها من التلف، وترميمِ ما تلف منها. ويسير مع هذا العبء الضخم عبء مثله، وهو التعجيل بتصوير هذه المخطوطات للاحتفاظ بما فيها من علم وفكر، لأن المخطوطةَ مهدّدةٌ بالبِلى والفناء في كلِّ حين.

ويُوَازي هذين الخطين، خطٌ ثالث، وهو التعريف بالمخطوطات، بفهرستها والكشف عنها ووصفها توصيفاً أساسياً يُعين العلماءَ والباحثين على اختيار ما ينفعهم، وعلى النسخ المتميّزة منها، لتحقيقها ودارستها والإفادة مما فيها من علم، وتحديد دور العرب الحضاري من بين الحضارات الإنسانية جمعاء.

ولا نتصور فداحة هذه المسألة، إلَّا إذا علمنا أن ما فُهرس من المخطوطات

---

* مدير المعهد الثاني، سابقًا.

العربية ، المقدَّرة ببضع ملايين ، لا يزيد على ثلثها .

ويكفي أن أذكر أن المعهد الذي يمتلك نحو ثلاثين ألف مخطوطة مصورة ، جناها في نصف قرن ، لم يُصدر من الفهارس المطبوعة إلا ما يصف ثُلثَ هذا القدر . وأنه ليس في ميزانيته السنوية أكثرُ من إصدار جزء واحد من الفهارس . ولم يُصْدر إلا تسعةَ عشرَ جزءاً . وإنني أتساءل : متى يمكن لهذا المعهد أن يَكشف عن محصوله بالتوصيف الكافي في فهارس مطبوعة ، ليعين العلماءَ والباحثين في الحصول على طَلِبَتِهم ؟

والحق أن المعهد يُعين على إصدار فهارس مخطوطات أصلية لم تفهرس من قبل ، بمنح المفهرس مكافأة مناسبة ، ويتولّى المعهدُ طباعة هذه الأجزاء . وقد أصدر من هذا الباب عشرة فهارس ، تكشف عن محتويات بعض مكتبات في إيطاليا وفرنسا وتركيا والمغرب والعراق والسعودية وسورية ومصر . ولديه في ميزانيته ما يُخرج في العام جزءاً واحداً .

لقد ضربتُ المعهدَ مثلاً على عمق هذه المسألة وفداحتها . وإنني لا أنكر أن بعضَ المؤسسات أخذت في السنين الأخيرة تُعين على إصدار الفهارس ، ولو أحصيناها لوجدناها لا تتجاوز جهدَ المُقِلّ بإزاء هذه الملايين في المكتبات العامة والخاصة .

إنني أضع هذه المسألة أمام المسئولين عن المخطوطات في الوطن العربي ، ليتدارسوا الأمرَ ويتحاوروا وينتهوا إلى وضع خِطَّة قومية ، يُسهم فيها كلٌّ بنصيب . ولتكن هذه الخطةُ واضحة ، وأزمانها محددة ، وتفصيلاتها ظاهرة للعِيَان .

لقد قلت ويقول غيري : إنَّ الحلَّ في خِطَّة قومية شاملة مُحكَمة . والاقتراح سهل ، وأوعر منه التنفيذ ، ولا بد أن يبيَّن ما معنى هذه الخِطَّة ، وما تفصيلاتها ، وكم نفقاتها ، وممَّن تمويلها ، ومَن يتولّاها . كلُّ هذه تساؤلات مطروحة أمام هيئتكم الموقرة للبحث والدرس ، والانتهاء إلى حلٍّ ناجع .

ثم ما شأن المخطوطات العربية في غير الأوطان العربية ، الإسلامية منها ، والأجنبية ؟ وحبَّذا بهذه المناسبة - لو تتطوّرُ فكرة هذه الهيئة لتتسع إلى بعض المسئولين عن المراكز الإسلامية والأجنبية ممَّن لديهم كثيرٌ منها ، لم يَنْظِمْها فهارسُ وصفية منشورة .

والمسألة الثانية أنه ينبغي أن نكشف عن السبب الرئيسي الذي أدّى إلى النقص في فهرسة معظم المخطوطات العربية ، على النحو الذي عرضناه بإيجاز قبل قليل . ذلك أن فهرسةَ المخطوطات مهنةٌ صعبة ، تحتاج إلى شباب يَنْذِرون أنفسَهم لهذا العمل ، ويصبرون عليه ، ويؤدّونه بعزم وجَلَد ، يلحقهما التدريبُ والخبرة ، وسَعةُ الثقافة التراثية .

إنَّ الطائرةَ التي نشتريها بأثمانٍ باهظة ، أنفسُ منها وأكثرُ كلفة تدريبُ الطَّيّار الذي يُحسنُ قيادتَها . وهذا الحال هو حال المخطوطة ، نفسيةٌ هي دون شك ، ولكن لا يقلُّ عن نفاستها إعدادُ المفهرسِ الممتاز .

لقد اهتم المعهد بعقد دورات تدريبية على الفهرسة وما يتصل بالتراث من مسائل أخرى كالتحقيق وغيره ، عددُها سبعُ دورات ، على مدى أعوام عدّة ، تكلفت ألوف الدولارات ، ونجح المعهد في تدريب بعضهم ، ولم يستفد بعضُهم من هذا التدريب ؛ لأنَّ دُوَلَهم لم توجِّهْهم إلى فهرسة المخطوطات التي لديها ، ولم تنتفع بما حصّلوا من علمٍ وخبرة .

ولا أزعم إلا حقّاً ، حين أقول : إن الوطن العربي لا يتمتع بقدر كافٍ من مفهرسي المخطوطات الأكْفَاء ، وإن هذه الدورات وغيرَها لم توفِّر جيلاً ، أو أجيالاً كافية للقيام بما ينتظرهم من عبء على نحو ما ذكرنا . ولا أُذيعُ سرّاً أن المعهدَ نفسَه لم يستطع أن يكوّن رعيلاً من المفهرسين يخدم مخطوطاته المصوَّرة ، ويطوف بالمكتبات والمراكز في العواصم ليدرِّب على الفهرسة .

وهكذا يتضح أن الاعتماد على دورة تدريبية واحدة يعقدها المعهد في كل عام ، أو عامين ، كما تقضي ميزانيته لا تفي بالحاجة . ولعل تدارسَكم ومناقشاتِكم تؤدي إلى تعاون بنَّاء ، من شأنه أن يربِّي أجيالاً من المفهرسين . ولعله من المفيد أيضاً أن أقترح أسلوباً جديداً للتدريب ، ليس بديلاً عن الدورات ، وهو أن يَنتدب المعهدُ خبيراً في الفهرسة يُرسله إلى مركز من مراكز المخطوطات ليدرِّب على الفهرسة أبناءَ ينتمون إلى المركز ، لا يقلُّون عن خمسة ، لمدة لا تقلّ عن شهرين ، يتعلّمون فيها الفهرسة على المخطوطات ، واستخدام أدواتها ومصادرها ومظانّها ، وتوسيع معارفهم بالمحاضرة في تراث العرب عامة ، مما يعينهم على هذا العمل . على أن تتكرر مثلُ هذه التجربة . ولا أزعم أن في هذا - مع الدورات - حَلاًّ شافياً ، ولكنه بالتأكيد أكثر فائدة ، وأقلُّ نفقاتٍ ، وأسرعُ نتائجَ ، وأضمنُ حصيلةً .

وثالثة الأثافي متعلقة بالمنهج الذي يُتَّبعُ في الفهرسة . فكلنا نعلم أن منهج الفهرسة لا يخرج عن طرق ثلاثة . الأول الذي يأخذ شكل القوائم ، تُنجَز - في الغالب - على عجل ، يضعها غيرُ ذي خبرة ، فتخرجُ ناقصةَ المعلومات ، نادرة الأوصاف ، لا تُبرز تميز نسخة عن أخرى ، فضلاً عن كثرة الأخطاء في تسمية المخطوطة ، أو في نسبتها إلى مصنِّفها . وأجتزئُ من الأمثلة بما عاناه العلماءُ

والباحثون من سجلّاتِ وقوائمِ مخطوطاتِ مكتبات استانبول بتركيا ، ومن معلوماتها المبتسَرة والمضلِّلة في آن واحد .

وفي الطرف الثاني الفهرسة التحليلية التي يصاحب وصفَها للمخطوطة تفصيلٌ في مادتها مما تحويه أبوابُها وفصولُها ، وذكر عناصر هذه المادة ، عنصراً عنصراً ، وبيانُ موقعِ كلّ عنصر من أوراقها وصفحاتها . ويحتاج هذا المنهج ، لكل مخطوطة إلى صفحات طِوال ، والمجموعة من المخطوطات إلى مجلدات . ولا شك في أن الكشف عن مادة المخطوطات بهذه التفصيلات مفيدٌ للغاية ، ولكنْ بإزاء تكدّس المخطوطات غير المفهرسة بالألوف ، وما تحتاجه من جهد كبير ، مع نقص في المفهرسين ، ونفقات عالية في طباعة هذه المجلدات ، كلٌّ هذا لا يشجِّعُ على اتباع هذه الطريقة ، في هذه المرحلة بالذات .

يبقى الوسط بين الطرفين ، وهي الطريقة الوصفية المعتدلة التي توفّر المعلومات الأساسية عن المخطوطة بعد تمحيص وتوثيق ، وشيئاً من التوصيف المفيد الذي يكشف عَمَّا يُميِّز هذه النسخة عن تلك ، دون إيجاز مُخِلّ ولا تطويل مُمِلّ .

إن هذه المدارس في الفهرسة ، ليست من الخيال ، بل موجودةٌ على ظهر الواقع ، وصدر في كل لونٍ منها أجزاءٌ عن مراكز ومؤسساتٍ متخصصة ، وهي بالتالي توضِّح إيجابياتِها وسلبياتِها .

وأترك للهيئة الموقرة بعد المناقشة والمداولة اتخاذَ توصية مناسبة بهذا الشأن ، مع الاهتمام بوضع بطاقة نموذجية موحَّدة يعتمدها المعهد ويوزعها على كلّ مكتبة ومركز ومفهرس للأخذ بها واتباع نظامها وعناصرها ، وبهذا ينتهي ما نحن فيه من فوضى واضطراب ، من جَرّاء التأرجح بين منهج ومنهج .

وأحسب أنه من المشروعات المساعِدة للفهرسة ، وضع استبيان يُعمَّم في جميع أنحاءِ العالم ، ومتابعته وملاحقته ، تمهيداً لوضع كتاب متجدد يُطبع كلَّ بضع سنين ، يبيِّن أماكن المخطوطات العربية ، بذكر اسم المكتبة (أو المركز) ، عامة وخاصة ، وعنوانها ، وعدد ما لديها من مخطوطات عربية ، أو مصورات منها ، وعدد أجزاء فهارسها المطبوعة ، والمنهج المتَّبع فيها ، وعدد ما تصفه هذه الفهارس ، وغير ذلك من المعلومات التي تدور حول نفائسها ؛ وبهذا يُعين هذا الإحصاء على إنجاح فهرسة المخطوطات . إنني أضع هذا الأمرَ أمام هيئتكم الموقرة للتدارس والتباحث ، والوصولِ إلى توصية مناسبة .

وختاماً ، فإنني لا أُغفل أهمية جهاز الكمبيوتر (الحاسوب) في الفهرسة ، وما يمكن أن يُقدِّمَه هذا الجهاز من فوائدَ في هذا المجال . وأنا لستُ ضده ، بل من دُعاته . ولكنْ يَنسى كثيرون أن هذه الآلة الصَّمَّاء لا تنطق إلا بما يُغذِّيها العقلُ البشري مما ينجِزه من معلومات . بمعنى أن هذا الجهاز لا يُلغي الحاجة إلى مفهرسين حَذَقةٍ مدرَّبين ، لينجزوا المادةَ اللازمةَ لتوصيف المخطوطات .

ثُمَّ إن النفع من هذا الجهاز حين يُغذَّى ، سيكون محلياً حيث يوجد هذا الجهاز ، ولا يشيعُ النفع به إلَّا إذا عُمِّم نظامُ ما يسمى Inter. Net بين المدنِ والمدن ، والأقطارِ والأقطار ، بل عَبْرَ القارات .

وإلى أن يأتي هذا الزمن ، وهو غيرُ قريب في بلادنا فيما أظن ، لا بدّ من طبع هذه الفهارس ونشرها .

* * *

إعداد الأجيال:
المهمة الصعبة

د . أحمد فؤاد باشا*

ربما يكون من المفيد أن نقدِّم لعنوان هذه الورقة بنبذة عن مظاهر الاهتمام العالمي بالقضايا التراثية ، لنتعرف على نصيب التراث العربي من هذا الاهتمام ، وندرك من خلال ذلك حجم وأهمية الدور المطلوب أداؤه ، فيما يتعلق بإعداد أجيال قادرة على التعامل مع المخطوطات وَفق منهجية متكاملة ، واضحة المعالم والأهداف .

وسوف أقتصر في ضرب الأمثلة على ما يشهده عصرنا من اهتمام زائد بقضايا التراث العلمي والتقني ، على وجه الخصوص ، حيث نجد نشاطاً منظماً على مستوى العالم يهدف إلى إحياء الأعمال الكاملة لكبار العلماء ، على اعتبار أنه مسئولية دولية تستوجب الرعاية والتعاون من جميع الدول ، بما فيها بلدان العالم الثالث . وقد حدث أن لجأت الهيئات المسئولة عن نشر الأعمال الكاملة لـ « برنوللي » إلى تدعيم جهودها عن طريق الاكتتاب ، ويجرى في الوقت الحالي إعداد طبعة جديدة لهذه الأعمال من خلال التعاون بين أكثر من سبع دول ، سوف تصدر تباعا في نحو خمسة وأربعين مجلداً . كذلك أمكن إصدار مجموعة الأعمال الكاملة للعالم المتميز « أويلر » عن طريق الاستعانة بإمكانات

---

* وكيل كلية العلوم لشئون البيئة وتنمية المجتمع - جامعة القاهرة .

ست دول ، بالرغم من أن قاعدة العمل كانت تقع جغرافياً في سويسرا . وقد بدأت الولايات المتحدة الأمريكية في تبنّي هذا الاتجاه لإحياء أعمال العديد من العلماء أمثال جاليليو في إيطاليا ، ونيوتن في إنجلترا ، وجاوس في ألمانيا ، وديكارت ولابلاس ولاجرانج في فرنسا ، وغيرهم .

ولا ينبغي أن يُدهش المرء لطول الوقت الذي يستغرقه إنجاز مثل هذه المشروعات الحضارية ، فقد استغرق إصدار أعمال عالم الرياضيات « كوشي » أكثر من خمسين سنة .

لكن ما يستوجب الدهشة والعجب بحق هو التحيز الواضح لتراث العلماء الغربيين دون غيرهم ، والسعي إلى تأكيد مقولة زائفة تقضي بأن العلم لا يمكن إلا أن يكون غربياً . وهذا يجب أن يقابله جهد مكثف من جانب أصحاب الحضارات المختلفة ، وخاصة أصحاب الحضارة العربية الإسلامية الزاهرة التي ظل علماؤها الرواد لأكثر من ثمانية قرون طِوال ، يشعّون على العالم علماً وفنّاً وأدباً ، ولا نعرف اليوم شيئا عن أغلب مؤلفاتهم ومخطوطاتهم المفقودة ، أو التي لا تزال بكراً في مظانها المختلفة ، تنتظر من يتولى البحث عنها وإحياءها ، لتحظى من جموع الباحثين في العالم بدراسات تحليلية معاصرة .

وتنقلنا هذه المقدمة السريعة إلى الحديث عن أهمية صياغة منهجية متكاملة للتعامل مع التراث العربي ، وهي قضية تحتاج إلى ندوة خاصة يقدم فيها علماء الوطن العربي المتخصصون بحوثهم وخبراتهم ويصبح الأمر بعد ذلك متوقفاً على مدى الإعداد الجيد لأجيال الباحثين ذوي الكفاءة العالية .

وهنا أعود مرة أخرى إلى التركيز على التراث العلمي والتقني ، نظرا لأن

تناوله ليس بالأمر الهيّن إذا ما قورن بالتعامل مع جوانب التراث الأخرى من فنون وآداب وغيرها ، فإن ما يُعدّ استثناء في الأدب مثلا ، وهو اكتشاف نصّ هام مجهول ، هو القاعدة في حالة العلم ، حيث إن النزر اليسير من الأعمال العلمية التراثية هو فقط ما أمكن العثور عليه . ثم إن النصوص العلمية - حتى إن وجدت - تشكل صعوبة بالغة عند قراءتها ومحاولة فهمها من أجل تحقيقها وتقديمها للباحثين المعاصرين ، حيث يتعذر الوصول إلى الاكتشافات العلمية المهمة والتقاطها من ثنايا السطور في المخطوطات التي كتبها مؤلفوها بأيديهم ، أو أعاد نسخها من جاء بعدهم . وعلى أية حال لن تحل مثل هذه الصعوبات دون بذل أقصى الجهود لتجميع أكبر قدر ممكن من كنوز التراث العلمي ، وإن كان ما تم جمعه حتى الآن لا يبلّ ظمأ الذين يسعون إلى فهم أعمق لتاريخ العلم والحضارة .

المهمة - كما نرى - صعبة وخطيرة ، ويحتاج أداؤها إلى أولي العزم من الباحثين والقادرين على امتداد الوطن العربي . ويمكن تنشيط هذه الجهود محلياً وقومياً عن طريق :

١- دورات تدريبية متخصصة في علم المخطوطات .

٢- مسابقات في تحقيق التراث (وتجدر الإشارة هنا إلى الكتاب الفائز هذا العام بالجائزة العربية في تحقيق التراث ، التي أعلن عنها معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، وهو كتاب « إنباط المياه الخفية ، للكرجي » ، تحقيق ودراسة الباحثة بغداد عبد المنعم ، وموضوعه يعتبر تأصيلاً لهندسة المياه الجوفية التي استخدمها الأجداد لحل مشكلة المياه ، وهي المشكلة التي تشكو منها حالياً دول كثيرة ، ويُتوقع أن تزداد حدّتها في المستقبل القريب) .

٣- حث الأقسام والمراكز العلمية الأكاديمية في جامعات العالم العربي على رعاية علم المخطوطات ، وتشجيع الباحثين فيه لضمان تواصل الأجيال المُجيدة للأعمال التراثية .

٤- توفير الدعم المالي ، والإفادة من التقنيات المتقدمة .

وهذا طبعاً على سبيل المثال لا الحصر . والموضوع - كما نرى - متعدد الجوانب ، ويحتاج إلى تبادل الآراء البنّاءة ، والمناقشات المثمرة ، حتى يتبلور لنا المنهج الأمثل في تحقيق التراث ورعايته .

واللَّهَ أسأل أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم ، وهو وليّ التوفيق .

* * *

النشر :
واقعه وأولوياته وتنظيم حركته

د . محمود محمد الطناحي*

قد أتى على الناس حين من الدهر لم يكن بين أيديهم من الكتاب العربي المطبوع إلّا ما أخرجته المطابع الأهلية الخاصة ، وقد تراوحت مطبوعات هذه المطابع الخاصة ما بين كتاب صغير ، إلى كتاب ذي جزءين وثلاثة ، إلى كتاب موسوعي ذي أجزاء كبيرة ، على نحو ما رأينا في مطبوعات الحلبي ، والخانجي ، ومحمد منير الدمشقي ، وحسام الدين القدسي .

وكانت مطبعة بولاق العتيقة أولى الهيئات الحكومية التي عنيت بإخراج الكتاب العربي على نحو واسع شامل ، وقد تدافعت مطبوعاتها من الكتب الموسوعية كالسيل الهادر ، مما هو معروف في تاريخها . ولم يكن في منهج مطبعة بولاق أن تتحسس حاجة الشوق ، أو تلبي رغبات الاتجاهات المذهبية أو الفكرية الخاصة ، بل امتد نشاطها ليشمل فروع التراث العربي كلها ، على نحو ما بسطته في كتابيَّ : مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ، والكتاب المطبوع بمصر في القرن التاسع عشر .

وتروح أيام وتجيء أيام ، وتتسع حركة نشر الكتاب العربي اتساعاً ظاهراً ،

* رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة حلوان .

نتيجة لانكشاف أمر المخطوطات : وصفاً ومكاناً . وكان معهد المخطوطات الذي أنشئ عام ١٩٤٦م ، تابعاً للأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، أول هيئة عربية تسعى لجمع أكبر عدد ممكن عن صور المخطوطات القيمة النادرة المبعثرة في العالم ، وقد فهرس المعهد صور هذه المخطوطات ، ووضعها تحت أيدي الباحثين والمحققين فكانت زاداً طيباً فتح آفاقاً رحبة للدارسين والناشرين .

لكنّ حركة نشر الكتاب التراثي وإن كانت قد اتّسعت كما قلت ، فإنها قد خضعت في غالب أمرها لمزاج الناشر الخاص ، الذي هو تاجر بالدرجة الأولى ، يبحث عن مواطن الربح ، ويتجنب مزالق الخسارة ، فوضع عينه على الكتاب الجمهوري ، ثم مَدَّ بصره إلى مناطق التوزيع والتسويق ، فهذا الكتاب يروج في البلد الفلاني ، وذلك يلبى حاجة البلد الفلاني ، وهي أهداف وقتية ترفع وتنخفض ، وتبسط وتقبض ، ومن هنا كانت الحاجة إلى الهيئات العلمية ، تدخل بنظرتها الواسعة الشمولية في نشر الكتاب العربي ، مستهدفة خدمة العلم ، تاركة خلفها موازين الربح والخسارة . وكانت أولى هذه الهيئات مجامع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وبغداد ، فكثرت مطبوعاتها العالية الموثَّقة ، وإن غلب عليها أحياناً طابع اللغة والأدب . ثم معهد المخطوطات الذي نجتمع اليوم في رحابه ، وقد كان من أهداف إنشائه : « نشر الكتب القيمة والضخمة التي لا يستطيع الناشرون نشرها وحدهم » ، وفي ذلك الطريق نشر المعهد « شرح السير الكبير » للسرخسي (خمسة أجزاء) ، و« مختار الأغاني » لابن منظور (ثمانية أجزاء) بالتعاون مع الهيئة المصرية للكتاب ، و« المُحكَم في اللغة » لابن سيده (سبعة أجزاء) بالتعاون مع مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ونشر منه هذا العام الجزء الثامن .

وفي العقود الثلاثة الأخيرة قامت حركة ضخمة لنشر التراث العربي في دول

الخليج العربي ، التي جعلت مما أفاء الله عليها من ثروات البترول نصيباً مفروضاً لنشر الكتاب العربي وإذاعته ، ووكلت أمر تحقيقه إلى صفوة من كبار المحققين في ذلك الزمان . وكانت أولى هذه الهيئات العلمية وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت التي سميت فيما بعد وزارة الإعلام ، فقد أخرجت منذ أوائل الستينات الميلادية كتباً ذوات عدد ، اختارتها بعناية وبصيرة ، ثم وزارة الأوقاف ، وشعبة التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت أيضاً . ثم ألقت المملكة العربية السعودية بدلوها في الدلاء ، فنشرت قدراً طيباً من الكتاب العربي من خلال مراكزها العلمية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، والجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية . وفي العقد الأخير دخلت هيئتان عربيتان ميدان نشر التراث : أولاهما : المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) ، والثانية : مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي .

وهذه الهيئات العربية في سعيها لنشر التراث العربي تجبر النقص الذي يَسِمُ أعمال الناشر الخاص ، من حيث نظرتها الشمولية لفروع التراث ، وعدم النظر إلى الكسب المادي . على أن ما يعيب نشاط هذه الهيئات هو ضيق مجال توزيع الكتاب وعدم انتشاره ، حيث يتجه معظم ما تطبعه إلى الإهداء ، مما يحرم القارئ العربي من ثمار هذه المطبوعات .

ومع هذه الجهد المحمود لهيئات النشر في الوطن العربي ، في اتساع النظرة وشمول الرؤية ، فلا زالت هناك آثار للمزاج الشخصي في توجيه حركة النشر ، وآية ذلك غياب بعض فنون التراث من دائرة النشر ، مثل مخطوطات الفقه وأصوله ، وعلى سبيل المثال فلا يزال كتاب « نهاية المطلب في دراية المذهب » لإمام الحرمين الجويني مخطوطاً ، وكذلك كتاب « بحر المذهب » للروياني ،

وكلاهما من عمد الشافعية ، وفي علم القراءات لا زال أوسع مرجع فيه مخطوطاً ، وهو كتاب « لطائف الإشارات لفنون القراءات » للسلاني ، وفي علم النحو يطمع أهل العلم أن يروا كتاب أبي حيان : « التذييل والتكميل في شرح التسهيل » مطبوعاً . وقل مثل هذا في كثير من مخطوطات الطب العربي والفلك والفلاحة وسائر العلوم الكونية التي لا يقبل عليها الناشرون لقلة العائد المادي منها ، وإن كان قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة بالكويت قد نشر شيئاً من ذلك - وبخاصة كتاب « المناظر » للحسن بن الهيثم ، وكذلك معهد المخطوطات ، ومعهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب . فهذه أولويات في طريق نشر الكتاب العربي ، ينبغي على الهيئات العلمية العربية أن تصرف الهم إليها ، مستعينة بخبرة معهد المخطوطات وذخائره ، وصلاته بمراكز المخطوطات في العالم ليُهيِّئَ لها أصول هذه الكتب .

ومن وجهة نظري : لا بد لهذه الهيئات بعد أن تُهيئَ الكتاب للنشر أن تدخل معها أحد الناشرين المشهورين شريكاً ، ليتولى مهمة إنجاز الطبع ، ثم التسويق والتوزيع ، فإن الناشرين أخبر بذلك وأدرى من غيرهم ، وعلى سبيل المثال فإن كتاب « المحْكَم » في اللغة لابن سيده ، أصدر معهد المخطوطات الجزء الأول منه عام ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م ، ثم أصدر الجزء الثامن منه هذا العام ١٩٩٦م ، وبقى منه أربعة أجزاء ، فهذه ثمانية وثلاثون سنة ، ما بين صدور الجزء الأول وصدور الجزء الثامن ، فلو تولَّى أمره أحد الناشرين شريكاً للمعهد لما أخذ أكثر من سنتين .

على أن لي في قضية نشر التراث الآن رأياً - وبخاصة في الكتب الموسوعة ذات الأجزاء الكبار - ولنضرب مثلاً بكتاب موسوعي كبير مثل « عيون

التواريخ » لابن شاكر الكتبي ، كم من الوقت يأخذ لو أخرجناه محققاً مطبوعاً ؟ إن المستشرق الألماني هلموث ريتر قد أصدر الجزء الأول من كتاب « الوافي بالوفيات » للصفدي بإستانبول سنة ١٩٣١م ، ثم صور منه الجزء الرابع والعشرون عام ١٩٩٣م ، وبقي منه نحو خمسة أجزاء ، فالرأي عندي في نشر هذه الأعمال الموسوعية أن نخرجها مصورة ، بعد أن نختار لها أصولاً مخطوطة جيدة ، ثم نجري عليها بعض الإصلاحات قبل دفعها للتصوير ، مستفيدين من التقدم العلمي ، في المحافظة على الألوان الأصلية وثباتها ، وقد سلك هذا السبيل ، ووُفّق فيه إلى حد كبير الدكتور / محمد فؤاد سزجين ، وأخرج من ذلك : « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » ، لابن فضل اللَّه العمري (٢٧ مجلداً) ، و« بغية الطلب في تاريخ حلب » ، لابن العديم (٨ أجزاء) ، ثم أخرج أيضاً بهذا الأسلوب : « أعيان العصر وأعوان النصر » ، لصلاح الدين الصفدي ، و« منتهى الطلب » لابن ميمون .

فماذا علينا لو أننا اخترنا بعض المخطوطات الموسوعية ، وأخرجناها مصوَّرة على هذا النحو ، مع ترجمة للمؤلف في صور الكتاب ، مشفوعة بحديث عن قيمة الكتاب وموضعه في الفن الذي يعالجه : تأثراً وتأثيراً ، ثم ختمنا بطائفة من الفهارس الفنية الكاشفة ؟

على أن إخراج المخطوطات مصوَّرة وإتاحتها لجمهور القراء قد بدأ منذ زمن بعيد ، ولعل أول ما عرف من ذلك ما قامت به لجنة جب التذكارية ، حين أخرجت كتاب « الأنساب » لأبي سعد السمعاني ، مصوَّراً بالزنكوغراف ، عن مخطوطة المتحف البريطاني ، في مجلد ضخم (١٢١٦) صفحة كبيرة بخط دقيق ، وفي صدره مقدمة بالإنجليزية للمستشرق مرجليوث - ليدن ١٩١٢م .

ومن ذلك كتاب «المنازل والديار» للأمير أسامة بن منقذ، أخرجه معهد الشعوب الآسيوية بموسكو عام ١٩٦١م مصوراً عن نسخة مكتوبة بخط المؤلف نفسه - وهو خط مليح جيد - فرغ من نسخها عام ٥٦٨هـ، والنسخة من مقتنيات معهد الشعوب الآسيوية بلييننجراد.

ونشر هذا الكتاب «المنازل والديار» عن نسخة بخط المؤلف نفسه، تدعوني إلى أولويات أخرى في النشر، وهو توجيه النظر إلى تلك المخطوطات التي ثبت أنها بخطوط مؤلفيها، وإخراجها إلى الناس مصوَّرة، على المنهج الذي أشرت إليه من قبل، ومعلوم أن أعلى النسخ وأغلاها هي النسخة التي خطها المؤلف، حتى ولو كانت مسودة، فإننا لا نأمن تغيير النساخ أو غفلة المحققين، وبخاصة ضعفة زماننا منهم، ومن تجاربي الخاصة في نسخ المخطوطات وتحقيقها وقراءة أعمال الآخرين، رأيت عجائب من ذلك، وقد كان يحلو لي - في أوقات الفراغ - أن أنظر في تلك الكتب التي نشرت عن أصول بخطوط مؤلفيها، ثم أقابل بين ما نشر منها محققاً وبين تلك النسخ الأُصلية فيما يتاح لي منها، فأرى فروقاً غير يسيرة. وفي خزينة معهد المخطوطات غير مخطوطة بأقلام مؤلفيها، ومنها ما صوَّرْتُه بنفسي حين كنت أخرج في بعثات المعهد، ومن ذلك: «ميزان الاعتدال» للحافظ الذهبي، مسودة بخطه، في الخزانة العامة بالرباط، و«المصباح المنير» للفيومي، نسختان مسودتان بخطه: إحداهما بالخزانة الملكية بالرباط، والثانية بمكتبة عارف بالمدينة النبوية. فالرأي أن تنشر مثل هذه المخطوطات مصوَّرة.

وفي هذا الطريق أيضاً، أرى نشر تلك المخطوطات التي تحمل سمات خطوط العصور وتطوّرها، مثل بعض مخطوطات القرون: الرابع والخامس

والسادس والسابع، وبخاصة منها خطوط العلماء: من سماعات وإجازات وتملكات وتقييدات، كذلك يقترح هنا نشر بعض المخطوطات مصورة لقيمتها الفنية، مثل بعض نسخ مقامات الحريري المزخرفة، وحماسة أبي تمام، و«الشفا» للقاضي عياض الذي تأنّق الخطاطون في كتابه لشرف المكتوب فيه ﷺ، وكذلك دواوين الشعراء المقلين التي كتبها أعلام الخطاطين، مثل علي بن هلال المعروف بابن البواب، وياقوت المستعصمي، ويستعان في ذلك كله بتلك النماذج الرائعة التي أثبت نماذج منها الدكتور صلاح الدين المنجد في «الكتاب العربي المخطوط» الذي صدر عن معهد المخطوطات عام ١٩٦٠م، وكذلك يُستعان بما أثبته العلامة خير الدين الزركلي من صور نادرة لخطوط العلماء المؤلفين وغيرهم في أعقاب تراجمهم، في كتابه الفذّ: «الأعلام».

أما ما يقال عن تنظيم حركة نشر التراث، فهو كلام جيد ومطلوب، ولكن لا سبيل إلى تحقيقه، فالسيطرة على جهات النشر متعذرة، ومنع الازدواجية في النشر مستحيلة، وقد حاول معهد المخطوطات أن يضبط حركة النشر، وأن يكون حلقة اتصال بين المحققين وناشري الكتب حتى لا يدخل بعضهم على بعض، وذلك من خلال نشرة أخبار التراث العربي، الذي بدأ في إصدارها منذ عشرين عاماً، ولكن مساعيه لم تؤت ثمارها، لأن الصلة منفكة بين العاملين في نشر التراث، وكل في فلك يسبحون.

إن الأماني في نشر التراث واسعة، والآمال فيها حوله عريضة، ولكننا لا نقترح إلا ما هو متاح وميسور. واللّٰه هو المستعان، وإليه تصير الأمور.

* * *

مخطوطات دار الكتب الوطنية بـ« أبو ظبي »

أ. جمعة عبد اللّه القبيسي

النشأة والأهداف :

يُعَدُّ قسم المخطوطات ومصوّراتها في دار الكتب الوطنية - المجمع الثقافي - أبو ظبي ، قسمًا حديث النشأة إذا ما قيس إلى لداته من الأقسام ، فقد أخذ شكله الرسمي عام ١٩٨٨ ، حين امتدت أهداف المجمع الثقافي وأغراضه إلى أن يوفر للنشاط الفكري ، والإنتاج الأدبي والعلمي ، حاجته من المراجع والكتب والمخطوطات والدوريات ، التي تمثل كافة فروع المعرفة الإنسانية ، وتيسير استفادة الباحثين والمراجعين منها .

وتحقق هذا الغرض بإنشاء دار الكتب الوطنية التي تحتوي علي المقروء والمسموع ، والمسموع المرئي . ولم تكتمل تلك الأهداف إلا بإنشاء قسم المخطوطات ومصوّراتها .

ويشغل القسم حيزًا واسعًا من مقر دار الكتب الوطنية في الطابق الأرضي منها ، مكوَّنًا من قاعة مطالعة ، ومكاتب العاملين فيها ، ومخزن لحفظ المخطوطات وصيانتها وفاقًا لشرائط معينة ، ومن ثم إعدادها لتكون بين يدي الباحثين والمراجعين والعلماء المتخصصين تمهيدًا لتحقيقها ودراستها ونشرها .

---

* مدير الدار - المجمع الثقافي في (أبو ظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة) .

وقد جُهِّزت القاعة بالوسائل التقنية الحديثة اللازمة لقراءة المخطوطات ومصوّراتها، مثل قارئ أشرطة (الميكروفيلم)، وقارئ رقائق (المايكروفيش)، ومكبّرات لقراءة ما غمض، أو أبهم، من نصوص المخطوطات، إضافة إلى أهم الفهارس والمصادر والمراجع المتعلقة بهذا العلم، وكتب التراجم والكشافات والمعاجم اللازمة للمحقق والدارس.

المخطوطات وموضوعاتها:

أما ما حواه هذا القسم من المخطوطات والمصوَّرات فهي من حيث الكم قرابة أربعة آلاف عنوان، ما بين رسالة ذات ورقات، ومخطوطات ذات مجلدات.

وتغطي هذه المخطوطات مختلف العلوم والثقافات التي جال فيها العلماء العرب المسلمون، من علوم القرآن: تفسيره، وقراءاته، وتجويده، ورسمه؛ ومن علوم الحديث: متنه، وسنده، ومصطلحه، وعلم رجاله؛ ومن اللغة العربية: نحوها، وصرفها، وبلاغتها، وعَروضها، وآدابها؛ وعلم العقائد وأصول الدين، وكذا الفلسفة والمنطق، والحكمة، وعلم الجدل، وآداب البحث والمناظرة، والتصوف؛ ومن الرياضيات وعلوم الهيئة: الحساب والجبر والهندسة والمثلثات، والفلك وعلم الميقات، وكذا الطب بنوعيه البشري والبيطري، والصيدلة، والأدوية مفردها ومركبها، ومن النبات وعلم الفلاحة.

ومن بين هذه المخطوطات والمصوَّرات، ما هو نادر ونفيس، في موضوعه، أو شكله، أو بخط مؤلفه، أو ندرة نسخه، وغير ذلك من مقاييس الندرة والنفاسة.

كما أنه يوجد لدى القسم قرابة خمسين مصحفًا شريفًا كتبت بخطوط متنوعة، بين النسخي والفارسي والمغربي. ويرجع تاريخ نسخها إلى ما بين

القرنين الحادي عشر والثالث عشر الهجريين. وهي ذات زخارف رائعة بماء الذهب، والألوان المتنوعة.

الجهود المبذولة:

على الرغم من حداثة نشأته فقد قام القسم بما يلي:

١- العمل على فهرسة ما لديه من مخطوطات أصلية، ليتبعها بفهرسة المصوَّرات وعددها يفوق المخطوطات الأصلية. وقد أنجز القسم حتى الآن إصدار الجزء الأول والثاني من فهارس مخطوطاته وقارب على الانتهاء من إعداد الجزء الثالث، وذلك لتوزيعه على الجهات والأشخاص المهتمين بشؤون هذه الثروة العلمية.

٢- يقدم القسم كل المساعدة للباحثين من العلماء وأساتذة الجامعات وطلابها الجادين في تحقيق ونشر المخطوطات... وهو يستقبل العديد منهم، خاصة الذين يعملون على إنجاز رسائل (الماجستير) و (الدكتوراه)، ويقدم لهم كل الخدمات المتاحة في هذا المجال.

٣- يعمل القسم جاهدًا على إيجاد الصلات العلمية، والروابط الثقافية ما بينه وبين الجهات والمؤسسات التي تعنى بشؤون المخطوطات، وذلك على المستويين الرسمي والفردي، بتبادل المعلومات، وتبادل المخطوطات المصورة (مايكروفيلمية أو مايكروفيش) إهداءً أو شراءً. وفي هذا تحقيق لأهم الأهداف التي أنشئ القسم من أجلها، وهو تجميع هذه الثروة ما أمكن، إن لم يكن أصولًا، فمصورات، وحفظها، وبالتالي العمل على تحقيقها ودراستها ونشرها.

* * *

مخطوطات دار الكتب الوطنية بتونس

د . جمعة شيخة*

إن الحديث عن تاريخ المخطوطات بتونس، هو حديثٌ عن تاريخ الحضارة ومنارات العلم بإفريقية بصفة عامة. ولئن بدا لبعض الباحثين[1]. أن يُرْجِعوا مسألة الخطاطة والمخطوطات إلى عصور عابرة كالعصر الفنيقي والروماني والبيزنطي، فإننا سنقتصر على تناول الفترة العربية الإسلامية، أي منذ فتح إفريقية في منتصف القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) إلى العصر الحديث.

لقد بدأ الإشعاع الثقافي للدين الجديد بربوع إفريقية منذ أن أسست القيروان، واستقر الفاتحون الجدد بها. وكان من أوكد الواجبات على هؤلاء الفاتحين هو نشر المباديء الإسلامية في الوسط البربري المتعطش إليها. فشيدت المساجد والرّباطات لتكون إلى جانب دورها التعبدي، منارات علمية تشع على كامل منطقة شمال إفريقيا، وجزء لا يستهان به من إفريقيا السوداء، وتصدّر العلماء والفقهاء للتدريس ضمن حلقات تخرّج فيها عديد النوابغ وجهابذة الفكر.

ومنذ القرن الثاني للهجرة، أصبحت القيروان أول عاصمة للعلم والثقافة بالمنطقة، يقصدها المتعطشون للمعرفة مشرقاً ومغرباً، وقد نوّهت المصادر

---

* مدير الدار.

(١) مثل عثمان الكعاك في مقالة له بعنوان: «الوساطة في الخطاطة» نشر بمجلة المباحث عدد ٣٠٩ سبتمبر - أكتوبر ١٩٤٧ ص ١، ١١، ١٩.

التاريخية بولع الكثير من الأمراء بالعلم وأدوات المعرفة وتشجيعهم عليها، على غرار الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني المتوفى سنة (٢٨٩هـ / ٩٠١م).

وقد ذكرت المصادر نفسها أيضاً اعتناء الفاطميين بالعلم والتعليم واهتمام الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بالجدل والمناظرة، الأمر الذي فجّر المواهب، ودعاها إلى الإنتاج، فتعددت التآليف وكثرت المصنفات.

أما الدولة الصنهاجية فإنها سارت على نفس النهج الذي سار عليه الأغالبة والفاطميون، بحكم طموحها للاستقلال عن الخلافة المركزية بالقاهرة، فحرصت على الأخذ بأسباب العلم والمعرفة، وأعادت للمدرسة المالكية سالف نشاطها، وشجع أمراؤها النسَّاخَ والوراقين والكُتَّاب على التدوين والتأليف في شتى الميادين. وقد عرف هذا المدّ ذروته مع المعز بن باديس الصنهاجي (المتوفى سنة ٤٠٤هـ/ ١٠٦٢م) الذي أجزل العطاء للعلماء واحتضن طالبي العلم وأحسن إليهم. يؤكد ذلك مجموع الرقوق الموجودة الآن بمتحف رقادة التي ينص أحدها على تحبيس لفاطمة حاضنة المعزّ بن باديس، على الجامع العتيق بالقيروان، يعود تاريخه إلى سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م. وأصيبت الإمارة الصنهاجية الفتية التي أعلنت استقلالها عن الخلافة الفاطمية، بغزو الهلاليين القادمين من صعيد مصر إلى القيروان (سنة ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م) بتحريض وإغراء من المستنصر العبيدي، فنهبوا وأفسدوا وخربوا. ولئن كان لهذه الغزوة من إيجابيات، زيادة على تعريب البلاد، فهو بروز مراكز ثقافية متعددة بإفريقية حاولت أن تواصل الدور الحضاري الذي لعبته القيروان مدة ثلاثة قرون.

ولما ظهرت الدولة الحفصية أدرك ملوكها قيمة العلم والمعرفة ، فدعموا سلطانهم بزيادة عدد خزائن الكتب ، وتنافس الملوك والأمراء في ذلك ، واهتم عدد منهم اهتماماً بالغاً بجمع ومدّ المكتبات الخاصة الزاخرة بالرقوق والمخطوطات . وأول من عُرِف بذلك السلطان أبو زكريا الأكبر (ت سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) مؤسس الدولة الحفصية . ولا نعلم من خبر مكتبته إلّا ما ذكره أبو محمد عبد اللّه التّجاني في رحلته أثناء ترجمته للحسن معمر الهواري الطرابلسي ، الذي كان تولى في مدة أبي زكريا ، ومن بعده ابنه المستنصر باللّه (ت ٦٧٥هـ / ١٢٧٧م) خطة العلامة الكبرى والنظر في خزائن الكتب . يقول التجاني : « ...فأمره بالنظر في خزانة الكتب ، وسئل عنها حين كانت لنظره أولاً ، فذكر أنها كانت ثلاثين ألف سِفْر ، وأنه اخّر عنها ، ثم أُعيد إليها[(١)] فوجدها عشرين ألف سِفْر ، وأنه الآن اختبرها فوجدها تقصر عن ستة آلاف[(٢)] . فسئل عن موجب ذلك ، فقال : المطر وأيدي البشر »[(٣)] .

ثم جددت الخزانة الحفصية بعد ذلك ، وتمّ تحديثها على يدي أبي فارس عبد العزيز ، إذ أنشأ سنة ٧٩٧هـ / ١٣٩٤م خزانة كتب ضخمة اشتملت على أمهات الكتب في فنون مختلفة ، لتيسير الانتفاع بها لدى عموم الطلبة ، مشترطاً منع إخراج الكتب من الجامع الأعظم . وقد جعل لهذه المكتبة قَيِّمِين لمناولة الكتب بها ، ولنفض الغبار عنها ، كما حدد وقتاً للمطالعة فيما بين أذان الظهر

---

(١) كان ذلك سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م . المرجع السابق .

(٢) عزل منها ثانية ، ثم تولاها ثالثة سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٦ م .

(٣) الرحلة ص ٢٧٦ (المطبعة الرسمية تونس ١٩٥٨) .

وصلاة العصر من كل يوم . وقد جهزت هذه المكتبات بأنجع أدوات التسجيل والضبط من فهارس ونظام إعارة وطرق تداول المخطوطات والاستفادة منها .

وامتدت العناية وتواصل الاهتمام بالمكتبات والمخطوطات مع الدولة الحسينية التي عُرِف لديها الوعيُ بهذه المسألة نقلةً نوعية ، لاسيما قبيل حلول الاستعمار في عهد الوزير المصلح خير الدين باشا ، الذي حث على إنشاء المكتبات وتدعيمها واستصدر التشريعات المنظمة للقطاع المكتبي ، وأهدى مكتبته الثرية بالمخطوطات لجامع الزيتونة المعمور ، إيماناً منه بأهمية المكتبات في تنمية الوعي الوطني ، وتنشيط الحركة العلمية والثقافية بالبلاد . ولا عجب في الأمر بالنسبة إلى خير الدين فقد اهتم بعناية فائقة في كتابه الشهير المسمّى « أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك »[1] . بظاهرة المكتبات وأعجب « بما حققته الدول الأُروبية خصوصاً فرنسا في هذا الصدد ...» .

ثم تطور الاهتمام بمسائل التراث من مجرد وعي عند رواد الإصلاح في القرن الماضي إلى مستوى سياسة متكاملة في فترة الاستقلال ، وبالتحديد منذ سنة ١٩٥٦ لمّا أصبحت السيادة الوطنية بأيدي تونسية ، فعملت على إزالة بصمات المسخ والتهميش التي ألحقها الاستعمار بالثقافة الوطنية . وقامت بجمع شتات التراث وصيانته وإبراز كنوزه والتعريف به حتى يمكن الاستفادة منه واستغلاله وتوظيفه ضمن المجهودات التنموية .

في هذا الإطار بالذات يمكن التنويه بالحظ الذي ناله التراث الوطني

(١) « أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك » لخير الدين باشا التونسي ، تونس . المطبعة الرسمية . ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م ، ص٦٩ - ٧١.

المخطوط، والإشادة بالإجراءات القانونية لجمعه وحفظه. لقد كانت هذه الثروة قبل الاستقلال لا تخضع إلى رؤية واضحة وعمل بناء، بل - على العكس - كانت مصدر نهب واستنزاف لمصالح أجنبية.

وأبرز ما يمكن ذكره من إجراءات في هذا المجال ثلاث مسائل:

* الأمر عدد ٢٩٦ لسنة ١٩٦٧ .
* قرارات سنة ١٩٨٨ الثقافية .
* التجربة الجديدة مع القطاع الخاص .

أ- الأمر عدد ٢٩٦ لسنة ١٩٦٧ المؤرخ في ٧ سبتمبر ١٩٦٧ والمتعلق بجمع المخطوطات[1] :

من المعلوم أن الثروة الوطنية المخطوطة كانت مشتتة بعدة جهات: منها ما هو مُحبَّس على مؤسسات التعليم الديني كجامع الزيتونة، ومنها ما هو موجود في الزوايا والمساجد والأضرحة وغيرها... فجاء الأمر عدد ٢٩٦ لسنة ١٩٦٧ يعكس وعي السياسة الوطنية بالمسألة وحرصها على تطوير الأوضاع وبلورة وسائل جديدة ناجعة. لذلك نص الأمر المذكور أولاً على «أن كافة المخطوطات الموجودة في الزوايا والمساجد ومختلف مكتبات الدولة التونسية يقع جمعها في دار الكتب الوطنية التونسية التي تتولى المحافظة عليها» (الفصل عدد ١). وتم

(١) راجع الرائد الرسمي للجمهورية التونسية الصادر في ٨ - ١٢ سبتمبر ١٩٦٧ . ص ٤ .

بمقتضى هذا النص تجميع كل المخطوطات المتوفرة بالمساجد والمكتبات والمعالم التي ازدهرت خلال العصور الذهبية للثقافة والحضارة العربية الإسلامية بإفريقية خاصة، والمغرب العربي والأندلس بصفة عامة. نُشير منها بالخصوص إلى رصيد المكتبة القيروانية العتيقة (ق ٣هـ/ ٩م)، ورصيد المكتبة العبدلية (ق ١٠هـ/ ١٦م)، ورصيد المكتبة الأحمدية (ق ١٢هـ/ ١٩م)، وعدة أرصدة أخرى كرصيد «الخلدونية» الجمعية الثقافية المعروفة في مطلع هذا القرن.

ب- القرارات الثقافية لسنة ١٩٨٨ :

ثم تواصلت العناية بقضية التراث مع العهد الجديد، فأصبحت الثقافة بكل أبعادها تخضع لتصور أكثر شمولية وأبلغ عمقاً، ولم تعد الثقافة بعد التحول البعد الأقل حظاً في العمل التنموي، وإنما صارت رافداً أساسياً من الروافد التنموية، واتخذ الكثير من الإجراءات والنصوص المجسمة لهذه السياسة، من بينها مجموعة ٢٣ قراراً ثقافياً صدرت على إثر اجتماع مجلس وزاري خُصص للنظر في المسائل الثقافية. وكان ذلك يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٨٨ [(١)].

نجد من بين هذه القرارات القرار ١٥ يوصي: «بالإسراع بإنجاز القسط الثاني من دار الكتب الوطنية» كي تتوفر الظروف العلمية اللازمة للدار، فيمكن لها أداء مهمة «المحافظة على التراث المخطوط والمطبوع» على أحسن وجه.

---

(١) انظر جريدة «الحرية» بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٨٨ . ص ٤ .

كما نجد القرار ١٦ يأذن : « بإنشاء مخبر لصيانة المخطوطات تابع لدار الكتب الوطنية » ، إضافة إلى ورشات التسفير (التجليد) والترميم الموجودة بالدار . والمخبر يتمثل في مصلحة التصوير على الميكروفيلم التي بعثت تجسيماً للقرار المذكور والتي تقوم حالياً بعمل كبير لتصوير أصول المخطوطات حتى يقع حفظها ووقايتها من مخاطر الاستعمال والتداول بالاعتماد على استغلال مصورات الميكروفيلم أو الميكروفيش . وقد توصلت في أقل من سنتين إلى إنجاز ما يزيد على خمسة آلاف ميكروفيلم ، والعمل الآن حثيث لتغطية كامل الرصيد المخطوط .

ج - تجارب فريدة :

ثم كثفت السياسة الثقافية الجهود المبذولة لجمع شتات التراث الوطني وصيانته وتهيئته ليستفيد منه أهل الفكر والأدب والباحثون عموماً . وتوخت من أجل ذلك أساليب متنوعة . لعل أهمّها ما تبنّته وزارة الثقافة في هذا المجال ، والمتمثل في إبرام اتفاق مع من لهم استعداد من المثقفين الغيورين على فتح مكتباتهم لرواد البحث والمتعطشين إلى المعرفة . وذلك بعد أن تقوم الهياكل الثقافية المختصة (دار الكتب الوطنية مثلاً) بتوفير ما يلزم من خبرات فنية وفهارس وتجهيزات ضرورية لحسن استغلال ما توفر من وثائق بتلك المكتبات . وتوفقت وزارة الثقافة في إيجاد صيغة للتعاون مع أصحاب المكتبات الخاصة . فهي من ناحية احترمت الملكية الخاصة ، وأبقت على هذه المكتبات عند أصحابها دون المساس بها ، ممّا يطمئن كل من يتمسك بمكتبته ولا يحبذ التفريط فيها . ونجحت من ناحية ثانية في تمكين المختصين والمواطنين عموماً من

الاستفادة من رصيد هذه المكتبات القيمة . ثم إنها إلى جانب ذلك كله تمكنت من بلورة طريقة ناجعة لحصر الثروة الوثائقية المخطوطة والمطبوعة في القطاع الخاص وتحديد قيمتها ومحتوياتها .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الصيغة الجديدة قد سجلت نجاحاً مهماً مع تجربتين اثنتين ، الأولى مع آل ابن عاشور الذين رحبوا بالفكرة وتفضلوا منذ سنوات بفتح مكتبتهم لكل من يرغب في الانتفاع بمحتوياتها . وهي مكتبة عريقة توجد بضاحية المرسىٰ ضمت ما ألفه واقتناه آل ابن عاشور ، لا سيما الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، ونجله الشيخ محمد الفاضل . (بها الآن ما يزيد على ٤٠٠٠ كتاب بين مطبوع ومخطوط) .

وأمّا التجربة الثانية فإنها تمت مع فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر ، عميد كلية الشريعة وعضو مجلس النواب سابقاً ، فوقع إعداد مكتبة آل النيفر وتهيئتها التهيئة العلمية والفنية اللازمة ، حتى يمكن للباحثين والأساتذة والطلبة الاستفادة من محتويات هذه المكتبة التي تضمنت أكثر من ١١,٠٠٠ مطبوع ، وما يناهز ٨٠٠ مخطوط . إضافة إلى ما سخر بها للمستفيدين من خدمات هامة كالاستنساخ والتصوير على الميكروفيلم ...

ثروة « الدار » :

لقد تم بفضل الإجراءات القانونية التي سبق التعرض إليها ، جمع ما يزيد على أربعين ألف مخطوط . ودار الكتب تواصل يومياً عملية شراء المخطوطات والبحث عنها لزيادة ثروتها .

وإذا ما نظر الباحث إلى المجالات التي عنيت بها المخطوطات الموجودة بالدار، فإنه يجدها متنوعة ومختلفة تغطي كل فروع المعرفة، غير أنه يمكن حصرها في أربعة محاور رئيسة. وهي: العلوم الدينية والعلوم الإنسانية والعلوم اللسانية، العلوم الصحيحة، وتتوزع حسب الجدول التالي:

الموضوعات			
العلوم الدينية	العلوم الإنسانية	العلوم اللسانية	العلوم الصحيحة
القرآن الكريم	الأدب	اللغة	الطب
التفسير والقراءات	التاريخ	البلاغة	الهندسة
الحديث وعلومه	المنطق	النحو والصرف	الصيدلة
التوحيد	الفلسفة	العروض	الفلاحة
الفقه	الأنساب والتراجم		الحساب
التصوف	فن السياسة		الجبر
السيرة	الوعظ والحكم والأمثال		فنون الحرب
أصول الفقه	آداب البحث والمناظرة		
علم الكلام			

غير أن ما يجب التنصيص عليه أنه ، وإن كان رصيد المخطوطات متوازناً من حيث شموليته لكل المجالات العلمية والمعرفية ، فإن توزيع نسب المخطوطات حسب المواضيع لا تخضع إلى منطق معين ولا يوجد فيما بينها أي توازن أو تكافؤ .

وإذا أخذنا مثلاً رصيدين هامين وهما رصيدا الأحمدية والعبدلية اللذان يتجاوزان ١٢٠٠٠ مخطوط ، فإننا نجد موادهما تتوزع على النحو التالي :

	الموضوعات	الأرصدة		النسبة
		الأحمدية	العبدلية	
١	العلوم الدينية	٧٠٪	٥٥٪	٦٢,٥٪
٢	العلوم الإنسانية	١٣,٥٪	٢٩٪	٢١,٥٪
٣	العلوم اللسانية	١٠٪	١٠,٥٪	١٠,٥٪
٤	العلوم الصحيحة	٥٪	٣,٥٪	٤,٥٪
٥	موضوعات أخرى	٠,٩٦٪	٢٪	١,٥٪

ويتضح لنا من خلال هذا المثال ، الذي هو في الحقيقة مقياس لبقية الرصد ، مجموعة من الملاحظات أهمها ما يلي :

١- أن الغرض الديني هو الموضوع الطاغي على كل النسب الأخرى ،

وذلك بحكم أن الحضارة العربية الإسلامية قد انبنت على القرآن الكريم والعلوم المتفرعة عنه ، فلا غرو أن يهتم العرب بهذه المسائل ويبدءوا فيها قبل عنايتهم بفنون ومجالات معرفية أخرى .

٢- تأتي العلوم الإنسانية والعلوم اللغوية في مستوى ثان باعتبار أنهما وظفتا عبر عصور متتالية لخدمة العلوم الدينية والفقهية والمذهبية .

٣- لئن كانت العلوم الصحيحة لا تشكل سوى نسبة ٪ ٤,٥ من بين رصيد المكتبتين الأحمدية والعبدلية ، أي حوالي ٦٠٠ مخطوط من جملة ١٢٠٠٠، فإنّ هذا العدد وتلك النسبة لا تعكس الثروة الوطنية الحقيقية في مجال المخطوطات العلمية التي هُرّب الكثير منها أيام المحنة الاستعمارية ؛ إذ لا يخفى ما قامت به الجاليات الأجنبية من تمشيط بالبلاد قصد جمع المؤلفات العلمية الجيدة ، أو ذات الجانب الفني الرائع ، ثم تحويلها لجهات بالخارج .

وفي ما يلي بيان بأهم المجموعات التي تحتويها الدار ، من عامة وخاصة :

(١) المجموعات العامة :

أ- المكتبة العتيقة بالقيروان[(١)] :

هي أقدم المكتبات بإفريقية . وهي المكتبة الوحيدة ببلادنا التي بقيت بمصاحفها البديعة ونماذجها الخطية الفريدة ، شاهداً على العناية الفائقة التي أولتها الأسر الحاكمة للكتاب، ومثالاً لإبراز ما مرّ بالقيروان من حضارة كانت

(١) شملها قرار التجميع في البداية ثم أعيدت - بعد محاولات عديدة - إلى أماكنها الأصلية بالقيروان إثر قرار من الوزير الأول سنة ١٩٨٣ .

ومازالت مضرباً للاعتزاز والفخر. وبالرغم من عوادي الزمن، فإن المكتبة الإسلامية - لحسن الحظ - مازالت تحتفظ ببعض النماذج الرائعة والوثائق الفريدة، مما يقيم الدليل على عراقة الحركة العلمية والنهضة الفكرية المتطورة التي شهدها جامع عقبة بن نافع عبر العصور. فالقيروان - كما هو معلوم - كانت إحدى حلْقات المعرفة الإنسانية في القرون الوسطى. وكانت همزة وصل بين أسس الحضارة الفكرية مشرقاً ومغرباً، وكانت أهم معقل من معاقل المالكية في البلاد العربية الإسلامية.

وتكفي نظرة على الرصد الموجود الآن بالقيروان بمتحف رقادة، والذي يضم حوالي ٨٠٠٠ قطعة للتدليل على قيمة هذه المكتبة العتيقة.

إن خزانة المكتبة العتيقة بالقيروان مازالت تحتفظ إلى الآن بأروع الرقوق وأجمل المصاحف القديمة تذهيباً وزخرفة وتصميماً. مثال ذلك:

- مصحف بخط امرأة تسمى فضل، مولاة أبي أيوب. به نص تحبيس على الجامع الأعظم بالقيروان بتاريخ ٢٩٥هـ. كتب على الرق بخط كوفي.

- مصحف فاطمة حاضنة المعز بن باديس الصنهاجي، وعليه نص تحبيس يعود إلى سنة ٤٢٤هـ. كتب على الرق بخط كوفي قيرواني.

- المصحف المكتوب على الرق الأزرق بخط كوفي مذهب. والأوراق المتبقية من هذا المصحف الذي يعود إلى بداية القرن الخامس الهجري تعتبر بتفردها نسخة وحيدة في العالم لا نظير لها.

- أما قطع «الموطأ» برواياته المختلفة (علي بن زياد التونسي، يحيى بن يحيى الليثي، أبو سعيد الحداد)، والأسدية لأسد بن الفرات، وغير ذلك، فإنّ

أغلبها مازال موجوداً وفي حالة متماسكة وطيبة، رغم مرور الزمن والمحن التي تعاقبت على مدينة القيروان.

ب- المكتبة العبدلية :

اعتنت الدولة الحفصية (التي وطّدت أركان حكمها بتونس العاصمة عوضاً عن العاصمة التقليدية القيروان) عناية كبيرة بتأسيس المدارس وتعمير الجوامع والمساجد بالكتب. وقد اهتمت الأسرة الحفصية بالعلم والتعليم، خاصة في مرحلة استتباب الملك والانصراف إلى الشئون الداخلية للبلاد.

وتذكر المصادر التاريخية اهتمام المستنصر بالله بن أبي زكريا الحفصي (ت ٦٧٥هـ) بالكتب. فقد أخذ عن أبيه أبي زكرياء الشغف بالعلماء وتكريم المجتهدين منهم. كما أشارت المصادر نفسها إلى الأمير أبي فارس عبد العزيز الحفصي الذي أنشأ بجامع الزيتونة أول مكتبة عامة (بالمفهوم العصري) سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٥م، وجمع أمهات الكتب والدواوين لينتفع بها طلبة العلم. وقد عين لهذه المكتبة قيمين لنفض الغبار عنها، والاعتناء بها. ومناولتها للطلبة الراغبين في الانتفاع منها. جاعلاً وقت ارتيادها ما بين أذان الظهر ووقت صلاة العصر من كل يوم. كما اشترط منع مناولة الكتب خارج الجامع.

وحذا حذوه أحد أحفاده وهو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعودي بن عثمان (ت ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م)، فقصر همته على العناية بالكتاب وأسس مكتبة عظيمة في الرواق الشرقي من رحاب الجامع الأعظم، عُرِفت باسمه ونسبت إليه، واشتهرت باسم المكتبة العبدلية.

ولقد عَرفت هذه المكتبة أعنف أنواع التمزيق والنهب، أثناء الهجمة

الصليبية التي قام بها الإسبان سنة ٩٤١هـ/ ١٥٨٤م، إثر استصراخ الأمير الحسن الحفصي لهم، عندما رأى ألا قدرة له على مقاومة الحملات البحرية التي قادها ضده خير الدين بربوس، وهكذا دخل الإسبان إلى تونس عبر حلق الوادي، واستباحوا البلاد لمدة ثلاثة أيام، فعاثوا فيها فساداً، وانتهكوا الحرمات والمقدسات، وعبثوا بأروقة جامع الزيتونة، فأحرقوا الكتب وداسوا المجلدات بحوافر خيولهم، ومزقوا أمهات المصادر والدواوين.

ولم تعد المكتبة العبدلية إلى عزّ مجدها إلّا في عهد محمد الصادق باي الذي بادر بإحيائها مستصدراً أمراً بتنظيمها في ١٢ ربيع الثاني عام ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٦م باذلاً الجهد في سبيل تنمية رصيدها من بعض المجموعات التي وصلته عن طريق الهبات والشراء. وقد أطلق على هذا الجزء المضاف إلى العبدلية اسم المكتبة الصادقية، وبلغ عدد مخطوطاتها ١٧٩٨ مجلداً.

عدد مجلداتها :

إنّ وجود المكتبة العبدلية بجامع الزيتونة المعمور وحفظها بالخزائن الموجودة به قد جعل أغلبها في حالة جيدة توحي باهتمام الساهرين عليها، وبعناية القائمين بشئونها. ويبلغ العدد الجملي لمخطوطات هذه المكتبة ٥١٨٠ مجلداً.

يتوزع مجملها على الموضوعات والفنون التالية :

التفسير	الفقه المالكي	الأدب	الحساب والفلك
٤٤٠ مجلدا	٦٦٩ مخطوطا	١٠٣٦ مخطوطا	٧٣ مخطوطا

نماذج من مخطوطاتها :

- شرح ديوان أبي فراس الحمداني - للحسين بن أحمد بن خَالَوَيْه ، المتوفى ٣٧٠هـ / ٩٨٠م. نسخة خطّها نسخي تمت كتابتها في ١٤ رمضان ٥٧٨هـ/ ١١٨٤م. الرقم ٨٣٢١.

- حلّ الموجز - لمحمد بن محمد الأقصرائى ، المتوفي ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧ م. وهو شرح على موجز القانون لابن النفيس ، نسخة جيدة بخط نسخي كتبها محمود بن طاهر بن أبي جعفر مسعود سنة ٨٤٩ هـ / ١٤٤٥ م. الرقم ٨٢٢٠.

- صور الكواكب الثابتة - لعبد الرحمن بن عمر الصوفي الرازي ، المتوفي ٣٧٦هـ / ٩٨٦. يشتمل على رسوم وجداول وصور حركات الكواكب . نسخة بخط فارسى كتبت في شهر شعبان ١٠٣٠ هـ/ ١٦٢١م. الرقم ٨٠٩٣.

ج - المكتبة الأحمدية :

تواصلت بعد العهد الحفصي العناية بالمكتبات وتأسيس مدارس العلم بتونس العاصمة. ولم يأل الحسينيون جهداً في سبيل تهيئة المناخ الملائم للأخذ بأسباب العلم والمعرفة. وتعتبر مدة حكمهم (من ١٧٠٥م إلى ١٩٥٧م) ثرية بإنجازات حضارية وثقافية. وتذكر المصادر التاريخية ما أولاه حسين بن علي تركي مؤسس الدولة الحسينية بحاضرة تونس من اهتمام بالعلماء وحثَ على الاجتهاد والتأليف. ودرج على هذا المثال المشير أحمد باشا باي الأول (ت ١٢٧١هـ/ ١٨٥٥م) الذي أسس المكتبة الأحمدية ، وإليه يرجع فضل إثراء مخطوطات

جامع الزيتونة بما تمكن من اقتنائه من مكتبات بعض أعيان تونس . وجهّز الجامع الأعظم بخزائن على يمين وشمال المحراب ملئت بالمخطوطات . يضاف إلى ذلك ما استطاع جمعه من مكتبة الشيخ إبراهيم الرياحي (إثر وفاته سنة ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م) التي احتوت هي الأخرى مجموعة من نفائس الكتب التي اقتناها الشيخ أثناء رحلتيه إلى كل من فاس والأستانة .

عدد مجلداتها :

إن وجود هذه المكتبة بجامع الزيتونة بعد ما كان الجزء الأوفر منها ملك بعض البيوتات التونسية المرموقة ، قد جعلها في حالة طيبة من الصيانة والحفظ . فأغلب رصيد المكتبة الأحمدية مع سابقتها (المكتبة العبدلية) قد تعهدته الأيدي بالتجليد والتسفير ، لذلك امتزجت أثناء عملية التجليد كل المؤثرات للفن المغربي والأندلسي والإسلامي عموماً من زخرف وتذهيب . ويبلغ العدد الجملي لمخطوطات هذه المكتبة ٦٤٦٤ مجلداً يتوزع مجملها على الموضوعات التالية :

التفسير	الفقه المالكي	الفقه الحنفي	الأدب	الحساب والجبر والمقابلة	الهيئة والفلك
٣٦٥	٩٠٢	باعتباره المذهب الرسمي للدولة الحسينية ٥٠٢	١٧٣	٢٩	٥١

نماذج من مخطوطاتها :

- تفسير القرآن الكريم - ليحيى بن سلام البصري التميمي، المتوفى ٢٠١هـ/ ٨١٦م، رواية أبي داود أحمد بن موسى بن جرير الأزدي المتوفى ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م من نسخة قديمة كتبت في المحرم من سنة ٣٨٣هـ/ ٩٣٣م- الرقم ٧٤٤٧.

- اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار- لعبد الله بن علي اللخمي، المتوفى ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، الجزء الثالث من نسخة خطها أندلسي، ترجع إلى القرن السادس للهجرة. الرقم: ١١٥١٤.

- التمييز والفصل بين المتفق في الخط والنقط والشكل، جمعه ورتبه إسماعيل ابن هبة الله بن باطيش المتوفى ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م. نسخة بخط المؤلف كتبها في شعبان ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م- الرقم ٨٠٠٦.

د - مكتبة العطارين :

ثم احتلال البلاد التونسية سنة ١٨٨١م، وبقي الناس مشدودين إلى ماضيهم يستلهمون من جامع الزيتونة مجدهم التليد.

وفي بداية هذا القرن وتحقيقاً لبعض الأغراض الاستعمارية، تم إنشاء مكتبة عمومية بنهج روسيا بالعاصمة، ثم سرعان ما تبلورت الفكرة فتحولت المكتبة سنة ١٩١٠ إلى البناية الحالية الكائنة بسوق العطارين والتي كانت منذ العهد المرادي ثكنة عسكرية تركية. ومن ذلك التاريخ صرفت العناية أساساً لشراء المطبوعات تلبية لرغبة النخبة الاستعمارية، إلى درجة أن ما تحتويه المكتبة الوطنية

اليوم من وثائق وخرائط وكتب يعتبر فريداً في نوعه .

أما عدد المخطوطات حتى فترة ما قبل الاستقلال ، فيبدو أنه لم يتجاوز المئة بين عربية ووثائق خطية فرنسية وإيطالية .

ولما استقلت البلاد سنة ١٩٥٦ كانت نسبة الكتب العربية المطبوعة قليلة[١] مقارنة بغيرها من الكتب الفرنسية . وعندما آل الأمر إلى السلطة الوطنية كانت المخطوطات مبثوثة - مثلما أشرنا - في أماكن متعددة ونواح مختلفة بالبلاد التونسية فهي إما :

- مُحَبَّسَة على جامع الزيتونة ،
- أو هي وقف على بعض الجوامع والمساجد والزوايا ،
- أو مودعة بالمكتبات العامة والمتاحف .

وقد سعى المحافظون والمديرون الذين تعاقبوا على دار الكتب على تنمية الرصيد العام بتوجيه العناية إلى الكتاب العربي المطبوع وإلى المخطوط . فكان أن اهتموا بالشراء وانتفعوا من الدعم القوي الذي خصصته الحكومة (ممثلة في وزارة التعليم أولاً ثم وزارة الثقافة) في بداية الاستقلال للكتاب بصفة خاصة وللثقافة والتعليم بصفة عامة . ونتيجة لهذا التوجه بلغ عدد مخطوطات مكتبة العطارين ٤٨٩٥ مجلداً .

وتتوزع بعض مجلدات هذه المجموعة حسب الموضوعات والفنون التالية :

(١) في كتاب جرد دقيق تردد الإحصاء بين نسبتين إذ قيل أن نسبة الكتب العربية لا تمثل إلا سدس الكتب الفرنسية ، وقيل إنها لا تمثل إلا الثُمن .

التفسير	الفقه المالكي	الأدب	حساب وهندسة	هيئة وفلك
١٥٠ مجلدا	٢٤٤ مجلدا	٤٢٩ مجلدا	٥٦ مجلدا	١٥٣ مجلدا

هـ - المكتبة الخلدونية :

أنشئت الجمعية الخلدونية في نطاق حركة الإصلاح التي شهدتها البلاد أواخر القرن الماضي . فقد أحسَّت مجموعة من الشباب المتعلم النير المتخرج من المدرسة الصادقية وجامع الزيتونة بأن الحماية الفرنسية ساعية لطمس الشخصية العربية الإسلامية ، فتبلورت في أذهانهم فكرة إصلاحية جديدة اجتماعياً ، وسياسياً واقتصادياً .

وصدر القانون الأساسي المنظم للجمعية في ٢٢ ديسمبر ١٨٩٦ مركزاً على صبغتها الثقافية والتعليمية ، وذلك بإنشاء مكتبة دخلت حيز العمل في أعقاب سنة ١٩٠١، وأول ما يميز هذه المكتبة هو أنها مكتبة عمومية مفتوحة للتونسيين ولغيرهم من الأجناس الأخرى دون تفريق في الديانة . وهذا على عكس المكتبات الكبرى التي كانت خزائنها بالجامع الأعظم والتي لا يؤمها إلا المسلمون . وقد تظافرت جهود الساهرين على انتقاء أحسن الكتب وأمهات المصادر والمراجع والدواوين إضافة إلى الدوريات السيَّارة التي كانت تزخر بها البلاد في بداية هذا القرن . لذا ليس من الغريب أن نجد رصيد المكتبة الخلدونية

حافلاً ببعض المطبوعات الفريدة .

وفي سنة ١٩٥٨ ومع صدور قانون الجمعيات الداعي إلى تنظيم القوانين الأساسية وتحديد أهدافها ، ومع بروز فكرة توحيد برامج التعليم ضمن برنامج وطني موحّد ، وضع حد لنشاط الجمعية الخلدونية وتحول مقرها الأصلي سنة ١٩٥٩ إلى معهد وطني للغات الحية الذي سرعان ما أصبح سنة ١٩٦٢ مدرسة حرّة .

أما المكتبة فإنها ألحقت بإدارة المطالعة العمومية التابعة لكتابة الدولة للشئون الثقافية ... ثم بقيت مغلقة لأسباب مجهولة إلى أن قيض اللّٰه بعض العزائم الصادقة التي أعادت فتحها للعموم أواخر شهر رمضان ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

أما عن مخطوطات المكتبة الخلدونية فقد شملها هي الأخرى قرار التجميع الصادر سنة ١٩٦٧م . وتحتوي على ١٥٨ مخطوطاً في مختلف الفنون من بينها :

- تفسير غريب القرآن لأبي يحيى محمد بن صمادح التجيبي أمير المرية المعتصم باللّٰه ، المتوفى ٤٨٤هـ / ١٠٩١م . وقد اعتمد فيه المؤلف على كتاب الطبري في التفسير . رقمه ١٦٥٨٧.

- تذكير الغافل وتعليم الجاهل لمحمد بن عظوم القيرواني ، المتوفى ٩٥٠هـ / ١٥٤٤م .

من الكتب الجليلة التي ألفت في النوازل ، يعدها الأفارقة من المراجع الأساسية لمكانة مؤلفها العلمية . رقمه ١٦٥٨٢.

- مفتاح الحساب لغياث الدين جمشيد بن مسعود بن محمد الطيب

الكاشي، المتوفى ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م. نسخة تعود إلى سنة ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م. رقمه ١٦٦٤١.

و- مكتبة كلية الشريعة وأصول الدين :

تشرف عليها وزارة التربية والعلوم. وهي المكتبة التي تأسست لمَّا كان المبنى الحالي لكلية الآداب في شارع ٩ أفريل يأوي إلى جانبه كلاً من كلية الشريعة والمعهد الأعلى للحقوق.

وقد تحولت هذه المخطوطات في أواسط السبعينيات لمَّا تحول مقر الكلية المعنية إلى شارع علي طراد بتونس.

والملاحظ أن هذه المجموعة كانت موجودة بمكتب أحد عمداء الكلية في خزائن خشبية ذات فصوص بلورية، وهي الآن تابعة لمكتبة الجامعة الزيتونية. وفيها قائمة مقتضبة لا تحمل إلَّا الرقم والعنوان وبعض الملاحظات الثانوية الأخرى، أما عدد المخطوطات فيقارب ١٥٠ مجلداً زيادة على مصورات لحوالي ١٠٠ مخطوط مستنسخ. فيكون مجموع ما يوجد بها في حدود ٢٥٠ مجلداً في فنون وموضوعات مختلفة، أغلبها في العلوم الدينية والفقهية.

كل هذه الأرصدة السابقة أصبحت تحت نظر دار الكتب الوطنية، باسثناء المكتبة العتيقة التي أعيدت إلى القيروان، ومكتبة كلية الشريعة وأصول الدين التي أصبحت تابعة للجامعة الزيتونية.

(٢) المجموعات الخاصة :

وهي المجموعات التي تندرج في نطاق الملكية الفردية لبعض العائلات :

أ - مكتبة آل ابن عاشور :

تستمد هيبتها ووقارها من أمجادها ، ويكفيها فخراً أنها التصقت بعلمين بارزين شهيرين هما : الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، وابنه الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور ، ويبدو أن العائلة قد عملت بالتراضي والتفاهم على أن يكون لكل أفرادها ما يختاره ويرغب فيه من مخطوطات ومطبوعات . ولكن يظهر أن الجزء الأكبر من هذه المكتبة هو المتبقي حالياً بقصر دار ابن عاشور بالمرسى ، بحوزة السيد عبد الملك ابن عاشور (ابن الشيخ الطاهر) وابنه محمد العزيز ابن عاشور . وتفيد بعض الوثائق أن العائلة اتصلت بوزارة الثقافة سنة ١٩٨٦ لإعداد فهرس لمحتويات المكتبة العاشورية . وعهد العمل إلى فريق من دار الكتب آنذاك قام بالعمل ثم طبعه ووضعه على جذاذات هي الآن على ذمة الباحثين بدار الكتب الوطنية . كما سلم نسخة من الجذاذات نفسها إلى العائلة المذكورة هي الآن موضوعة على ذمة الزائرين لدار ابن عاشور . ويضم العدد الجملي للمخطوطات التي وقف عليها الفريق ١٠٠٠ مخطوط ، زد على ذلك الرسائل الصغيرة والمجلدات الكبيرة ، مع الإشارة إلى أن هذا العدد لا يغطي العدد الحقيقي لكافة المحتويات . والجدير بالملاحظة أن قيمة المكتبة لا تتمثل في هذا العدد فحسب ، بل تتعدى ذلك إلى كون المتصفح لأغلب المخطوطات يجد فيها تعاليق هامة ومتنوعة بخط الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور .

وتكفي بعض العناوين التي سنذكرها للتدليل على قيمة العاشورية :

- الكافي في فروع المالكية : ليوسف بن عبد الله بن عبد البر - الرقم : (ف أ) ٢٢٩.

- المنار في أصول الفقه : لعبد الله بن أحمد النسفي - الرقم : (ف أ) ٧٤.

- قواعد الأحكام في إصلاح الأنام : لعبد العزيز بن عبد السلام السلمي - الرقم : (ف أ) ٥١.

- قواعد الفقه : لمحمد بن عبد الله الزركشي - الرقم : (ف أ) ٩٩ .

ب - مكتبة آل النيفر :

رصيد هذه المكتبة يتمثل في حوالي ٨٠٠ مخطوط ، ورثها الشيخ الشاذلي النيفر عن أبيه القاضي محمد الصادق النيفر ، وأضاف إليها ما اقتناه هو نفسه من مخطوطات خلال نصف قرن . وتقع هذه المكتبة ببطحاء القرجاني نهج علي الرياحي عدد ٤٢.

وقد قامت دار الكتب الوطنية بمساعدة الشيخ الشاذلي النيفر على إعداد فهارس لها متنوعة ، وتوجد نسخة من هذه الفهارس بدار الكتب الوطنية .

ج - مكتبة سعيد بلخوجة :

أوقف صاحبها جزءاً منها على جامع صاحب الطابع بالحلفاوين . وتوجد بغرفة صغيرة بحذاء بيت الصلاة على يمين باب الجامع من جهة الدخول . وتضم حوالي ٧٠ مخطوطاً ، أغلبها في الفقه الحنفي ومن مخطوطاتها :

- التلويح إلى كشف حقائق التنقيح لمسعود بن عمر التفتازاني .

- حاشية على شرح المكودي على ألفية ابن مالك لحسين بن الخوجة .

كما توجد عديد الرسائل والتعاليق التي كتبها آل ابن الخوجة، منهم الشيخ حسين بن الخوجة فيما بين سنتي ١٣١٢ هـ و ١٣٢٣هـ، وفتاوى لعلي بن أحمد بن الخوجة بتاريخ ١٣٥٦هـ، وبعض التآليف لمحمد بن أحمد بن حمودة بن محمد بن علي بن الخوجة بتاريخ ١٢٣٧هـ.

د - مكتبة محمد الحبيب :

كان أحد رجال المسرح والأدب المشهورين. توفي سنة ١٩٨٠م، وترك مكتبة ثرية فيها العديد من المجلات والجرائد القديمة. أما المخطوطات فتضم المكتبة منها بضع عشرات، من بينها صيحفة ملفوفة فريدة في شكلها يتجاوز طولها المتر الواحد وعرضها حوالي ٣٠ سنتمترا، بها شجرة نسب إحدى العائلات التونسية وصلتها بآل البيت.

هـ - المكتبة اللّزّامية ببنزرت :

نسبة إلى الشيخ عبد الرحمن اللّزّام البنزرتي. عدد مخطوطاتها حوالي عشرين مخطوطاً استناداً إلى الفهرس المطبوع الذي أعده الشيخ معاوية التميمي سنة ١٣٥٠هـ.

و - مكتبة الباروني :

نسبة إلى محمد بن زكرياء الباروني الإباضي مذهباً. من رجال القرن العاشر الهجري/ ١٦م. المكتبة موجودة بجربة حالياً، وهي على ذمة آل

الباروني ، ومختصة في الفقه الإباضي ، وتحتوي على مجموعة من الكتب الهامة في هذا المضمار لبعض المؤلفين الإباضيين أصيلي جربة مثل الشماخي والدرجيني وابن تعاريت ، إضافة إلى كتب الطبقات والسير. وتضم هذه المكتبة ٥٧٣ مخطوطاً ، ويوجد بدار الكتب الوطنية فهرس لها .

ز - مكتبة سيدي إبراهيم الجمني (تُوفي ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م) :

تضم مكتبته بعض العشرات من المخطوطات ، باع بعضها أحد أحفاده إلى دار الكتب الوطنية في الثمانينات ، منها :

- الشمائل النبوية للترمذي ، الرقم ٢٦١٤٤ .
- فرائد القلائد في شرح مختصر الشواهد لمحمد بن أحمد العيني ، الرقم ٢١٦٨٥.

ح - مكتبة سيدي أحمد التليلي :

نسبة إلى أحد أصحاب الطرق الصوفية وأشدها نفوذاً بفريانة (من ولاية القصرين) . كان من رجال العلم والفضل ، وكان مؤدباً بالزاوية التي تأوي مقامه . عمل طيلة حياته على جمع الكتب وكان يحرص على المذاكرة والدرس والتلاوة حتى اكتظت الزاوية بالمرتادين . ويذكر القائمون على المخطوطات بدار الكتب الوطنية أنهم كلفوا بالقيام بجرد محتويات هذه المكتبة سنة ١٩٨٦ ، ولاقوا في ذلك صعوبات جمّة من الأهالي . وقد تمكن هذا الفريق من حصر قائمة تضم ٢٥٠ مخطوطاً ، مع ملاحظة أن هذه المخطوطات توجد في حالة إهمال كبير .

تعتبر هذه المجموعة من المخطوطات رافداً هاماً من روافد الحضارة العربية الإسلامية بإفريقية بداية من الدولة الأغلبية إلى أواخر الدولة الحسينية . وقد شكلت هذه المجموعة بتنوعها وثرائها جملة من الموضوعات والفنون التي تعكس مجالات المعرفة وتنوع العلوم . وبالرغم من أن لكل عصر من العصور خصائصه ومميزاته فإنه بالإمكان الإقرار بأن العلوم الدينية (تفسير ، فقه مالكي ، فقه حنفي ، حديث مصطلح الحديث إلخ ...) قد حظيت بالنصيب الأوفر مقارنة بالعلوم الإنسانية (الأدب ، التاريخ ، الطبقات) والعلوم اللغوية (اللغة - النحو - الصرف - البلاغة) والعلوم العقلية (المنطق ، الحكمة ، الفلسفة) . فالعلوم الصحيحة (الحساب ، والجبر ، المقابلة ، الهندسة ، الفلك إلخ ...) ، ويوجد فهرس لهذه المكتبة بدار الكتب الوطنية .

ط- مكتبة الشيخ عز الدين النيفر :

تضم المكتبة ٤٩ مخطوطاً في مواضيع مختلفة . ويبدو أن هذه المكتبة جزء من مكتبة كبيرة ، إذ لاحظنا وجود أرقام قديمة على أقراص ملتصقة بالمخطوطات . وتحمل بعض المخطوطات أرقاماً ثلاثية تتألف (من الآحاد والعشرات والمئات . مثال : ٦٠٧- ٦١٤ إلخ) .

حفظ المخطوطات :

توجد مخطوطات « الدار » داخل مخزن يتألف من رفوف من اللوح ، تتوزّع حسب العرض بقياسات : ١ متر أو ١,٢٠ متر أو ١,٤٠ متر . كما يحتوي على مكيّف هوائي يحافظ على درجة حرارية مستقرة طوال السنة

تتراوح بين ٢٠ و ٢٤ درجة. ويضم رفوفاً من الحديد تحتوي على كل المخطوطات التي تم ترميمها في ورشة التجليد الفني التابعة للدّار، بعد أن عولجت بالوسائل المتاحة.

وبمقتضى الأمر ٢٩٦ المؤرخ في ٧ سبتمبر ١٩٦٧ تم تجميع كافة المخطوطات التي كانت بالمكتبات العمومية والمساجد والزوايا بدار الكتب الوطنية لتتولى المحافظة عليها.

ونتيجة لهذا الأمر تضخم العدد، فبعد أن كان الرصيد القديم الموجود - قبل التاريخ المذكور - لا يتجاوز ٥٠٠٠ مخطوط، تضاعف العدد ليحتل مرتبة عالية، إذا ما قارنّاه بمكتبات القارة الإفريقية. ولا بد أن نذكر المكتبتين الأحمدية والعبدلية اللتين تضمان وحدهما نصف الرصيد الحالي.

على أن المسألة لم تقف عند حدود الرصيد الذي كان موجوداً قبل أمر التجميع الصادر سنة ١٩٦٧ أو بعده، بل تجاوزت القاعدة هذا المعطى، لتنضاف إليها سمتان بارزتان كانتا وراء هذا العدد، وهما:

- ما جاء عن طريق الهبة مثل ما هو الشأن بالنسبة إلى حسن حسني عبد الوهاب الذي أهدى في حياته، مكتبته التي تتألف من ١٠٠٠ مخطوط.

- ما جاء عن طريق الشراء (من خلال الميزانية التي رصدتها الدولة لهذا الغرض).

وقد ساعدت المحافظة داخل مخزن المخطوطات على درجة حرارية مستقرة

طوال السنة ، على القضاء على أنواع عديدة من الحشرات التي كانت موجودة .

ومعلوم أن مناخ البحر المتوسط يتأرجح بين الرطوبة حيناً والجفاف حيناً آخر ، مما يجعل هذه الحشرات سريعة التأقلم والتكيف مع المستجدات الطبيعية . ولقد حاولنا مراراً الاستعانة بالخبرات الوطنية (معهد باستور) لإعانتنا في تركيب بعض المبيدات ، إلّا أن الاستجابة لم تكن مشجعة ، رغم المساعي التي قامت بها الدار ، وإرسالها لعينات من هذه الحشرات . والأمل يحدونا في إعانة مركز البحوث بالمعهد المذكور ، حتى يقع القضاء نهائياً على النوع الوحيد المرئي المتبقى الذي مازال عالقاً ببعض المخطوطات ويسمى علمياً **Poisson d'argent** (وهي حشرة فضية اللون تتغذى أساساً من تركيبة اللصاق الموجودة بظهر الوثيقة) .

وتتم عملية رش المبيدات عن طريق البخّاخات المتوفرة ، وذلك باستعمالها في فصل الربيع من كل سنة (شهر أفريل) حين تكون درجة الحرارة داخل المخزن وخارجه متكافئة (بين ٢٠ و ٢٤) .

كذلك يقع التنسيق مع المصالح البلدية مرة كل سنة لرش المبيدات داخل المخزن .

أما الطريقة المتداولة في معالجة المخطوطات فتتمثل في استعمال مادة « النفتالين » التي بينت التجربة نجاعتها في القضاء على الحشرات الطفيلية وخاصة ما يسمى بـ« **Poisson d'argent** » .

ويذكر أن المدرستين الروسية والصينية تستعملان إلى اليوم هذا النوع التقليدي من المبيدات .

* * *

مكتبة القيروان العتيقة وسبل صيانتها

د. مراد الرماح*

عُرفت القيروان بإشعاع حضارتها، وانتشار معارفها وعلومها، وإسهام رجالاتها وفقهائها. فقد استطاعت أن تشكل طوال أربعة قرون متتالية مدرسة متعددة الخصائص، أبقت على ذكرها خالداً، وحافظت على مجدها شامخاً، وكانت المدنية آنذاك سوقاً للمعرفة وقطباً ثقافياً بارزا. وتأسس بها، منذ أواخر القرن الثالث الهجرى، بيت للحكمة محاكياً لمثيله ببغداد في التبحّر في مجالات العلوم الطبيّة والفلكيّة والهندسيّة والترجمة، فركّز مقوّمات النهضة الفكريّة والعلميّة بالبلاد، وقامت مدرسة طبيّة متميّزة ترعرعت على يدي إسحاق بن عمران، وبلغت نضجها على يدي أحمد بن الجزّار الذي ترجمت مؤلفّاته إلى اللاتينيّة. وقد نقل قسطنطين الإفريقي المتوفى سنة ١٠٨٧ العديد منها إلى مدرسة سالرنو الطبيّة بأن ترجمها وأعاد صياغتها فكانت أعماله بداية لأول حركات نقل العلوم العربية إلى أوروبا. واشتهرت القيروان إلى جانب ذلك بأدبائها وشعرائها ونقّادها. وتميّز من الشعراء ابن هانيء بشعره الناضج والمتجبّر، والحُصْرِي، وابن شرف اللذان كانا لهما شرف تمثيل أدب الهجرة واللّوعة إلى الأوطان الذي تأثر به شعراء الأندلس فيما بعد.

وواكب ذلك حركة نقدّية نشيطة، فاشتهر النهشلي بممتعه، وابن رشيق

* مدير المخبر الوطني بمتحف رقادة (تونس) .

بعمدته ، الذي يقول ابن خَلْدون في شأنه : « هو الكتاب الذي انفرد في صناعة الشعر وأعطاها حقها ، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله » .

ولعل من أبرز إسهامات القيروان في الحضارة العربيّة المغربيّة دورها الديني والروحي في ترسيخ العقيدة الإسلامية بالمغرب الإسلامي . وكان السبق في ذلك للفقهاء العشرة الذين بعث بهم الخليفة عمر بن عبد العزيز لتفقيه أبناء إفريقية ، ومساعدتهم على فهم مناسك دينهم ، فتعدّدت المكاتيب والحلق ، وانتشرت المعارف الدينيّة . ولمّا آل الأمر إلى الأغالبه ظهرت طبقة يمتاز رجالها بالعكوف على أقوال الأئمّة المجتهدين في التشريع ، يجمعون شتاتها ، ويؤلّفون بين موضوعاتها ، ويبوّبون مسائل الفقه ، وينسقون أحكامها .

ثم انبرت القيروان بعد ما أنضجته الاختلافات المذهبيّة من مناظرات وتيارات دينيّة إلى المالكيّة . وإن نشأ هذا المذهب بالمدينة فقد كان للقيروانيين شرف تدوينه على يد أسد بن الفُرَات ، ثم سحنون بن سعيد (٢٣٤هـ) المؤسس الأول لمدرسة الفقه المالكي بإفريقية ، وأبرز علم في المعرفة الدينيّة بالمغرب الإسلامي قاطبة . وقد واصل تلاميذه إنضاج هذا المذهب بالتبحّر في أبوابه ، وتفسير أقوال من تقدّم فيه ، وإيضاح آرائهم ، ومحاولة تعميم مشاربه ، ليكون مستوفياً لحاجة المجتمع ومعبرًا عن مآربه ، فكانت مؤلفات محمدّ بن سحنون في « البيوع » ويحيى بن عمر (٢٨٩ هـ) في « أحكام السوق » ومحمدّ بن عبدوس (٢٦٠هـ) في « تفاسيره » . ورغم الاضطهاد الذي تعرّض إليه أعلام المالكيّة على يد الشيعة فإنّهم استطاعوا ترسيخ المجتمع الإفريقي خلال العهد الفاطمي في انتماءاته السنيّة ، واستيفاء مقوّمات المذهب وتنويع فروعه . ومن أبرز شخصيّات

هذا الطور عبد الله بن أبي زيد القيرواني (٣٨٦ هـ) صاحب «الرسالة» و«النوادر والزيادات» على المدوّنة، وأبو الحسن القابسي (٤٠٣ هـ) وأبو عمران الفاسي.

وبذلك يعود الفضل إلى القيروان في إنضاج الفكر المالكي ونشره في كامل بلاد المغرب، فكان أحد مقوّمات وحدة الديار والمصير، وحامياً للمجتمع المغربي من آفات التناحر المذهبي.

مآثر «المكتبة»

لقد حافظت القيروان على بعض بقايا هذا التراث الفكري وعلى ذكر علمائها، من خلال الدفاتر والأوراق التي كتبوها بأيديهم أو كلفوا غيرهم بكتابتها، والتي كانت جزءاً من مستندات التعليم بالقيروان. وقد حفظت هذه الدفاتر والأوراق في الجامع الكبير، وما زالت أجزاء كاملة منها موجودة إلى الآن. ودوّنت هذه الوثائق في الفترة ما بين القرنين التاسع الميلادي والثالث عشر خاصة، وهي تشتمل على معلومات حضاريّة فريدة ترتبط خاصة بفنون الكتابة والتسفير (التجليد) والمقابَلة والقراءات والأسانيد.

وتتميّز مكتبة القيروان العتيقة بأن الجزء الأوفر منها قد كتب على الرّق. وتعتبر مجموعة الرقوق القيروانية أشهر وأكبر المجموعات المتبقية في العالم العربي الإسلامي. وهي تتكون من ثلاثة أقسام متكاملة، هي قسم الوثائق والرسوم، وقسم الكتب والأصول الفقهيّة التي يرجع تاريخ أقدمها إلى سنة (٢٣١ هـ)، ثم قسم المصاحف الباذخة والأنيقة المكتوبة على الرّق، والتي يفوق عدد أوراقها

تسعاً وثلاثين ألف ورقة .

وإنه من حسن الطالع أن ظلّت مخطوطات القيروان محفوظة إلى الآن ، في حين أن كل المكتبات القديمة التي تحدثت المصادر عنها حرقت أو نهبت ، أو تفرقت كتبها وضاعت . وتمثل مخطوطات مكتبة القيروان مادة قيّمة وفريدة تيّسر البحث في مجالات هامة من مجالات الحياة الفكريّة والدينيّة لما كانت القيروان عاصمة المغرب الإسلامي . وعلى غرار ما كان متّبعاً في المشرق وُقِفت مخطوطات القيروان على طلبة العلم ابتغاء وجه اللّه ورضوانه كما هو مدون على العديد منها . ويقع التنصيص كذلك على اسم الواهب وتاريخ تحبيسه وربما ظروفه وأسبابه .

وتسمح بعض الكراريس المحفوظة بتتبع تاريخ تداول الكتاب ، وسلسلة الأسانيد في قراءته وسماعه وتعليمه وكيف قوبل بالأصل ، والحلقات التي قرئ فيها ، والعلماء الذين شهدوا ذلك .

وتزخر المكتبة بالمعلومات المتعلقة ببعض الكتب في الحديث والفقه المالكي ، وكيف أمكن تداولها بإفريقية ... وهي تشتمل على أسفار علميّة من أمهات كتب المذهب كالمدونة والمختلطة والواضحة والموازية والعتبيّة . وفيها قطع من جامع عبد اللّٰه بن وهب ، ومن الموطأ رواية سحنون عن ابن القاسم ، وقطعة من الموطأ رواية علي بن زياد التونسي ، وأجزاء عديدة من تفسير يحيى بن سلام ، ومن كتاب « التصاريف » ليحيى الحفيد ، وقطع من النوادر والزيادات ، ومختصر المدونة لعبد اللّٰه بن أبي زيد القيرواني ، وكُرّاس في الرد على الشافعي لابن اللباد (ت٣٣٣هـ) وأدب القاضي والقضاة للهيثم بن سليمان ، وكتاب

« الأمالي » لابن الحداد ، وكتاب أحكام القرآن للجهضمي (ت ٢٨٠ هـ) إلى جانب سفرين من « الأسدية » .

ويشتمل القسم الثاني على عقود تتعلق بالمعاملات بين الناس ، أو بعض التحابيس أو أصدقة ، وهي تزخر بالمعلومات الحضاريّة حول المجتمع القيرواني من أواسط القرن الخامس إلى أوائل القرن الثّالث عشر الهجري .

وكثيرا ما كان العلماء في ذلك الوقت ينسخون بأيديهم النصوص الهامة وهو ما يُمَكِّن من تتبع الخطوط والعلم بأصحابها . وقد ثبت العديد من الكتب تحتوي على خطّ المؤرّخ وكاتب السير المعروف أبي العرب . كما تميّز من بين الخطوط خط الحارث بن مروان الذي عاش في أوائل القرن الخامس الهجري .

إلاّ أن ما يميّز المكتبة هي المصاحف المكتوبة على الرّق ، وهي مجموعة فريدة من نوعها يتراوح عمرها بين القرنين الثالث والسابع الهجريين . ويرجع أقدم مصحف مؤرخ إلى سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م ، وهو يعرف بمصحف فضل ، إلا أننا نكاد نوقن أن هنالك مصاحف أقدم منه يعود أحدها إلى أواخر القرن الثاني الهجري وهو مكتوب بخط حجازي .

ومجموعة رقوق القيروان هي بقايا مفكّكة ومجزّأة لمصاحف كانت محبّسة على جامع القيروان وبعض مساجدها ، ويقدّر عدد الباقي منها بمئة مثال .

ولعلّ أهم بقايا هذه المجموعة وأكثرها دلالة على الصناعات الفنيّة وعلاقتها بالموضع ، هو ذلك المصحف الكبير الحجم الذي أُعد باسم سيّدة رسميّة في البلاط الصنهاجي ، وذات أصول مسيحيّة ، هي فاطمة حاضنة الأمير أبي مناد باديس بن المنصور . وأشرفت على تمويله ومتابعة العمل فيه كاتبتها درة ، وتولى

صناعته أحمد بن علي الوراق . وإذا كنا نعرف أن صناعة الكتاب تقوم على جملة من الاختصاصات والاختصاصيين كالمذهب والمزوق والخطاط والمجلد الذي يعمل كل منهم في حدود معرفته ويستكمل الثاني مهمته في الكتاب نفسه ، فإن هذا الوراق القيرواني الذي أنجز عمله الكبير سنة ٤١٠ هـ (١٠٢٠م) قد شكل النص ورسمه وذهبه وجلده ، وهو عمل جدّ مهم على المستوى الفني ، خاصة أنه كتب هذا العمل الضخم بخط مولد من الخط الكوفي ، عرفنا اسمه لأول مرة محدداً ضمن السجل القديم الذى نشير إليه . وخاصيّة هذا الخط أنه مكتوب بقلم عريض القَطّة ، يوضع في هيئة ثابتة بحيث تتحرك اليد لترسم هيئة الحرف بدون أن تتغيّر زاوية القلم ، وبذلك تصبح أجزاء الحروف الواقعة فوق السطر غليظة هندسيّة الهيئة ، وما تحته دقيقاً ، بدون أن يخل ذلك بالجماليّة والتناسب .

ومن مآثر مكتبة القيروان العتيقة المصحف المكتوب على الرّق الأزرق بخط كوفي مذهب وجميل . وتبينّ الأبحاث الأوليّة أن الكتابة المذهبة قد أثبتت بفضل بياض البيض الذي استعمل كمادة ملصقة ، ثم أحيطت جوانب الحروف باللّون البني لإبرازها وتحديدها . وقد صبغ المصحف بالنيل المستجلب من التجارة الهنديّة التي ازدهرت بداية من القرن الرّابع الهجري خاصة . والمصحف الأزرق بالقيروان هو مثال فريد من نوعه في العالم ، ومختلف الأوراق موزّعة في متاحف الأصقاع والتي تعود جميعها إلى أصل واحد كما يتّضح ذلك من خلال مقاساتها وأبعادها وخطوطها وزخرفتها ومساطرها وموادها .

وحافظت مكتبة القيروان العتيقة كذلك على مصحف مكتوب بماء الذهب

مسطرته ٥ ومقاساته ٢١ × ١٥، وهو يتميز بخطه الكوفي ومنمنماته الرقيقة والمزخرفة بأشكال هندسيّة بديعة.

كما توجد من بين هذه المجموعة مصاحف أميرية متميزة قد حبستها العائلة الصنهاجية على جامع القيروان، منها مصحف المعز بن باديس، وقد ضمّنه موقفه من الفاطميين بعد إعلان العصيان، ومصحف أم ملال عمة المعز، ومصحف أم العلو أخته، ومصحف حاضنة أبي مناد باديس المذكور.

إن مجموعة المصاحف القيروانيّة تسمح بتتبع فنون الكتابة والصناعة والتذهيب والتجليد على امتداد خمسة قرون. وهي تمكن من التعرف على تطور الكتابة بالخط الكوفي، إلى جانب القراءات التي كانت سائدة بإفريقيّة خلال تلك الحقبة الزمنيّة.

وتحتوي هذه المكتبة كذلك على مجموعة من المخطوطات المتأخرة نسبيّا والتي كتبت فيما بين القرن الخامس عشر وأواخر القرن التاسع عشر الميلادي وهي تشتمل خاصة على مصاحف مكتوبة على الورق كتبت في الفقه والأصول والنحو والبلاغة. وقد كان أغلبها مُحَبَّساً على جامع القيروان، والمدرسة الصحابيّة، والمدرسة الغريانيّة، وتبرعت بالجزء الأوفر منها بعض العائلات القيروانيّة العلميّة كآل بوراس، وآل صدام، وآل عظوم. ويبلغ مجموعها ما يربو على ٢٠٠٠ مخطوط.

إن تكامل مجموعة مكتبات القيروان يجعلنا مؤهلين لإقامة متحف للكتاب العربي الإسلامي، حيث إننا نملك نماذج تمتد إلى ألف سنة.

تاريخها :

يظل تأريخ نشأة مكتبة الجامع الأعظم بالقيروان غير محدد بالنسبة إلينا ، لانعدام الوثائق والنصوص المبيّنة لذلك . ولا يمكن اعتماد وجود سماعٍ على أحد أسفارها مؤرّخٍ سنة ٢٣١ هـ لضبط هذا الأمر . ولا يستبعد أن تواكب مكتبة الجامع الأعظم بالقيروان تطور المدينة ونمو الحركة العلميّة بها . وربما وافق ذلك أواخر القرن الثاني للهجرة ، لتبلغ مكتبة القيروان العتيقة أوجها خلال العهدين الأغلبي والصنهاجي . وقد سَلِمَت هذه المكتبة بأعجوبة من غوائل الزمن خاصة بعد الزحفة الهلاليّة التي خربّت القيروان ، فهجرها أهلها واندرس رسم عمرانها ، وبقيت هذه المجموعة كشاهد على مجدها التليد وازدهار العلوم فيها . وظل معظمها محفوظاً بجامع القيروان ، وربّما أضيفت له بعض الكتب والمصاحف التي كانت توجد في مساجد بأطراف المدينة قد خربت بعد نكبتها .

وكانت هذه المكتبة تعرف في السجلات القديمة منذ سبعة قرون بـ « بيت الكتب » حيث مقصورة الجامع . وقد دخل هذا البيت الرحالة العبدري في سنة ٦٨٨ هـ فذكرها بقوله : « ودخلنا به (أي الجامع) بيت الكتب فأُخرجت لنا مصاحف كثيرة بخط مشرقي ، ومنها ما كتب كله بالذهب ، ومنها كتب محبسة قديمة التاريخ من عهد سحنون وقبله منها موطأ ابن القاسم وغيره . ورأيت بها مصحفاً كاملاً مضموماً بين لوحين مجلدين غير منقوط ، ولا مشكول ، وخطه مشرقي بيّن جداً مليح طوله شبران ونصف في عرض شبر ونصف . وذكروا أنه الذي بعثه عثمان رضي اللّه عنه إلى المغرب ، وأنه بخط عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما » .

وقد سمحت الأقدار ببقاء كشف يحصي كتب هذه المكتبة ومصاحفها. وهذا الكشف مكتوب على الرّق بالخط القيرواني مؤرخ بسنة ٦٩٣ هـ، في إحدى عشرة صفحة، منها الصفحتان الثانية والثالثة من ضمن ما ضاع وتلف من المكتبة في العصور المتأخرة. وقد تولّى الأستاذ إبراهيم شَبُّوح نشر تحقيق له، يشتمل على تفصيل البيانات عن كل مجموعة، وأسماء خطوطها، ووصف ألوانها وجلودها والربعات الخشبيّة المبطنة بالجلد والحرير والتي كانت تحفظ فيها[١].

ومما عثر عليه في أوراق المكتبة، وثيقة ثانية في ورقة واحدة مكتوبة بخط مغربي، ولكن لا تزال فيه بقايا من الخط القيرواني المشرقي، في إحصاء ما في المكتبة من المصاحف. وهذه الوثيقة مؤرخة في سنة ٨٠٩ هـ وبمقارنة ما اشتملت عليه هذه الوثيقة بما في الوثيقة الأولى المورّخة في سنة ٦٩٣ هـ، ظهر أن ما ضاع وتلف من المصاحف شئ كثير.

وفي سنة ١٨٩٦ م زار محمد بيرم بك القيروان، ودخل جامعها، وعاين بقايا كتب هذه المكتبة العتيقة، فوصفها في محاضرة له ألقاها في الجمعيّة الجغرافية المصريّة، ونشرتها مجلة المقتطف في عدد شهر أفريل ١٨٩٧م، فذكر مصاحفها، وأسفاراً عاينها مربوطة بالأمراس، أوراقها متداخلة في بعضها، وعليها من نسيج العنكبوت والغبار ما شاء اللّه. وحين حُلّت له تلك الأمراس، رأى أوراقاً من المصاحف مدهشة، لم يَسبق له أن رأى لها نظيرا في مكتبات

(١) إبراهيم شبوح، سجل قديم لمكتبة جامع القيروان، القاهرة ١٩٥٧ .

العالم الإسلامي ومتاحفه . وتألّم لما شاهده من إهمال هذه الآثار النفيسة . وأفاد أن والده بيرم الخامس كان قد حدّثه عنها ، وكان عازما على تنظيمها وحفظها[1] .

لذلك اهتمت سلطة الحماية بمكتبة القيروان العتيقة ، فقام كاتب الحكومة العام M.ROY بتأليف لجنة لتنظيمها ، وجمع الأوراق إلى نظائرها ، وصُنعت لها محافظ بحجم كل مصحف طولاً وعرضاً وكمّا .

واتخذت إدارة الأوقاف في المدة اللاحقة عدداً من الإجراءات لتحسين ظروف حفظ المخطوطات وترتيبها ترتيباً جديداً ، وتولى الشيخ محمد طراد إنجاز فهرس أولي لها سنة ١٩٣٣. وقد ضاع أصل هذا الفهرس وبقيت صورة منه محفوظة بدار الكتب المصريّة بالقاهرة ، وأحضر الأستاذ إبراهيم شبُّوح صورة عنه ، سلمها لأبنائه .

وقد عهدت جمعيّة الأوقاف الحافظة للمجموعة ، بأمانتها إلى الشيخ محمود بن جريو ، وبعد وفاته تسلمها السيد عثمان جراد .

وفي حوالي سنة ١٩٤٩ خصصت جمعيّة الأوقاف اعتماداً لتصوير بعض المحتويات من الكتب والوثائق ، بإشراف محمد البهلي النيال ، ومباشرة المصور مصطفى بوشوشة .

وبعد الاستقلال وحلِّ الأحباس ، نشط معهد الآثار ، برئاسة ح . ح .

(١) البهلي النيال ، المكتبة العتيقة بجامع عقبة بالقيروان . مقالة صدرت بمجلة الندوة ، السنة الأولى ، العدد الأول ، جانفي ١٩٥٣ .

عبد الوهاب ، فألحَق مجموعة جامع القيروان ، ومحافظها السيد عثمان جراد ، بالمعهد . وبدأ في تكوين المتاحف الصغيرة الإسلاميّة ، فأخرج من القيروان كميات من الأوراق النفيسة لتكوين متحف دار حسين ، والقيروان ، وصفاقس ، والمنستير ، وإثراء متحف باردو ، بدون أن يكون هناك ضبط لما أخرج منها ، وما تحتوي عليه هذه المتاحف .

وفي سبتمبر ١٩٦٧ صدر الأمر عدد ٢٩٦ الخاص بتجميع المخطوطات بدار الكتب الوطنية بتونس . وقد فُسّر الأمر خطأ ، إذ كان بالإمكان إلحاق المجموعات المخطوطة إداريّا بدار الكتب الوطنية ، مع إبقائها في مواقعها ، تأكيدا للخصوصيات الثقافية للجهات ، وحفظا للمجموعات في مناخها الأصلي التي تلاءمت معه ، ونشر المختصين في شؤون الفهرسة والضبط لتسجيلها والتعريف بها .

وقد كلف مدير الدار وقتها السيد حمادي الزرقي شخصاً منتدبا للعمل - كان يعمل في سلك « الحلفاء » ، وأبعد بعد الحرب - هو السيد محمد العنابي ، فأقام بالقيروان فترة ، صحبة راقن من الجهة ، وصنع لها ثَبَتاً ، يذكر فيه المصاحف بعبارة : « مصحف على الرق ناقص الأول والآخر » !

ثم نقلها في عربة شحن إلى تونس ، وتفردّ بالعمل فيها وحده ، بطريقة لم تكن واضحة المنهج . وعندما فارق الإدارة ، تداول على قسم المخطوطات بعده السيد عبد الحفيظ منصور ، والسيد جمال حمادة الذي مكن منها القراء فيما بعد .

وعندما أعيد الأستاذ الشاذلي القليبي إلى الوزارة ، كلّف لجنة لمراجعة

أحوالها إثر انتشار بعض الشائعات ، تتكون من السادة : رشيد بن أحمد (مدير الإدارة المركزيّة) ، إبراهيم شبوح ، سعد غراب ، عبد الحفيظ منصور ، جمال حمادة . وبدأت هذه اللجنة تجمع ملاحظاتها ، وتضبط عدد أوراق الكتب والمصاحف ومقاساتها وعدد سطور كلّ واحد منها للتوثيق .

أثناء هذا العمل أبدل وزير الثقافة بالسيد محمد اليعلاوي الذي أعاد فتح المجموعة للقراء ، وأقنعه أحد مستشاريه بأنه لا يوجد ريبة في الأمر ، فطويت الصفحة .

وفي ١٢ سبتمبر ١٩٨٢ صدر الأمر عدد ١٢٥٠ بإعادة مجموعة القيروان إلى موقعها ، وتكونت لجنة لضبطها وتسجيلها تتكوّن من :

عثمان جراد ، الباجي بن مامي ، مراد الرماح ، جمال حمادة ، عبد الحفيظ اليحياوي ، حميدة بن صميدة .

ونقلت إلى القيروان أوائل سنة ١٩٨٣ ، حيث أودعت في متحف رقادة . وبعد عرضها والتعريف بها في السنة نفسها ، بدأت مساعي مدير مركز دراسة الحضارة والفنون الإسلاميّة ، الأستاذ إبراهيم شَبُّوح ، لصيانة المجموعة . وأمكن منذ سنة ١٩٨٥ إقامة نواة لمخبر متطور للترميم والصيانة بالتعاون مع جامعة قوتنقن بألمانيا . وقد توجت جميع هذه المراحل بإصدار أمر رئاسي بإقامة المخبر الوطني لترميم المخطوطات وصيانتها برقادة وذلك خلال شهر ماي ١٩٩٥ .

وقد هَيَّأت هذه المعطيات الظروف للقيام بتجربة فريدة ، قوامها أن التراث المخطوط بحاجة إلى نظرة متطورة لمفهوم الصيانة ، تقوم على أساس أن النص هو المادة التي تَعني الباحثين ، أما الجانب المادي للكتاب ، وما يمثله من فنون ، فهو

وثيقة حضاريّة ينبغي أن تعامل حسب قواعد أخرى . فالمخطوط لا يقتصر على نص مهم يقرأ ، وإنما هو شاهد فنّي على عصره ، بدءا بمواد صناعة الكتاب من رق أو ورق أو بردي ، وتجليد وزخرفةٍ وخطٍّ وحبرٍ ونصٍّ .

إن علاقة الباحث يجب أن تكون بالنص المكتوب الذي يمكن استخراجه بالصورة ، وعزل المخطوط عن التداول ، على أن تُعرض نماذج فنيّة رائعة للعين البصيرة ، عسى أن يستمتع بجماليتها الفنية . وهذه النظرة توافق ما قررّه مؤتمر الآثار التاسع بصنعاء سنة ١٩٨١ حول الكتاب المخطوط . وقد بدأ الإعداد لتحقيق ذلك وتهيئة وسائله وأسبابه .

سبل صيانتها :

لقد استلزمت خطة صيانة المخطوطات وتسجيلها وتصويرها إقامة ثلاثة مخابر أو أقسام :

أ - مخبر التصوير والميكروفيلم .

ب - مخبر الترميم والصيانة والتجليد .

ج - قسم الفهرسة والنشر

أ - مخبر التصوير والميكروفيلم :

تتمثل مهمّة هذا المخبر في أخذ صور لأهم النماذج وأجملها ، وبداية عمل تسجيلي على الميكروفيلم لكامل المجموعة ، بنية ضبط المصاحف المكتوبة على الرقوق واستنساخها ، وكذلك الكتب العلمية ، لتكون في متناول الباحثين . وقد

شملت عمليّة المسح، بعد ست سنوات من العمل، رُبْع المجموعة . ونأمل أن يتحسّن العطاء حتى يتم تصوير كامل المجموعة في خَمْس السنوات القادمة . وقد تلقى المركز من المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم - في نطاق مساعدة نداء صيانة مدينة القيروان - جميع آلات التصوير اللازمة من فرنسا . كما أن آلة الميكروفيلم قد تم اقتناؤها في نطاق برنامج التعاون التونسي الألماني .

ب - مخبر ترميم المخطوطات والرقوق :

أما في مجال الصيانة فقد تم تركيز المشروع في نطاق اتفاقيّة للتعاون أبرمت بين الحكومتين الألمانية والتونسيّة سنة ١٩٨٥، وذلك اقتداء بالمشروع الألماني اليمني المقام في صنعاء سنة ١٩٧٧. وقد تم التنسيق في ذلك مع مكتبة قوتنقن التي عيّنت الأستاذ غونتر برانال Gunter Brannahl لمعاينة المجموعة، والتعرف على مشاكلها، وتكوين فريق من المرممين التونسيين، وتأطيرهم، وتركيز الآلات والأجهزة اللازمة . وبعد وفاة الأستاذ برانال كلفت السيدة كتزر Ketzer بمتابعة العملية . وقد انطلق المشروع بتدريب ٤ من المرممين التونسين في مكتبة قوتنقن، تمرسوا بمشاكل مخطوطات المجموعات، بعد التعرف على أمراض الرقوق والجلود وسبل معالجتها وتتمثل أهمها فيما يلي :

- تقلص الرق بمفعول الرطوبة وإفرازه مادة لزجة Gelatineuse ينتج عنها استرخاء الرق وتغيير لونه نحو البني، ثم يبدأ في التفتت والتقلص والتلاشي .
- تأثير حوامض الأحبار في الرق مما يسبب تآكل الكتابة .
- تكمش الرقوق وفقدانها لطلاقتها .

- تيبس التسافير (الأغلفة) الجلدية وميلانها إلى اللون الأسود.
- تأكسد الزخارف الفضية بمفعول الرطوبة.

أما فيما يتعلق بالورق فإن أمراضه لا تختلف عما هو متعارف عليه نتيجة مفعول الحشرات والبكتريات والأحبار.

وخلال فترة التدريب هذه التي تواصلت ستة أشهر بالنسبة لكل نفر، تم تركيز خمس وحدات:

وحدة التنظيف، وحدة ترميم الرقوق وصيانتها، وحدة ترميم الورق وصيانته، وحدة التجليد، مخبر التحاليل.

وقد تولت جمعية صيانة مدينة القيروان، بالتعاون مع المعهد الوطني للتراث، بناء الورشات اللازمة، وهي تغطي، إلى جانب البناءات السابقة والمخصصة للمخابر، ما يربو على ٥٠٠ م ٢. وخصص الجانب الألماني اعتمادا قدره ٢٠٠٠٠٠ مارك، صرف ما يربو عن ١٢٠٠٠٠ مارك منه للأجهزة، و٤٠٠٠٠ مارك للمواد، ٤٠٠٠٠ مارك للنقل.

١- وحدة التنظيف:

تمّ تدعيم هذه الورشة بآلة متطورة تمتص الأتربة، وأخرى تعمل بالأشعة تقضي على البكتريات في مدة ١٥ يوما.

وقبل تنظيف المخطوط من الأتربة والحشرات وغيرها، تُصنع له بطاقة فنيّة تحمل مواصفاته، وحالته العامة من تسفير ونوعية الورق والحبر والعوارض البادية عليه.

٢- وحدة ترميم الرقوق وصيانتها:

تم تجهيز هذا المخبر بجهاز من ابتكار الأستاذ برانال الذي توضع فيه ورقة الرق لتبلغ رطوبتها نسبة ١٠٠٪ مما يكسبها الليونة اللازمة لمباشرة ترميمها، ثم تنظف من الأوساخ والمواد العالقة بها، بالماء والكحول، أو تقطع عند الحاجة، مع استبعاد كل المواد الكيمياوية عنها، ثم توضع في آلة ضاغطة بين أوراق لا تتكون من حوامض. وإذا ما تعلق الأمر بنماذج هامة ومتميزة، فإنه يمكن ترميم المتهرئ منها برقٍّ مصنوع على نفس المثال العتيق. ويقع التركيز على ترميم الرقوق خلال فصلي الخريف والشتاء وبداية الربيع، إذ تكون نسبة الرطوبة مناسبة.

وقد أمكن حالياً ترميم أربعة آلاف ورقة، أو قطعة من الرق من مجموع ١٠٠٠٠ ورقة من المصاحف التي تحتاج إلى صيانة. وكذلك تمّ ترميم عدد آخر غير مضبوط من الكتب الفقهية، لا يقل عدد أوراقها عن ٢٠٠٠٠، أي أن العمل على النسق الحالي يتطلب ثلاثين سنة على الأقل.

ويتولى أعوان المخبر صناعة مجموعة من الصناديق لحفظ المصاحف، تعوض الصناديق السابقة التي كانت لا تفي بمقاييس الصيانة من حيث طريقة الحفظ، وضرورة عدم احتواء الورق المقوى على مواد حامضة.

٣ - وحدة ترميم الورق وصيانته:

تشتمل هذه الورشة على جهاز لتصفية الماء من الأملاح والرواسب المعدنية

حمولته ٢٠٠ ل، ويكرر ما يربو على ١١٠ ل في الساعة. ويستطيع تصفية ٩٩٪ من الأملاح، و٩٠ إلى ٩٥٪ من المواد العضوية والجراثيم. وهو يشتمل على أربع مصافٍ، ويرتبط بماجل (صهريج) تبلغ حمولته ٣٦٠٠٠ ل، يسمح بالاستغناء عن ماء الصنبور العمومي عند ضعف الضغط.

ويوضع الورق في حمام من الماء المصفى، حيث ينظف من المواد والحشرات والجراثيم العالقة به. وهناك جهاز خاص لرفع ثقوب الورق بالألياف. ثم يوضع الورق للتجفيف على سلالم خاصة. أما الورق المكتوب بأحبار قابلة للتحلل، فإن ثقوبها تُسدُّ بورق ياباني خاص. وتُعَدُّ هذه الطريقة شديدةَ البُطء، وقد تمكن فنيو المخبر من تطويرها.

٤ - وحدة التجليد:

جهزت ورشة التسفير والجلود بكل ما تحتاج إليه من أجهزة، ومواد، للقيام بصيانة تقليديّة ناجحة، واستخدام جلود خالية من المواد الحامضة. وأمكن تسفير (تجليد) ستين كتاباً من بين نحو ألف تحتاج إلى خمسين عاماً لإتمامها بالنسق الحالي. وقد تم في مرحلة أولى تغليف المخطوطات بالورق المقوى الخالي من الحوامض، انتظاراً للقيام بالتجليد اللازم.

ويحتوي المخبر على جهاز لقياس الحموضة، وعلى مجهر يشتغل بالأشعة الحمراء، وآخر يشتغل بالأشعة ما وراء البنفسجية، ويسمح بأخذ صورة دقيقة للمخطوط محل المعاينة.

أما فيما يتعلق بالمخطوطات، فقد وضعت في مخازن أمكن تتبع نسبة الرطوبة، ودرجة الحرارة بها لمدة طويلة. وتبيَّن أن الرطوبة بالقيروان تتراوح بين ٢٠ و٨٥ في المئة، في حين يتأرجح معدل الحرارة بين ٧ و ٣٥، لتصل ٤٥ درجة في أغسطس، والي درجتين في الشتاء. وقد أمكن تعديل ذلك حسب الفصول، وحسب الأيام الممطرة، أو الجافة، فأمكن المحافظة على نسق طيّب للرطوبة يتراوح بين ٥٥ و ٦٠ في المئة، وقلما يتجاوز ٧٠ في المئة؛ وعلى حرارة تتراوح بين ١٨ و ٢٥ درجة. وهذه المقاييس توافق المقاييس المعتمدة لدى أهل الاختصاص لصيانة المخطوط والمحافظة عليه.

وتعدُّ مسألة تعديل الرطوبة والحرارة بالمخزن من أدق العمليات، لتأثيرها المباشر على المخطوط وانعكاسها على تمدده وبسطه. وتفاديا لذلك فقد تم تجربة وضع المخطوط في صندوقين متلاصقين، للحيلولة دون تعرضه لتغييرات في الحرارة والرطوبة واضحة وشديدة تؤثر على سلامته. وقد أثبتت التجربة أن هذه الطريقة يمكن اعتمادها بالنسبة لمجموعة القيروان في فصل الصيف فقط، حيث إنها تمكّن من تخفيض الحرارة مقدار درجتين، فنلجأ إلى استعمال المكيف بصورة مكثفة، بما فيه من تأثير غير مستحب على المخطوط.

وسعياً لمقاومة جميع أصناف الحشرات والبكتاريات، فإنه يتم تنظيف الرفوف بمداواتها كل ستة أشهر.

إن مشروع صيانة مخطوطات القيروان يتجاوز السنة السابعة من عمره، ورغم ذلك فإنه يُعَدُّ أحد المشاريع الرائدة في مجال صيانة المخطوطات ببلادنا،

الذي حقق نجاحات ثابتة .

ومؤسستنا هي المؤسسة الوحيدة بالمغرب التي نجحت في إقامة مخبر للصيانة على أعلى مستويات هذا الفن . وإن الشباب المتخصص الذي تدرّب بألمانيا يعد من خيرة الفنانين المتمرسين في فنون الكتاب ، بشهادة أهل الاختصاص من الأوروبيين وغيرهم . إلا أن غزارة المادة التراثية تدعونا إلى زيادة الحزم في السعي لانقاذ تراثنا المخطوط من الضياع ، فالفريق الذي تم تكوينه متواضع عددياً ، والمادة المتوفرة يعسر صيانتها خلال جيل . ونقدر الحاجة إلى خمسين سنة على الأقل ، بقطع النظر عن توجه المركز الآن - من الناحية النظرية - لصيانة جميع المخطوطات المتواجدة بالبلاد التونسية ،سواء كانت في مجموعات خاصة ، أوعمومية . وهذا النقص تشكو منه مختلف المراكز العربية الإسلامية المتخصصة في مجال صيانة المخطوطات .

وتدعو الحاجة الآن إلى التوجه نحو الدورات التدريبية مهما كان نفعها وفائدتها محدوداً ، وكذلك الاتجاه نحو التفكير الجدي في إحداث ثلاثة أو أربعة معاهد مختصة في مختلف البلاد الإسلامية تتولى تكوين الشبان تكونا علمياً دقيقاً كل حسب اختصاصه .

ج - الفهرسة والنشر :

لم تحظ المكتبة بالعناية الكافية في مجال الفهرسة والنشر ، نتيجة صعوبة المادة وتداخلها ، كما أن المكتبة تمتاز بقيمتها التراثية التي تفوق قيمتها العلمية .

ومن المؤسف حقاً أن طوال قرن كامل لم ينشر للمكتبة فهرس ما . وقد تصدى مركز دراسة الحضارة والفنون الإسلامية للأمر، وانتدب ثلاثة أساتذة مختصين وزعوا على مجالات ثلاثة : الوثائق والكتب الفقهية القديمة المكتوبة على الرق ، ثم الكتب المخطوطة الحديثة نسبياً . وقد صممت استبانات مناسبة لهذا الغرض . ولم يتواصل عمل هذا الفريق إلا سنتين ، إذ لم نوفق في تجديد إلحاقهم بالمركز ، واكتفينا بأقدمهم وأكثرهم كفاءة وهو الأستاذ الصادق الغرياني الذي سبق أن عمل بدار الكتب الوطنية خلال الخمسينات . واتجهنا لفهرسة هذه المجموعة معتمدين طريقة التفضيل ، وإبراز الأهمية الوثائقية للنسخ الموجودة من حيث الجودة والصحة . وإبراز الجانب الفني المتصل بالتجليد والتنسيق والتحبيس والتملك وجودة الخط ، ليعين ذلك الباحثين في تاريخ الفنون ، وليساعد على التعرف على النماذج الصالحة لتاريخ الورق ، وتحديد مراكز الكتابة وتواريخها ، وغير ذلك من التاريخ الثقافي للبلاد .

ومع ذلك فقد تم فهرسة جميع الوثائق ، و٩٠ في المئة من المكتبة العتيقة ، و١٩٢٠ عنوان من مجموع ٢٣٥٠ عنوان من المكتبات الأخرى . وتتجه النية حالياً لتوقيع اتفاقية مع الهيئة الألمانية للأبحاث ، بالتعاون مع جامعة برلين ، لاستيفاء العمل ونشره .

وعلى الرغم من تفوق الناحية الأثرية في المكتبة ، فإن ذلك لم يمنع من تحقيق بعض نفائسها ، والقيام ببعض الدراسات حولها ، فقد تم تحقيق المخطوطات التالية عن نسخة وحيدة في المكتبة :

العدد	الاسم	المؤلف	المحقق
١	أدب القاضي والقضاء	الهيثم بن سليمان ت ٣١٠هـ	د. فرحات الدشرواوي
٢	الرد على الإمام الشافعي	محمد بن محمد بن اللباد ٣٣٣هـ - ٩٤٤م	د. عبد المجيد بن حمدة
٣	التصاريف	يحيى بن سلام	د. هند شلبي
٤	سجل قديم لمكتبة جامع القيروان		الأستاذ إبراهيم شبوح
٥	موطأ مالك	رواية علي بن زياد ١٨٣هـ - ٨٢٨م	الشيخ محمد الشاذلي النيفر
٦	كتاب المحاربة من الموطأ	عبد الله بن وهب	د.موراني
٧	الجامع في علم القرآن	عبد الله بن وهب	د. موراني

كما نشرت بعض البحوث المتعلقة بالمكتبة ، كبحث حول محتواها ، و د .ميكلوس موراني حول مصادر فقه المالكي ، وحول الماجشون بالاعتماد على الرقوق المحفوظة بالمكتبة .

إن التراث العربي المخطوط هو تراثنا المباشر ، وهو تراث متصل غير منقطع ،

وتعبير عن الذات والهوية الثقافية ، وليس في جملته تعبيراً عن الحقائق الثابتة . فهو «الماضي» بتاريخه وحضارته ومحتواه العقائدي ، وهو جذر «الحاضر» بمنطلقاته وتركيبه الذهني ودفئه الروحي ، وهو باستيعابه للعلم والمبدعات والقيم ، مجال الوعي بحركة الزمان وفعلها ، وما هيئته من تجارب ، لأنه إنجاز إنساني محض .

أن هذا التراث الضخم المكتوب ، يسجل أيضاً قصة التطور الفكري من خلال محتواه ، وهو من هذا الجانب صادق الدلالة في ضبط علاقة الفكر بالظروف الآنية لمجتمعاتنا . فقد تقلب هذا الفكر في مسيرته الطويلة ، بين المتناقضات ، فمن الشفافية والإشراق والدقة والنفاذ ، إلى الانقفال والرهن ، وكل ذلك مرتبط بالمتحولات ؛ من النظم وطبائع الحكم ، ومن مدى إدراك المجتمعات لمقاصد وأهداف المعرفة .

* * *

مجموعات المخطوطات

بالجامعات السعودية

علي علوي علوي بافقيه*

المخطوطات في المكتبات الجامعية :

كان من مظاهر نشاط الحركة الثقافية والفكرية التي أعقبت ظهور الجامعات ، الاهتمام بالتراث اهتماما تمثل في جمع المخطوطات وحفظها وتيسير سبل الاستفادة منها للباحثين من داخل الجامعات وخارجها ، وأول هذه المكتبات هي مكتبة جامعة الملك سعود التي شرعت في بناء مجموعة مخطوطاتها منذ عام ١٣٩٠ هجرية مما دفع بها إلى إنشاء قسم للمخطوطات في عام ١٣٩١هـ . وفي عام ١٣٩٣هـ أنشئ قسم المجموعات الخاصة بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز في جدة ، وقسم المخطوطات في مكتبة جامعة أم القرى التي كانت في ذلك الوقت فرعا لجامعة الملك عبد العزيز ، والأقسام الثلاثة السابقة تعد اليوم وحدات مستقلة ضمن عمادات شؤون المكتبات في الجامعات الثلاث . كما عمدت دار الكتب الوطنية بالرياض إلى إنشاء قسم مستقل للمخطوطات في عام ١٣٩٣م . وأنشئ قسم المخطوطات في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام

---

* هذا البحث جزء من متطلبات درجة علمية ، حصل الباحث بها على درجة الماجستير عام ١٤١١هـ . وكان د. عباس صالح طاشكندى ، قد زكّى البحث وقدّمه لاجتماع الهيئة . وقد حررناه بما يناسب أهداف الاجتماع .

١٣٩٣هـ ، وهو العام الذي أنشئت فيه عمادة شؤون المكتبات بهذه الجامعة .

أما الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، فإن قسم المخطوطات فيها تكوّن في عام ١٣٩٦هـ ضمن عمادة شؤون المكتبات . وفي العام نفسه أنشئ قسم المخطوطات في دارة الملك عبد العزيز بالرياض . وكذلك شرعت جامعة أم القرى التي كانت فرعا لجامعة الملك عبد العزيز في تأسيس مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي الذي يُعنىٰ بجمع المخطوطات وقد غير اسم المركز منذ عام ١٤٠٧هـ إلى معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي . وفي عام ١٣٩٩هـ اقتنت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون مجموعة من المخطوطات أضيفت إلى مكتبتها بالرياض .

والواقع أن ذلك الوضع لا يختلف كثيرا عَمَّا حدث في أوربا منذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، حينما ظهرت الجامعات الحديثة ، فاحتضنت تراث أممها ، فأقامت مكتبات ضخمة ضمت كل ما خلفته الأجيال السابقة من آثار مخطوطة . وظلت مكتبات الجامعات الأوروبية تؤدي هذه الرسالة حتى ظهرت المكتبات الوطنية . فانتقلت مسؤولية الحفاظ على تراث الأمة من المكتبات الجامعية إلى مكتبة واحدة تعتبر أم المكتبات في أي دولة من الدول وهي المكتبة الوطنية . وإذن فالمكتبات الوطنية في دول العالم الغربي هي المسؤولة عن تجميع تراث الأمم وحفظه وتيسيره للباحثين والدارسين ، بل إن بعضها لم يقنع بمجرد التجميع والحفظ والصيانة ، وإنما أضاف إلى ذلك مهمة نشر أمهات كتب هذا التراث نشرا علميا دقيقا . والواقع أن المملكة من بين الدول العربية التي لا توجد بها مكتبة وطنية . ومن هذا المنطق تسعى مكتبات الجامعات إلى خدمة التراث عن طريق القيام بتجميع وحفظ المخطوطات ، والتعريف بها وتحقيقها ونشرها .

وهذا يعني أن المكتبات الجامعية تنهض بما كان ينبغي على المكتبة الوطنية أن تقوم به إزاء تراث الأمة.

مصادر المخطوطات:

يسبق عملية الحصول على المخطوطات الأصلية إجراءات بحث شاقة تستغرق فترات زمنية متباعدة نتيجة قلة ما يعرض منها للبيع وتفاوت ذلك المعروض في جدارته بالاقتناء.

ولا تزال هناك بعض متاجر الكتب القديمة في بلدان عربية مثل المغرب وتونس تعرض مخطوطات للبيع، كما أن شركة **E.J. Brill** التي تعد من شركات النشر والتوزيع الهامة في أوربا تعرض مخطوطات عربية وشرقية للبيع بصفة دائمة. وتوفد المكتبات الجامعية السعودية المهتمة بأمور المخطوطات، وهي الإمام محمد بن سعود، والملك سعود، وأم القرى، والجامعة الإسلامية - مندوبين لها إلى مثل تلك المتاجر، للبحث والشراء.

بالإضافة إلى هذا المصدر فإن بعض الأفراد ممن يتعاملون في بيع المخطوطات من داخل المملكة وخارجها يعرضون ما لديهم على تلك المكتبات لشرائه.

أما الحصول على المخطوطات المصوَّرة، فرغم أن هناك مكتبات تفسح المجال أمام طلبات التصوير للمكتبات الجامعية السعودية، إلا أننا في المقابل نجد مكتبات تمانع في التصوير، إلا إذا كان لأفراد باحثين، كما هو الحال في المكتبات الأوربية، ومكتبات تركيا التي تزخر بالمخطوطات العربية.

ويعدّ التصوير مصدرا هاما لاقتناء هذا النوع من الأوعية، وأكثر الجامعات التي

تركز عليه، جامعة أم القرى من خلال البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي.

مقتنياتها:

أخذت المخطوطات تنمو نموًا تصاعديًا منذ عام ١٣٩٧/٩٦هـ، فقد ارتفع عددها في مكتبات الجامعات[1] من ١٤٥٥٨ مخطوطة في عام ١٣٩٧/٩٦هـ إلى ٤٣٠٣٤ مخطوطة أصلية ومصورة، إضافة إلى حوالي ١٦ ألف مخطوطة مصورة في مكتبة عمادة البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى في عام ١٤٠١/١٤٠٠هـ.

إن أكبر مجموعة من المخطوطات تضمها جامعة أم القرى، حيث وصل عددها إلى حوالى ٢٧٨٨٤ مخطوطة أصلية ومصورة، من بينها ١٦ ألف مخطوطة مصورة في مكتبة عمادة البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، وتأتي بعدها مكتبات جامعات الإمام، والملك سعود، والجامعة الإسلامية، ثم جامعة الملك عبد العزيز.

وتتصدر مكتبة الجامعة الإسلامية مقدمة القائمة حيث وصل عدد مقتنياتها من المخطوطات عام ١٤١٠هـ إلى ٣٤٨٤٧ مخطوطة. وتليها مكتبة جامعة أم القرى حيث تحوي عدد ٢٦٠١٨ مخطوطة، ثم مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعدد ٢١٠٠٠ مخطوطة، ثم مكتبة جامعة الملك سعود بعدد ١٨٥٠٠ مخطوطة، وأخيرا تأتي مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بعدد ٥٣٩٣ مخطوطة.

---

(١) يقصد الجامعات الخمس، وهي: جامعة الملك سعود، والجامعة الإسلامية، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة أم القرى، وجامعة الملك عبد العزيز.

ويتفاوت حجم المقتنيات من المخطوطات في المكتبات عمومًا بين مجموعات قليلة تتراوح ما بين العشرين إلى أقل من الألف مخطوطة ، وأخرى متوسطة تتراوح بين الألف إلى ما دون خمسة آلاف ، وثالثة كبيرة يصل مجموعها إلى أكثر من عشرة آلاف مخطوطة . ولا يحكم حجم المقتنيات قدم المكتبة ، بل نشاطها وتركيزها على تنمية مجموعاتها .

وواضح أن بداية التسعينات الهجرية ، هي الفترة التي شرعت فيها المكتبات الجامعية والبحثية في توجيه الاهتمام إلى جمع المخطوطات وحفظها . ولعدم قيام تنسيق بين الجهات التي كانت تطلب تصوير المخطوطات ، حدث مكررات كثيرة . أما المجالات المعرفية التي تتوزع عليها هذه المخطوطات ، خاصةً الأصلية منها ، فإنها تتركز على علوم الدين الإسلامي بالدرجة الأولى ، ثم اللغة والنحو والصرف ، فالأدب والتاريخ والجغرافيا ، وأخيرا الطب والعلوم .

ولو تتبعنا مقتنيات مكتبات الجامعات من المخطوطات ، لوجدناها تعالج – على وجه الدقة – الموضوعات المتنوعة التالية : القرآن وعلومه (القراءات ، التجويد ، التفسير) ، الحديث وعلومه (مصطلح الحديث) ، التوحيد (العقيدة) ، أصول الفقه ، الفقه ومذاهبه ، علم الفرائض ، التصوف ، الفلسفة والمنطق ، اللغة العربية (النحو ، الصرف ، البلاغة ، العروض) والأدب ، السيرة النبوية ، التراجم ، التاريخ ، علم الحساب ، الكيمياء ، الطب ، الفلك ، الببليوجرافي .

كما أن الموضوعات الدينية كالفقه والعقائد والتفسير والحديث تمثل نسبة كبيرة من تلك المقتنيات ، فهي تشكل على سبيل المثال ٦٣٪ من مجموع

المخطوطات المصوَّرة في عمادة البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القري، بينما تشكل الموضوعات الأخرى، وفي مقدمتها الأدب واللغة والتاريخ ٣٧٪.

إن الفهارس بأغراضها الحديثة كأدوات ضبط ببليوجرافي يراد بها توثيق الأعمال المخطوطة والتعريف بمضامينها، وبمواضع وجودها عن طريق استخلاص عناصر محددة للوصف، لم تظهر في عالمنا العربي إلا في عصر متأخر.

ويمكن التوصل إلى أن كل محاولات الفهرسة، وإن كانت تتفق من حيث الهدف في إصدار الفهارس الوصفية للمخطوطات، إلا أنها قد اتصفت بالتباين والاختلاف من حيث المنهج وعناصر الوصف، ودرجات التحليل بالنسبة لمضمون المخطوطات.

ويُذكر أن فهارس المخطوطات في المملكة لم تدخل مرحلتها الببليوجرافية الكاملة إلا منذ أوائل التسعينات من القرن الرابع عشر الهجري.

وتُعَدُّ مبادرة جامعة الملك عبد العزيز بجدة، عام ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م، في إقامة معمل تدريب عملي لتدريب العاملين بمكتبات الجامعة على فهرسة المخطوطات، بداية انطلاقة جديدة في ميدان الضبط الببليوجرافي للمخطوطات في المملكة.

ومن مؤشرات العناية بالمخطوطات في المملكة قيام قسم المكتبات والمعلومات في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بإيجاد شعبة للمخطوطات يركز فيها على مواد حول المخطوطات لمدة أربعة فصول دراسية، في المستويين الثالث والرابع.

وقد كان دافع الجامعة إلى تلك الخطوة، هو محاولة حصر المخطوطات في مكتبات الحرمين الشريفين، وإنجاز الفهارس الببليوجرافية لها، تمكينا للباحثين للاستفادة منها، وإخراج الأدوات التي تمثل ركائز البحث العلمي، وتوثيق التراث الوطني، وكان من نتيجتها قيام أفراد ممن يعملون في جهات مختلفة، بمسئوليات إعادة فهرسة بعض المجموعات، والإشراف على إصدار فهارس وصفية للمجموعات، هي أقرب ما تكون إلى الفهارس الببليوجرافية الحديثة.

التعاون بين المكتبات:

سبق أن ذكرنا أن مكتبة جامعة الملك سعود كانت أول مكتبة جامعية في المملكة تهتم بإقتناء المخطوطات وتصويرها وحفظها، واستطاعت الحصول على مجموعة من المخطوطات النادرة، من داخل المملكة وخارجها، بأسعار معقولة. وقد ظل قسم المخطوطات بمكتبة جامعة الملك سعود منفردا بالنشاط في مجال المخطوطات حتى بدأت مكتبات الجامعات الأخرى مثل الإمام محمد بن سعود، والملك عبد العزيز، وأم القرى، والجامعة الإسلامية تدخل هذا المجال منذ عام ١٣٩٥هـ، مما أوجد تنافسًا على الاقتناء. وسهل على تجار المخطوطات مهمة المزايدة. وحينما اتجهت مكتبات الجامعات السعودية إلى تصوير المخطوطات من الداخل والخارج، لم يحدث أي تنسيق فيما بينها، فحدث بعض التكرار الذي كان بالإمكان تلافيه، واستكمال النقص في المجموعات، لو أنها حاولت أن توجِد نوعًا من التخطيط والتنسيق فيما بينها.

لقد بات من الضروري أن تتفق الجامعات على التعاون بالعناصر الرئيسية التالية:

١ - التنسيق في مجال تصوير المخطوطات من خارج المملكة.

٢ - التنسيق والتعاون في مجال تصوير المخطوطات في الداخل.

٣ - تبادل المعلومات والفهارس.

٤ - أن تزود كل جامعة الجامعة الأخرى بفهرس مفصل لكل المخطوطات الموجودة لديها، مع إعطائها فرصة لقبول طلبات التصوير نيابة عنها للباحثين، وطلبة الدراسات العليا.

وهناك ميدان آخر ينبغي أن يتمّ التعاون فيه لصالح المخطوطات، وهو ميدان الترميم والصيانة، إذ إن أغلب الجهات التي تملك مخطوطات في المملكة، تعاني من قلة عدد الفنيين المتخصصين في ترميمها. ويمكن اعتماد مركز الملك فيصل في الرياض مركزًا للمملكة للقيام بهذا الدور، نظرًا لتقدم قسم الترميم والصيانة فيه، على أن يتمّ الاتفاق معه على مراحل الصيانة والترميم المختلفة.

* * *

مخطوطات مكتبة الأسد الوطنية بدمشق

د . غسَّان اللَّحَّام*

تم افتتاح مكتبة الأسد الوطنية باعتبارها المكتبة الوطنية لسورية عام ١٩٨٤. وكان أول قرار يتخذ في المكتبة هو نقل جميع المخطوطات المحفوظة في مكتبات الدولة إليها، لأنها مزوَّدة بمستودعات فنية تراعي درجتَي الحرارة والرطوبة الملائمة لحفظ المخطوطات.

وبناءً على هذا القرار تمَّ نقل جميع المخطوطات التي كانت موجودة في المكتبة الظاهرية بدمشق وعددها نحو ١١٠٠٠ مجلد، والمكتبة الوقفية بحلب وكانت نحو خمسة آلاف مجلد، ومديرية الآثار والمتاحف وكانت نحو سبع مئة مجلد، والمراكز الثقافية وكانت أيضًا نحو سبع مئة مجلد. وبلغ مجموع ما نُقل إلى مكتبة الأسد نحو ١٨٠٠٠ مجلد.

ومنذ افتتاح المكتبة حتى الآن ورد إليها مجموعة من المخطوطات، بالشراء أو الإهداء، فكمل ما في المكتبة نحو ٢٠٠٠٠ مجلد، تتضمن نحو ٣٥٠٠٠ عنوان.

فيما يتعلق بصيانة المخطوطات وترميمها، فإن قسم الترميم والتعقيم الموجود في المكتبة يقوم بذلك. والملاحظ أن جميع المخطوطات التي نقلت إلى مكتبة

* مدير عام المكتبة.

الأسد بلا استثناء ، كانت مصابة بالفطريات الورقية ، وكانت تحتاج إلى ترميم .

إن قسم الترميم بالمكتبة يحتوي على ١٦ عنصرًا ، تم تدريبهم على أصول ترميم المخطوطات ، وفقًا للمدارس الروسية والألمانية والفرنسية والتركية ، والهندية ، بمعنى كان لدينا خبراء من هذه الدول تمَّ الاستفادة من خبراتهم في هذا المجال .

وينتج فريق الترميم سنويًّا من ستة آلاف إلى سبعة آلاف ورقة ترميم ، وطبيعي أن يختلف الترميم من ورقة لأخرى ، فهناك درجات صعوبة عالية ، تتدرج إلى صعوبة خفيفة .

ويمنع نظام المكتبة وضع المخطوطات بين أيدي الباحثين . بل نصورها على ميكروفيلم ، وهو الذي يطلع عليه الباحث . ولا يسمح للباحث بالاطلاع على المخطوط الأصلي إلا إذا كان مُحقِّقًا ومعنيًا بتحقيق المخطوط ، فبعد أن ينجز تحقيق النص والدراسة ، نسمح له بالاطلاع على المخطوط لمعرفة نوع الورق وألوان الحبر ، والشكل العام للمخطوط . وأولوية التصوير عندنا تصوير المخطوطات المطلوبة للباحثين أو للتبادل مع المكتبات الأخرى . ونتعامل في المكتبة مع الميكروفيلم والميكروفيش والاستنساخ على الورق ، وفق رغبة الباحث .

وعندما تم نقل المخطوطات إلى مكتبة الأسد وتجمع لديها هذا القدر الضخم من المخطوطات ، لم يكن مفهرس منها إلا نحو خمسة آلاف مجلد صدرت فهارسها عن مكتبة الظاهرية . واستطعنا خلال السنوات المنصرمة فهرسة جميع ما لدينا من مخطوطات وفق منهج موحَّد ، وبدأنا بطبع هذه الفهارس ونشرها ، وصدر منها حتى الآن أربعة أجزاء في علوم القرآن . وقد أدخلنا في المكتبة حديثًا

نظام الحاسوب، وبدأنا في تغذيته بكافة المعلومات عن المخطوطات المحفوظة فيها.

ولدي اقتراح وهو أن يولي هذا الاجتماع عنايته بالمكتبات الخاصة للأفراد، والمحافظة على ملكيتهم إياها، وأن تعتني الدول بصيانتها، وفهرستها ونشر هذه الفهارس. ويمكن أن تَستأذن لتصويرها وحفظ صورها في مكتبات الدول الرسمية. ولدينا في سوريا تجربة ناجحة من هذا القبيل.

والاقتراح الثاني هو الاهتمام بفهرسة المخطوطات لدى المكتبات العربية، وتبادل هذه الفهارس، ليستعين بها الباحثون في الأقطار المختلفة. ويمكن لمعهد المخطوطات العربية أن يصدر فهرسًا عامًّا لما في تلك المكتبات جميعها، بنظام فهرسة موحَّدة، وإدخال معلوماته في نظام حاسوب موحَّد.

والاقتراح الأخير أنه ينبغي على المكتبات العربية أن ترشد الباحثين عند رغبتهم في تحقيق المخطوطات، فيكون لديها دليل يكشف عمَّا حقق منها، وبيان محققيها وطبعاتها والنسخ المخطوطة المعتمدة عليها، لتجنب التكرار وضياع الجهد. ونحن في مكتبة الأسد نقوم بإرشاد المحققين لما حقق من كتب التراث.

* * *

مخطوطات فلسطين

د . حمد أحمد عبد اللّه يوسف*

نعلم أن لبيت المقدس منذ القدم تميزاً إسلامياً، أصبحت من أجله مركز إشعاع حضاري، ثقافي وفكري، ووُجدت فيها مخطوطات كثيرة تناسب هذه القدسية، وهذا النشاط العلمي المرموق.

ولا يخفى أن هذه المخطوطات هي تراث الأمة، نحاول أن نحافظ عليه، ونصونه مما يتعرض له من نهب واستلاب، ونحاول أن نحيي مدارس بيت المقدس الفكرية، الخَرِبة الحزينة.

مخطوطات بيت المقدس:

كان للمسجد الأقصى مكتبة، تعد من أكبر مكتبات فلسطين، تحتوي على المخطوطات النادرة والكتب. وأضيف إليها من المجموعات القيمة:

مكتبة الشيخ محمد الخليلي (من علماء القدس، توفي سنة ١٧٣٤م)، وكانت تحتوي على ما يزيد على سبعة آلاف كتاب، كما ورد في وقفيته، منها نحو ٤٥٠٠ مخطوطة.

---

* عميد مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية ببيت المقدس.

ومكتبة الشيخ خليل الخالدي، المتوفى عام ١٩٤١م. وهو من الرجال القلائل الذين اهتموا بالمخطوطات وجمعها. طاف الوطن العربي بحثاً عن المخطوطات القيمة للاطلاع عليها واقتناء ما استطاع اقتناءه. وقد تبعثرت مكتبته بعد وفاته، وما سلم منها لم يتجاوز ١٥٠ مخطوطة أضيفت سنة ١٩٧٨م إلى مكتبة المسجد الأقصى.

وبعد ضم هذه المكتبة يُفْتَرَض أن تحتوي مكتبة المسجد الأقصى على ما يقارب ٦٠٠٠ مخطوطة، غير أنها لا تحوي الآن إلا على ما يزيد على ألف مخطوطة، وسأفصّل لاحقاً وضع هذه المخطوطات وكيف تسربت وضاعت.

أما مكتبات المخطوطات الأخرى فهي:

- المكتبة الخالدية: وهي غير مكتبة الشيخ الخالدي. تأسست هذه المكتبة سنة ١٩٠٠م بالقدس الشريف، وبلغ عدد كتبها ١٢ ألف كتاب، كما ذكر عارف العارف نقلاً عن نشرة مدير الآثار بحكومة فلسطين سنة ١٩٤٥م، وذلك عن طريق تجميع كتب العائلة الخالدية التي أنجبت الكثير من العلماء. وكان من بين هذه الكتب ما يقارب ٤٠٠٠ مخطوطة. وفي الكشف الذي أُعِدَّ سنة ١٩٧٣م تبين أن عدد كتبها ٦٠٠٠ كتاب مطبوع ومخطوط، منها ١٥٠٠ مخطوطة، والباقي وهو ٤٥٠٠ قد فُقِد.

- المكتبة البديرية: تقع بالقرب من باب الناظر، أحد أبواب المسجد الأقصى. ويرجع الفضل في تأسيسها إلى الشيخ محمد البديري المقدسي، أحد علماء بيت المقدس. وقد سَلِمَ من مخطوطاتها ما يبلغ عدده اليوم نحو ألف مخطوطة.

– مكتبة الشيخ علي بدر الدين الخطيب : تحتوي هذه المكتبة على مئة مخطوطة .

– مكتبة كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة القدس : تحتوي هذه المكتبة على نحو ١١٠ مخطوطة .

– مكتبة كلية العلوم والتكنلوجيا – جامعة القدس : تحتوي هذه المكتبة على ١٨ مخطوطة .

– مكتبة قسم الأبحاث بكلية الآداب – جامعة القدس : تحتوي هذه المكتبة على ٢٠٠ مخطوطة .

أما مكتبات المدن الأخرى فهي :

– مكتبة المسجد الإبراهيمي الشريف – في مدينة الخليل : وتحتوي هذه المكتبة على ٨٦ مخطوطة .

– مكتبة يافا الإسلامية : كانت تحتوي هذه المكتبة على أكثر من ألف مخطوطة ، واليوم لا يوجد لها أثر ، فقد استولت الجامعة العبرية ووزارة الأديان الإسرائيلية على محتوياتها .

– مكتبة الجزَّار – عكا : تحتوي الآن على حوالي ١٠٠ مخطوطة .

– مكتبة جامع الحاج نمر النابلسي – نابلس : تحتوي على حوالي ٧٥ مخطوطة .

– مكتبة مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية : تحتوي هذه المكتبة على ٦٠٠ مخطوطة أصلية ، بالإضافة إلى نحو ٣٥٠٠ مخطوطة مصوَّرة .

هذه هي معظم المكتبات الموجودة في فلسطين والتي اهتمت بتجميع المخطوطات وحفظها ، ولكنها لم تستطع حفظ أكثر من نسبة بسيطة منها ، فمن بين ما يربو على خمسين ألف مخطوطة لم يبق الآن منها إلا ما يقارب ٨٠٠٠، ويعود السبب إلى ما يلي :

(١) إن الحروب التي مرت بها فلسطين بدءاً بالانتداب البريطاني وانتهاءً بالاحتلال الإسرائيلي لأرض فلسطين أتت على كثير من مخطوطاتها ، فكان يرافق القوات العسكرية مجموعة من الخبراء هدفها الاستيلاء على المخطوطات والسجلات والوثائق من المكتبات العامة والخاصة ومن المؤسسات ، مثل ما تعرضت له مكتبة يافا الإسلامية أثناء حرب ١٩٤٨م ، حيث نهبت معظم مخطوطاتها وحولت إلى الجامعة العبرية وجامعة تل أبيب وغيرهما ، وكذلك مخطوطات مكتبة الشيخ محمد الخليل بالقدس التي وجدت أبوابها مكسورة بعد حرب ١٩٦٧م ، وبعد جرد محتوياتها تبين أن الكثير من مخطوطاتها قد نُهب من قبل جيش الاحتلال الإسرائيلي .

(٢) يضاف إلى ذلك نشاط السماسرة والمستعربين من الأوروبيين واليهود الذين نشطوا في شراء المخطوطات . ولم تقم مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية سنة ١٩٨٣م ، في ساحة الحرم القدسي الشريف ، ما بين باب حطة وفيصل ، إلا لحماية هذا التراث ، فقمنا بتصوير ما يقارب ٣٥٠٠ مخطوطة على أشرطة مايكروفيلمية وفوتوكوبي لحفظها للأجيال القادمة . وكذلك باشرنا بتجميع المخطوطات الأصلية ، وكانت حصيلتنا في هذا المجال محدودة لضيق الإمكانات المادية .

حالة المخطوطات :

يمكن القول أن نحو نصف هذه المخطوطات مصابة بمرض العث والأرضة والرطوبة بسبب سوء أوضاع التخزين، والجهل بطرق العناية بالمخطوطات فبعضها محفوظ في مخازن أشبه بالسراديب في الرطوبة ولا تصل لأماكن حفظها الشمس أو الهواء. مع الإشارة إلى أنه لا توجد صيانة أو ترميم لهذه المخطوطات باستثناء مكتبة الخالدي التي تجري صيانة مخطوطاتها في لندن، فضلاً عن فقدان سبل التبخير والتعقيم تماماً.

ولا شك أن قلة الفهارس المطبوعة لهذه المخطوطات تساعد على انتهابها. مع ملاحظة أن معظم مخطوطات فلسطين موجودة في بيت المقدس التي تتعرض في الوقت الحاضر إلى الاحتلال الإسرائيلي.

لقد حاولت في هذه العُجالة أن أشير إلى بعض مشكلات المخطوطات في بلادنا. وهي مشكلات واضحة، تحتاج من المؤسسات العربية والإسلامية الغيورة إلى رعاية ودعم.

* * *

المخطوطات في دار الكتب المصرية

د. محمود فهمي حجازي*

اهتمت الدار منذ إنشائها عام ١٨٧٠م بالمخطوطات . فتجمع لديها منها – خلال ما يزيد على قرن من الزمان – قدر كبير ، يُعَدّ من أهم مقتنياتها ، ومن أكبر المجموعات في الأقطار العربية .

بدأت الدار في جمع مخطوطات المصاحف والمخطوطات المختلفة العربية والفارسية والتركية ، من المساجد والدواوين وخزائن الأوقاف . كما تلقت منذ تأسيسها مجموعات خاصة مهداة كمكتبة مصطفى فاضل ، ومكتبة طلعت ، والخزانة الزكية (أحمد زكي باشا) ، والمكتبة التيمورية (أحمد تيمور باشا) . وبهذا أصبحت الدار أكبر مركز للمخطوطات العربية في مصر ، تتكامل مجموعتها مع مخطوطات مكتبة الأزهر الشريف ، ومكتبة جامعة القاهرة ، ومكتبات الإسكندرية والمنصورة وطنطا ودمياط وسيناء ومدن الصعيد . وتقدر جملتها كلها نحو مئة ألف مجلد ، تجعل لمصر مكانة متميزة في عالَم المخطوطات العربية .

مصاحفها :

وفي طليعة مخطوطات الدار مصاحفها . وهي تكوِّن مجموعة متميزة

---

* رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية .

منها ، كتبت بمختلف الخطوط ، وتوضح تاريخ نظام الشكل والنَّقْط . بعضها كتب بالخط الكوفي على رَقٍّ من القرن الأول إلى الثالث للهجرة . وتقتني الدار مجموعة نفيسة من المصاحف المملوكية ، والعثمانية ، كتبت للسلاطين ، وأُتقنت صنعتها حجمًا وخطًّا وألوانًا وحلية وزخرفة . وهي تدل على تقدم فن النقش في عهد المماليك ، وتقدم فن الخط وتشكيله في العهد العثماني .

نوادرها :

في مقتنيات الدار مخطوطات عربية نادرة ، بعضها يرجع إلى القرن الثالث الهجري ، منها أقدم مخطوط مكتوب على ورق ، هو مخطوط الرسالة للإمام الشافعي ، وهو أول كتاب في علم أصول الفقه . هذا المخطوط بخط تلميذه الربيع بن سليمان (٢٦٥هـ/ ٨٧٨م) .

وتضم مجموعات الدار مخطوطات نادرة ، عليها خطوط أشهر العلماء والمؤلفين ، مثل : البيهقي (المتوفى ٤٥٨هـ/١٠٦٦م) ، والحريري (المتوفى ٥١٦هـ/١١٢٢م) ، والذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ/١٣٣٧م) ، والعَيْني (المتوفى ٨٥٥هـ/١٤٥١م) .

وتضم الدار نوادر بخطوط أشهر الخطاطين ، مثل : ياقوت المستعصمي (المتوفى ٦٨٩هـ/١٢٩٩م) ، وروح الله اللاهوري ، وعبد الرحمن بن الصائغ .

وتضم مخطوطات تمثل تراث العربية في المغرب والأندلس ، منها مخطوط كتاب الأمالي لأبي علي القالي (٣٥٦هـ) ، والمخطوط من سنة ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م .

وبعض نوادر المخطوطات العربية بالدار ذات قيمة عالية في تاريخ الفنون الإسلامية، لأنها مزينة بالصور التوضيحية، من بينها: كتاب العين لحنين بن إسحاق (المتوفى ٢٦٠هـ/٨٧٣م)، فى الطب، ومسالك الممالك للإصطخري، في الجغرافيا، ونزهة المشتاق للإدريسي (المتوفى ٥٦٠هـ/١١٦٥م)، فى الجغرافيا، والبيطرة لابن الأحنف، فى طب الخيول، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (المتوفى ٣٥٦هـ/٩٦٧م)، في الأدب.

البرديات العربية:

تُعَدُّ مجموعة أوراق البردي من أهم المجموعات البردية في العالم، عثر عليها بكوم أشقوة، وتوضح كيف تطورت الكتابة بمصر في القرون الأربعة الأولى للهجرة، من اليونانية فقط إلى العربية واليونانية معا، ثم إلى العربية فقط، وكيف كانت حال مصر الاجتماعية من حيث علاقة الولاة بالخلفاء وعلاقة الرعية بعضهم ببعض من شراء وزواج وعتق:

أقدم هذه الوثائق يرجع إلى سنة ٨٧هـ/٧٠٦م، وأحدثها يعود إلى منتصف القرن الرابع الهجري. ونجد بينها كتاب «الجامع» في الحديث لعبد اللّٰه بن وهب وقد كتب في أوائل القرن الثالث للهجرة / أوائل القرن التاسع الميلادي، وهذا هو الكتاب العربي الوحيد المكتوب كله علي البردي، وقد عثر عليه في مدينة إدفو بأسوان.

الفهارس :

كان للدار جهود في فهرسة قدر كبير مما اقتنته من مخطوطات ، ومن أهم الفهارس التي أصدرتها :

- فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانه الخديوية (الفهرس القديم) .

- فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار ، في ٩ أجزاء ، منها ٨ تذكر المخطوطات مع المطبوعات .

- فهرس المخطوطات ، نشرة بالمخطوطات التي اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦- ١٩٥٥، في ثلاثة مجلدات .

- فهرس الفلك والميقات .

هذا غير ما صدر من فهارس للمخطوطات الفارسية .

وهناك فهارس متعددة الأهداف أعدت للمكتبات الخاصة المهداة ، أو لمؤلفات شخصيات محددة مثل نور الدين الجامي ، وابن سينا ، أو لمجموعات صوّرت من جهات أخرى وأودعت مصوراتها بالدار . وقد تعددت هذه الفهارس ، وتنوعت طرائق إعدادها . ويتم حاليا عمل الفهرس الشامل لكل مقتنياتها من المخطوطات ، ليستوعب كل المخطوطات مسجلة على الحاسوب .

تحقيق التراث :

كان للدار منذ سنة ١٩١٤ دور رائد في تحقيق التراث العربي . ويُعَدُّ

الكتاب الموسوعي صبح الأعشى للقلقشندي من أهم البدايات القوية لهذا العمل ، ثم قام القسم الأدبي بعمل كبير في تحقيق عدد كبير من أمهات الكتب العربية . ونشأ مركز تحقيق التراث ليكتمل العمل في هذا المجال ، وليقوم بتكوين أجيال جديدة من المحققين لتراثنا بأدق المناهج العلمية . وتنظم الدار دورات تدريبية في تحقيق التراث العربي يشترك فيها الجيل الجديد من الدار ، ومن المعيدين والمدرسين المساعدين بالجامعات ، ويحاضر فيها أعلام المحققين ، ويدربون الجيل الجديد في أعمال النشر العلمي للتراث العربي .

ومن أهم الكتب التي حققت بالدار : عيون الأخبار لابن قتيبة ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ونهاية الأَرَب للنويري ، وكتاب الأغاني للأصفهاني ، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي .

وتم تحقيق عدد كبير من الدواوين وكتب الأدب ، والثقافة العربية ، منها : ديوان زهير ، وديوان تميم بن المعز ، وديوان كعب بن زهير ، وديوان مهيار الديلمي ، وأشعار الهُذَليين ، وديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، وأنساب الخيل لابن الكلبي ، والأصنام لابن الكلبي .

ويتم حاليا تحقيق منتهى الطلب لابن المبارك ، وهو أكبر عمل مرجعي للشعر العربي .

وتم تحقيق عدد كبير من كتب علوم اللغة ، وهي : معاني القرآن للفراء ، والفاضل للمبرد ، والمعرّب للجواليقي ، والأمالي للقالي ، والخصائص لابن جِنّي .

وتقوم الدار حاليا بإعادة طبع كل هذه الذخائر ، واستكمال نحو عشرين عملا متعدد الأجزاء من أمهات الكتب في التراث العربي ، مع عمل الفهارس

الفنية المفصَّلَة لما سبق نشره من التراث .

حصر المخطوطات :

وفي ظلّ الإدارة الحالية تمتعت المخطوطات بالتعقيم حفاظًا عليها ، وتطور القطاع الأمني للحفاظ على هذه الثروة بالمراقبة التليفزيونية ، والحراسة البشرية ، وتوفير أجهزة الإطفاء الآلي بالغاز ، واستبعاد طريقة الإطفاء بالماء لعدم ملاءمتها للمخطوطات والوثائق .

كما تمَّ إجراء حصر دقيق وجرد منظم للمخطوطات ، عام ١٩٩٥، فوجدت ٥٠٤٩٤ مخطوطًا بعد أن عولجت بعض الأوراق المفرَّقة واستُخرج منها عدد إضافي من المخطوطات ، والدار في سبيل إصدار الفهرس الحصري لمخطوطاتها الذي يقع في نحو ألفي صفحة تمَّ إعدادها بالفعل اعتمادًا على الواقع ، مع بيان موجز عن كل مخطوط في سطر واحد .

قاعدة بيانات للمخطوطات :

أصبحت الإفادة من الحاسوب في تخزين المعلومات وإتاحتها سمة من سمات العصر ، وبالتعاون من مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار برئاسة مجلس الوزراء بدأ تنفيذ مشروع كبير لتسجيل كل المخطوطات المحفوظة بالدار بالقاهرة ، طبقا لبيانات محددة ، تم الاتفاق على أهميتها في لجنة علمية ضمت نخبة من علماء التراث ، مع عدد من كبار المتخصصين في نظم المعلومات ، ويتكامل هذا العمل مع ما يمكن أن يتم في مواقع مصرية أخرى ، لنصل إلى قاعدة بيانات

المخطوطات في مكتبات مصر، تمهيدا لربط هذا كله بمكتبات العالم في إطار الاتجاه العالمي الجديد إلى المشاركة في المعلومات.

إنّ مشروع قاعدة بيانات المخطوطات الإسلامية بالدار الذي يتعاون في تنفيذه مركز المعلومات يهدف إلى إتاحة ما يأتي من خلال الحاسب الآلي، والوسائط المتعددة:

- العنوان أو العناوين البديلة مع الإحالة إلى الشروح والذيول الخاصة بالكتاب أو اختصاراته، أو عن طريق استدعاء كلمة واحدة في عنوان الكتاب.

- اسم المؤلف أو كُنيته أو لقبه أو نسبته أو كلمة في اسم المؤلف، ومعرفة قائمة بمؤلفات المؤلف المطلوب والموجودة في القاعدة.

- الفن أو الموضوع وتفريعاته.

- تاريخ النسخ.

- المصاحف الشريفة.

- الإجازات العلمية.

- أسماء المحققين أو الناشرين للمخطوطات الموجودة في القاعدة وسبق نشرها.

وقد تمت المرحلة الأولى من المشروع بحصر كل مخطوطات الدار في فهرس شامل موجز يكون بين يدي العلماء والمتخصصين في وقت قريب.

الصيانة والترميم :

لم تهتم دول العالم بقضية صيانة المخطوطات وترميمها إلا في السنوات الثلاثين الماضية ، وقد تطورت تقنيات الترميم في هذه السنوات بشكل واضح ، وتكوّنت مدارس واتجاهات تتفاوت من حيث مدى الإفادة من العلم والخبرة والعمل اليدوي والتقنيات المتقدمة . وفي إطار تعاون بين حكومة جمهورية مصر العربية (وزارة الثقافة) وحكومة اسبانيا بدأ تنفيذ أول مركز كبير لترميم المخطوطات ، وتم إنشاء بنيته الأساسية ١٩٩٥، وتم توريد الأجهزة سنة ١٩٩٦ .

إن العناية بمقتنيات الدار من صيانة وحفظ وترميم تقع على عاتق مركز بحوث الترميم والصيانة والميكروفيلم ، وهي على قدم المساواة وبنفس الدرجة من الأهمية لاقتناء المجموعات وتنظيمها ، وعند رصد الميزانيات للتزويد لابد أن يراعى وبنفس الاهتمام رصد الميزانيات الخاصة بعمليات حفظ وصيانة وترميم المقتنيات نظرا إلى أن الصيانة خير من العلاج .

وتتطلب صيانة المقتنيات التقليل قدر الإمكان من الآثار السلبية للبيئة المحيطة سواء كانت عوامل بيولوجية ، أو عوامل كيميائية ، أو عوامل طبيعية .

والصورة المثلى التي سيقوم بها هذا المركز العالمي هو صيانة وترميم المخطوطات ، وتوفير وسائل حفظ جيدة لهذه الثروة ، مع تكوين أجيال تحذق هذا العمل الفني . وكذلك تصوير هذه المخطوطات جميعها على نسختي ميكروفيلم ، الأولى تكون بعيدة عن التداول تحسبًا لأى ظروف غير عادية (حروب ، حريق، سرقة) ، والثانية - مع التكبير على ورق - لاطلاع الباحثين والتبادل .

لا يخفى أن تراثنا المخطوط يحتاج أولًا إلى الحفظ الجيد، ثم يحتاج بعضه إلى ترميم، تمهيدًا لجعله متاحًا بوسائط مختلفة تخدم الباحثين، ولا تلحق الضرر بالأصول المخطوطة النادرة.

التدريب على الفهرسة والتحقيق:

يهدف التدريب إلى تكوين جيل جديد من المتخصصين في هذه المجالات، وأخذ نمط جديد من التدريب في التكوّن في إطار تعاون وتكامل بين كبار المحققين وأساتذة الجامعات من أجل تدريب عدد من العاملين وأقرانهم من المعيدين والمدرسين المساعدين بالجامعات.

١- الدورات التدريبية على تحقيق التراث، مدة كل منها أسبوعان من العمل الكامل، يلتحق بها عدد من المعيدين والمدرسين المساعدين بالجامعات، وعدد من المشتغلين بتحقيق التراث من الشباب بمركز تحقيق التراث. ويدرّس في هذه الدورة أكثر من ٢٠ من الخبراء في المجالات المتصلة بالتراث العربي. يتم الترشيح لهذه الدورة من خلال جهات العمل، ويتم تنفيذها في إطار برامج مركز تحقيق التراث بالدار. ويتضمن برنامج الدورة: مفهوم التحقيق. الخطوط العربية. توثيق المخطوط. التراث التاريخي. صناعة المخطوط. كتب التراجم. التكنولوجيا والتراث المخطوط. إخراج النص (التحرير والترقيم والتكشيف). المستشرقون الألمان والتراث العربي. التراث العربي والحضارات القديمة. التراث العلمي العربي. التراث الفلسفي. التراث الأدبي. المعاجم وأهميتها في التحقيق. التراث الديني. الخبرة المصرية في تحقيق التراث. المخطوطات

والحاسب الآلي . المستشرقون الفرنسيون والتراث الأدبي . جهود المستشرقين في التحقيق . تخريج النصوص وتحقيقها . الفهارس وبرامج الشيوخ . التراث العربي والشرق الإسلامي . خبرة مجمع اللغة العربية في تحقيق التراث .

وتعقب هذه الدورة الأساسية مرحلة تطبيقية تستمر لمدة يوم واحد أسبوعيا على مدى أربعة أشهر (مارس / إبريل / مايو / يونية) تتكون فيها مجموعات عمل متخصصة للقيام بتحقيق مرجع كبير في التراث العربي بإشراف نخبة من الأساتذة .

٢ - الدورات التدريبية في فهرسة المخطوطات . مدة كل منها أسبوعان أيضا من العمل الكامل . وتنظمها الدار . وتهدف هذه الدورة إلى تعميق المعرفة في مجال فهرسة المخطوطات العربية والشرقية والتدريب العملي ، وذلك من أجل تكوين مجموعة متميزة من المتخصصين لتنفيذ المشروعات في مصر والدول العربية والإسلامية وفي كل دول العالم التي تطلب التعاون في هذا المجال في إطار مشروعات ثنائية أو مشروعات إقليمية أو دولية ، ويُعطىٰ المتدربون الأفضلية في تنفيذ هذه المشروعات ، ويحصلون بعد النجاح في الدورة علي شهادة بذلك .

يقبل بهذه الدورة متدربون ترشحهم جهات العمل التي تضم مكتباتها مخطوطات عربية أو شرقية ، مثل دار الكتب ، ومكتبة الأزهر الشريف ، ومكتبات الجامعات ، والمراكز العلمية ، والمكتبات العامة ، بشرط حصولهم على درجة جامعية مناسبة .

يتضمن برنامج الدورة عددًا من المحاور الأساسية : تصنيف العلوم عند الغرب . الفهرسة في التراث العربي . الإطار المعاصر للفهرسة الوصفية . الفهرسة ونظم المعلومات . مكتبات المخطوطات في مصر . ثقافة المفهرس . الفهارس

الأوربية للمخطوطات العربية والشرقية . فهرسة المخطوطات في الوطن العربي . فهارس المخطوطات في العالم الإسلامي . مشكلات فهرسة المخطوطات والحلول التطبيقية لها . تحقيق العنوان والمؤلف . فهرسة الشروح والحواشي .

أما القسم العملي فيتضمن تطبيقات عملية في أحد المجالات التخصصية : علوم الدين . علوم اللغة . الأدب . الفلسفة والطبيعيات والرياضيات . التاريخ .

مشروع قانون حماية المخطوطات وأوائل المطبوعات :

لا ينبغي أن نختم هذا الحديث المقتضب عن مخطوطات دار الكتب المصرية ، قبل أن نشير إلى وضع مشروع قانون نموذجي لحماية المخطوطات وأوائل المطبوعات . وقد كان هذا المشروع نتيجة خبرة طويلة في مجال المخطوطات ، والتعرض لمشكلاتها المختلفة ، وعلاج هذه المشكلات . ونرجو أن يأخذ هذا المشروع صفته القانونية حتى تستطيع الدار أن تخدم المخطوطات في مصر ، وتحميها من التغريب والاتّجار ، ومن عبث العابثين .

* * *

مخطوطات الإسكندرية

د . يوسف زيدان*

اهتممت في الآونة الأخيرة بمخطوطات مدينة الإسكندرية . أذكر منها مكتبة البلدية ، ومكتبة مسجد أبي العباس المرسي ، التي تضم مكتبات المساجد العامة في الإسكندرية ، وهناك أيضًا مجموعات خاصة ، وبعض المجموعات في المعهد الديني ، وغيره .

هذه المجاميع الخطية ظلت لفترة طويلة دون عناية . وآخر عناية بها كانت فهرسًا أصدره محمد البشير الشندي وحصر فيه المخطوطات التي دخلت بلدية الإسكندرية حتى سنة ١٩٣٥ ، بمعنى مضي ما يزيد على ستين عامًا دون اهتمام .

لقد بدأ المشروع العالمي لإحياء مكتبة الإسكندرية ، وانتدبتُ منذ عام ١٩٩٣ لهذا المشروع للعناية بالمخطوطات والكتب النادرة فيه ، وتمَّ تدريب مجموعة من العاملين ، وبدأنا العمل في فهرسة مكتبة بلدية الإسكندرية ، واقتضى الأمر أولًا تصنيف هذه المخطوطات ، وأمكن بعد ذلك إنجاز الجزء الأول من المخطوطات العلمية ، ويتضمن توصيف نحو ٥٥٠ مخطوطة ما بين طب وفلك وزراعة وغيرها من العلوم الطبيعية . وسيصدر الجزء خلال أيام معدودة . وسيجد الباحث فيه كيف أن بعض المخطوطات الطبية محفوظة في المكتبة في فن أصول الفقه ، والفلك في التصوف ، وهذا آتٍ من طبيعة اشتغال علماء التراث

* مستشار التراث والمخطوطات بمكتبة الإسكندرية .

العربي ، فالذين عملوا في مجال العلوم الطبيعية كان لأغلبهم اهتمام أيضًا بالأمور العقائدية كلامًا وتفسيرًا .

إن مشروع فهرسة بلدية الإسكندرية قد أوشك على الانتهاء ، وبدأنا مرحلة نشر الفهارس المخطوطة .

أما مشروع فهرسة مكتبة أبي العباس المرسي ، فقد وصلنا فيه إلى منتصف الطريق تقريبًا . كان المرصود منها في سجلات المكتبة ١٦٥٠ مخطوطة ، ولكن الذي أنجزنا فهرسته حتى الآن نحو ألفي مخطوطة ، تشكل نصف ما في المكتبة تقديرًا . وقد بذلنا جهدًا غير عادي في فهرسة ما في الصناديق ، فضلًا عمّا في الرفوف .

وتقوم مكتبة الإسكندرية بترميم المخطوطات ، وقد بدأنا منها بما يحتاج عاجلًا إلى الترميم ، ورُمّم فى خلال الأشهر الماضية ما يقرب من عشر مخطوطات من المخطوطات العلمية . إن أجهزة الترميم إيطالية ، والمرممون الفنيون تدربوا في فرنسا .

لقد اعتذر د . محسن زهران مدير الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية عن عدم الحضور ، وحملني كلمة مكتوبة تحية لهذا الاجتماع ، ويقترح أن تهتم المكتبات العربية بتبادل المطبوعات التراثية ، خاصة الفهارس ، وكذلك مصورات المخطوطات على ميكروفيلم ، وتوحيد نظام بطاقة المعلومات عن المخطوطات التي تدخل في الحاسوب ، تمهيدًا لانفتاح هذه الفهارس الإلكترونية – في الأقطار العربية – بعضها على بعض .

* * *

نفائس خزانة القرويين بفاس

أ . محمد بن عبد العزيز الدباغ*

تُعَدُّ خزانة القرويين من أهم الخزانات العالمية ، وقد أَعطاها الصفة الرسمية ، أبو عنان المريني ، حينما بنى لها مقرا بالناحية الشرقية من صحن الجامع ، عام خمسين وسبع مئة هجرية ، ووقف عليها كتبا شتى في مختلف العلوم الشرعية ، والفنون الأدبية ، وعلوم الفلك والهيئة والطب وغيرها ، وحدد فوق بابها - في منقوشة خشبية - الوظيفة التي ستقوم بها من حيث كونها تُعَدّ مركزا للقراءة والمطالعة والاستنساخ والمقابلة ، وظلَّت على حالها إلى أنْ نقلها المنصور السعدي ، في أواخر القرن العاشر الهجري ، إلى بناية أخرى جعل بابها قرب المحراب ، وأَضاف إليها من الكتب العلمية والأدبية ، ما يفيد الطلبة وأهل البحث ، وشجّع العلماء على أن يودعوا بها ما يؤلّفون من الكتب ليكون النفع عاما ، وزاد رصيدها من المخطوطات أيام الدولة العلوية الشريفة ، فصرنا نجد على واجهات الكتب أسماء الواقفين من الملوك والعلماء والمحبِّسين ، رجالا ونساء ، من عهد المولى الرشيد ، إلى عهد الحسن الثاني نصره الله ، ولما زاد الإقبال عليها ، وضاق مكانها ، أضاف إليها محمد الخامس ، تغمده الله برحمته ، جناحًا كبيرًا وهو المستعمل الآن للمطالعة ، وفتح لها بابا خارجيًا متصلًا بساحة

* محافظ الخزانة .

الصفارين، ليتيسر لكل الراغبين في المعرفة الاستفادة منها، على اختلاف أجناسهم وألوانهم ودياناتهم، فكثر باحثو المكتبة للاطلاع على ما فيها من الكتب والوثائق، وسجّلوها في كشوف عامة، وعرّفوا بها، وفتحوا آفاق المعرفة أمام المهتمين بالتراث الإسلامي.

واتجهت عناية المنظمات الثقافية إلى استنساخ صور من هاته المخطوطات، سواء على الصعيد العربي، أو على الصعيد العالمي، فكان ذلك من أسباب الازدهار الفكري، وصارت خزانة القرويين تشع من جديد، وتكونت علاقة متينة بينها وبين مختلف الجامعات، فصارت مخطوطاتها موضوعا للباحثين، لأصالتها وتنوعها، فهي تمثل الثقافة الإسلامية بكل شموليتها، في مختلف العلوم الدينية والأدبية واللغوية والعلوم التجريبية من طب وهندسة وفلك.

وتحتفظ الخزانة أيضا بكتب ذات فن أصيل في الخط والتزويق، تمثل مختلف الخطوط العربية، وتوضح جانب الإبداع في الفن التشكيلي، كما توضح خشوع الإنسان العربي حينما يتعلق الأمر بكتابة المصاحف القرآنية، فيوجه عنايته إليها بكل دقة ورعاية. ومن أهمها المصحف الكوفي المسجل برقم ٨٧٦، ويرجع تاريخه حسب ما يبدو من شكله ومن مقارنته بنسخة شبيهة به توجد باسطنبول إلى أواخر القرن الثاني الهجري. وكذلك الجزء السابع عشر من المصحف المسجل برقم ١٩٦٦ المكتوب بخط مغربي مبسوط ملون بالذهب، وفيه زخارف تُعَدُّ آية في الإبداع.

ومن أهم المخطوطات داخل الخزانة كتب لها قيمة تاريخية، حيث ارتبطت بخزانات ملوك، كان لهم وزن في تاريخ المغرب، كبعض أجزاء من موطّأ الإمام مالك، كتبت لخزانة علي بن يوسف بن تاشفين على رَقّ غزال، أَسلمُها الجزء

المسجل برقم ٢٠٠٥. وكتاب محاذي الموطأ الذي ألفّه المهدي بن تومرت، ووضعه في خزانته، ثم في خزانة عبد المؤمن بن علي، وهو مسجل برقم ١٨١. وقد أبدع ناسخه في كتابته، وفي وضع رسوم يختم بها كل باب من أبوابه تدل على جمال الذوق، ودقة القدرة على مزج الألوان، واستمرار نصاعتها على مرور الأزمان. وكتاب نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، لأبي بكر محمد ابن عزيز السجستاني المسجل برقم ٩٤٠، فنسخة منه كتبت لخزانة الأمير محمد بن عبد القادر الوطاسي سنة ٨٦٥هـ. زيادة على بعض الكتب التي أُلّفت في عهد العلويين الأشراف، مثل كتاب طبق الأَرطاب الذي ألفّه سيدي محمد بن عبد الله في شرح الحديث النبوي الشريف بني الإسلام على خمس إلخ... فكان كتابا يحمل في ثناياه صورة واضحة لمفهوم العقيدة وأسرار العبادات، وهو مسجل بالخزانة برقم ٧٤٦.

ومن المعلوم أن مخطوطات الخزانة منها ما بقي محافظا على شكله، ومنها ما أُصيب بتلاش جزئي أو غالبي، ولذلك كان من الضروري التفكير في علاجها وترميمها والعمل على لمّ شتات ما يوجد منها. مع العمل على سرعة تصويرها وإتاحة الباحثين لهذه المصوَّرات، فلا تفسد المخطوطات لكثرة التداول والتناول.

لقد حفظت هذه المكتبة بين جنباتها نفائس النسخ من المخطوطات، وانتفع بها باحثون مغاربة ومشارقة ومستشرقون، أخرجوها محققة، نذكر منها:

١- كتاب الفصوص، لأبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي، المسجل برقم ٥٨٧. حققه الدكتور عبد الوهاب التازي عميد جامعة القرويين، وقامت بطبعه وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

٢- كتاب البيان والتحصيل ، لابن رشد الجد ، المسجل برقم ٢٠١١. شارك في تحقيقه الأساتذة محمد حجي ، وأحمد الحبابي ، وأحمد الشرقاوي ، وسعيد اعراب ، ومحمد العرايشي ، وطبع عام ١٩٨٨ بدار الغرب الإسلامي .

٣- شرح ديوان المتنبي ، لابن الإفليلي القرطبي عثرنا عليه في خروم الخزانة وسجلناه في خروم القبة السعدية برقم ٥٧٠ المحفوظ بالصندوق التاسع والتسعين . ورغم تلاشيه أمكن الاستفادة منه ، لأنه النسخة العتيقة الموجودة من هذا الديوان ، وأتمّ في مادته من نسخ أخرى . وحققه الأستاذ محمد البوحمدي في كلية الآداب ، جامعة سيدي محمد بن عبد اللّه ، في فاس .

٤- نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن ، وهو المشار إليه أثناء الحديث عن المخطوطات التي كتبت لبعض خزانات الأمراء بالمغرب ، المسجل برقم ٩٤٠. وهي نسخة مبتورة ، مكتوبة على رَقّ غزال ، بخط أندلسي جميل . وكانت مسجلة لمؤلف مجهول برقم ١٤١٩.

٥- كتاب المثلث ، لابن السّيْد البَطَلْيَوْسِي ، المسجل برقم ٥٣٨. حققه الدكتور صلاح مهدي علي الفرطوسي (عراقي) . وكان منتدبا للتدريس بكلية الآداب بفاس . وقد طبع سنة ١٩٨١ في بغداد .

٦- كتاب مختصر العين ، لأبي بكر الزبيدي الإشبيلي ، المسجل برقم ١٢٣٨ حسب الترقيم الجديد . وقد اعتمد على هذه المخطوطة محمد علال الفاسي ، ومحمد بن تاويت الطنجي أثناء تحقيقهما الجزء الأول منه . واعتمد عليها الدكتور صلاح مهدي علي الفرطوسي ، لنفاستها ودقتها ، وطبع الجزء الأول في بغداد ، سنة ١٩٩١م .

٧- كتاب السير، لأبي إسحاق الفزاري، المسجل برقم ١٩٦٨. حققه الدكتور فاروق حمادة، وطبع في بيروت عام ١٩٨٧.

٨- كتاب الوثائق والسجلات، لمحمد بن أحمد الأُموي، المعروف بابن العطّار، المتوفى سنة ٣٩٩. وهو مسجل برقم ٤٧٠. شارك في تحقيقه شالميتا ود. كورينطي، ونشر بمدريد، عام ١٩٨٣.

وحسبنا من الأمثلة ما ذكرنا، لندلّل على قيمة ما تحتويه هذه الخزانة من نفائس. غير أننا ننبّه إلى أن أحد هذه الكتب المحققة، وهو شرح ابن الإفليلي القرطبي لديوان المتنبي، قد أخرجناه من خروم الخزانة، وهي عبارة عن ملفات وأوراق مبعثرة ومختلطة، تتنوع أحجامها وفنونها، تحتاج إلى مفهرس، واسع الثقافة، ذي صبر وأناة لاستخراج كتب كاملة.

إن هذه المكتبة تحتاج إلى ترميم وإصلاح، ومخطوطاتها تحتاج إلى تصنيف وترتيب وفهرسة. كما تحتاج إلى المقومات الأساسية لمسايرة العصر، وتزويدها بمخابر للترميم والصيانة والتجليد والتصوير والاستنساخ، وفريقِ عمل مدرَّب للفهرسة وإرشاد الباحثين. من أجل هذا كله تأسست لجنة على مستوى عالٍ من كبار المسؤولين، وخبراء البلاد، لنقل هذه المكتبة نقلة حضارية كبيرة.

* * *

المخطوطات في الجزائر

د . عبد الكريم عوفي*

إذا كان التراث العربي والإسلامي قد لقي العناية الكاملة في كثير من البلدان العربية والإسلامية ، لا سيما المخطوطات التي تشكل دعامته الأساسية ، فإنه في الجزائر مازال لم يلق العناية نفسها ، إذ إن المحاولات التي قام بها بعض الأفراد لم تكن في مستوى كنوز التراث التي تحتفظ بها المراكز الرسمية وغير الرسمية ، ولذلك يحق لنا أن نقول : إن من يريد الوقوف على واقع المخطوطات اليوم في الجزائر ، سيصاب بخيبة أمل وبالدهشة والعجب ؛ لأن مخطوطات الجزائر على الرغم من كثرتها وتنوعها وعلو قيمتها الفكرية ، فإنها محاطة بجملة من الظروف التاريخية والثقافية والطبيعية والبشرية ، حجبتها عن أعين الناس عبر أزمنة طويلة ، بقيت فيها حبيسة الرفوف والدهاليز والصناديق الخشبية والأكياس تتعرض للتلف والضياع ، بل الموات كلما مرت السنون .

ومن الأسباب التي جعلت المخطوطات الجزائرية على الحال المذكورة :

١- عامل الاستعمار : لقد عمل المستعمر الفرنسي على إحلال الفرنسية محل العربية ، وطمس معالم الشخصية العربية الإسلامية طيلة فترة الاحتلال ، ومازال أثره يسري في المجتمع الجزائري إلى يوم الناس هذا . فالمستعمر حرق آلاف المخطوطات والوثائق ، كما هرّب آلافًا أخرى للإنتفاع بها ، وكل ذلك

* من معهد اللغة العربية وآدابها - جامعة باتنة .

لقطع الصلة بين الفرد الجزائري وتراثه الخالد . والحديث في هذا العامل يطول لو استعرضنا صوره المختلفة .

٢- عامل الطبيعة : نعلم جميعًا أن بقاء المخطوط مدة طويلة دون حفظ وعناية ، أمر يعجل باندثاره ، ويسلمه لعاديات الزمن ، فتأتي الأَرَضَة والرطوبة والحشرات والإصابات الجرثومية عليه ، فيستحيل بعد مدة إلى هشيم ، فأغلب المخطوطات التي سلمت من أيدي المستعمر كانت محفوظة تحت الأتربة ، والكثير منها مازال مدفونًا ولم يُعرف سبيله ، لأن الذين دفنوه ماتوا في عهد الاحتلال .

٣- العامل البشري : يعد الإنسان شريكًا في بقاء المخطوطات في الجزائر على الصورة السلبية المذكورة ، لأن مالكيها يعتقدون أنها ملك كالأرض الموروثة ولا يحق لأحد أن يقترب منها . إنهم يجهلون قيمتها الفكرية والحضارية ، ولذلك فالكثير ممن يحتفظون بالمخطوطات يصدّون مَن يريد الإطلاع عليها ، ويفضلون الإبقاء عليها كما هي ، يتبركون بها ؛ لأنها تحمل ريح الأولين .

والغريب في الأمر أن ناسًا كثيرين ممن يؤمون بيت اللّه الحرام ، يأخذون معهم مخطوطات ويبيعونها بأبخش الأثمان لشراء أرذل المتاع .

٤- انصراف الجهات الرسمية في الدولة عن الاهتمام بهذه الكنوز ، كأن الأمر لا يعنيهم رغم وقوف بعض المسئولين على القطاعات الثقافية والتربوية من حين لآخر على مخطوطات في المعارض التي يتفقدونها ، وكأن المخطوط في نظرهم ليس إلّا تحفة أثرية ، مضربين عن قيمته العلمية .

إن هذه العوامل وغيرها ساعد على « تقزيم » تراثنا ، وهو أمر خطير ينبغي أن

يتداركه أولو الأمر، لأن مراكزه - على اختلاف أنواعها؛ من زوايا وخزانات ومكتبات ومساجد وقصور وأضرحة وأقبية وكتاتيب - ملأى بالنوادر التي تمثل شتى فنون العلم والمعرفة، وهي المرآة العاكسة لحضارة أمتنا عبر الأعصر المختلفة.

فالدارس إذا أراد الوقوف على أماكن وجود المخطوطات في الجزائر فإنه يجدها في كل مركز علمي ينشده، إذ تنتشر المخطوطات عبر ربوع الوطن شمالًا وجنوبًا، وشرقًا وغربًا، ولا يمكن القول بوجودها في منطقة دون سواها، باستثناء الفارق في الكمية، إذ تمتاز بعض مناطق الجنوب في الصحراء بكثافة المخطوطات في مراكزها العلمية، ولا يخلو بيت من وجود عدد من المخطوطات في علوم الشريعة واللغة والأدب والفلك والمنطق والسير والتراجم والتفسير والحديث والفقه، وغير ذلك من الفروع التي تفرعت عن هذه الأصول.

وكما قلت فإن مراكز المخطوطات في الجزائر مازالت مجهولة، وما عرف منها عدد قليل، لأن البحث في مجال التراث المخطوط محفوف بجملة من العوائق مما ذكرنا سابقًا، كما أن العمل في هذا الحقل لا يلقى التشجيع الكافي.

مراكز المخطوطات

لما كان التقرير لا يتطلب تفصيلات، فإنني أُحاول تقديم أسماء المراكز التي تم الوقوف عليها، أو تناهت إلينا أخبار عنها، من خلال المصادر الشفوية أو المكتوبة، مع ذكر العدد الإجمالي للمخطوطات التي يحتفظ بها كل مركز، إذا توفر. وسوف أُعنى بمركز أو اثنين تفصيلًا لتقريب الصورة للباحثين والمهتمين بالتراث.

وهذه المراكز يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسيين، هما: المراكز الرسمية،

والمراكز الخاصة .

(أ) المراكز الرسمية :

وأعني بها المكتبات العامة التي تشرف عليها هيئات رسمية وعمومية ، ومن أبرزها :

١- المكتبة الوطنية الجزائرية :

وهي المؤسسة الأولى في البلاد التي تُعنى بالمخطوطات ؛ جمعًا وفهرسة ودارسة ، وتحتفظ بأكثر من ثلاثة آلاف مخطوط في شتى فنون المعرفة الإنسانية ، كما توجد بها مئتان وثلاث وستون رسالة من الرسائل المتبادلة بين الأمير عبد القادر الجزائري والقادة الفرنسيين ، وغيرها من الوثائق العامة .

تحتفظ المكتبة اليوم بثلاثة آلاف وست مئة وعشرين مخطوطة (٣٦٢٠) . وأقدم مخطوط فيها هو مصحف من القرآن الكريم كتب على رَقّ غزال بخط مغربي في القرن الخامس الهجري .

أما فهارس المخطوطات فإن المكتبة تحتفظ بفهرس « فانيان » الذي طبع سنة ١٨٩٣م ، وهو الذي يستعمله الباحثون ، ولنفاده تم إعادة طبعة سنة ١٩٩٥م . وفي إطار البحوث ورسائل التخرج لنيل شهادة الليسانس أنجز عدد من الطلبة والطالبات أربعة فهارس جديدة لبعض مخطوطات المكتبة تخص المجالات الآتية :

علوم القرآن والتفسير والسيرة والحديث . الآدب . النحو . علوم أخرى كالفلك والتاريخ ...

وفي المكتبة مخطوطات قديمة باللغتين التركية والفارسية . وتسعى المكتبة إلى اقتناء مخطوطات جديدة عن طريق الشراء والهدايا ، فقد تحصلت في منتصف ديسمبر ١٩٩٦م على ثمان مخطوطات من إهداء وزارة المجاهدين . كما تعمل على الاستفادة من الأجهزة العلمية الحديثة في تخزين المعلومات والقراءة باستعمال الحاسوب والسكانار وغير ذلك من الوسائل كالميكروفيلم والميكروفيش .

وعلى سبيل المثال أذكر بعض الخزانات التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية :

١- مكتبة الأمير عبد القادر (٢١) مجلدًا .

٢- مكتبة ابن رحال (٣٨) مجلدًا .

٣- مكتبة ابن حمودة (٢٢٠) مجلدًا .

٤- مكتبة جورج دلفان (٣٢) مجلدًا .

٥- مكتبة ابن دادوش (٢٣٥) مجلدًا .

٢- المكتبة المركزية في جامعة الجزائر :

وهي من أوائل المكتبات الجامعية في البلاد التي عملت على جمع المخطوطات ، لكن فرنسا أحرقت كثيرًا منها ، ولا نعلم شيئًا عن العدد الإجمالي لما تحتفظ به من مخطوطات اليوم .

٣- المكتبة المركزية في جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة :

فيها مئة وخمسون مخطوطة .

٤- المكتبة المركزية في جامعة عين الباي بقسنطينة :

فيها ثمان وأربعون مخطوطة .

٥- مكتبة نظارة الشئون الدينية بباتنة :

فيها سبعون مخطوطة ، وقد أعددتُ لها فهرسًا ، ونشر في مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد ٣٩، الجزء الثاني ، سنة ١٩٩٦م .

٦- مكتبة المركز الثقافي بقسنطينة :

فيها مئة وسبعون مخطوطة ، وقد علمت أن وزارة الشئون الدينية نقلتها إلى مديرية التراث بالوزارة ، وللمكتبة فهرس أعدّه بعض طلبة علم المكتبات في جامعة قسنطينة ، وقفت عليه أخيرًا في المركز الثقافي الإسلامي بالعاصمة .

٧- مكتبة ثانوية ابن زرجب بتلمسان :

فيها مئة مخطوطة :

٨- مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بأدرار :

فيها مخطوطات كثيرة ونفيسة لعلماء من المنطقة ، ولم أتمكن من الوقوف على العدد الإجمالي لمخطوطاتها ، وهي في نماء مستمر بفضل مجهودات الجمعية .

٩- مكتبة مديرية التراث بوزارة الشئون الدينية في العاصمة :

وهي من المكتبات الغنية بالمخطوطات ، لأن الوزارة جمعت فيها المخطوطات من المراكز الثقافية ، وبعض المساجد من أنحاء عدة في الوطن ، ولم أتمكن من الوقوف على جملة المخطوطات التي تحتفظ بها .

١٠- مكتبات نظارات الشئون الدينية في الولايات :

وهي موجودة في كل ولاية من ولايات الوطن، بعضها نقلت إلى وزارة الشئون الدينية .

١١- مكتبات المساجد الكبرى :

لا سيما مساجد الجنوب، وكذا في بعض المدن الكبرى في المناطق الأخرى . ويغلب على هذا النوع من المخطوطات طابع العلوم الشرعية واللغوية .

١٢- مكتبات بعض المراكز الثقافية ودور الثقافة في الولايات :

وهذا النوع من المكتبات يحتفظ بعدد قليل من المخطوطات لأنها حديثة النشأة، والعناية بجمع المخطوطات أمر لا يعرف قيمته كثير من الناس في مجتمعنا .

١٣- المكتبات والخزانات العامة في القصور والأضرحة في مناطق الجنوب :

كأدرار، وتمنراست، وتندوف، وبشار، وإيليزي، والوادي، وورقلة . وهذا النوع من الخزانات تنتشر بكثرة وتزخر بأنفس المخطوطات .

١٤- مركز الوثائق التاريخية :

يوجد المركز في الجزائر العاصمة، وهو يحتفظ بعدد كبير من المخطوطات والوثائق تخص مجالات معرفية متنوعة .

١٥- متحف المجاهد في الجزائر العاصمة :

وهو من المتاحف الكبرى في الوطن، وقد سعى القائمون عليه على جمع الوثائق والمخطوطات من أنحاء مختلفة، لتحفظ فيه .

هذه بعض المراكز الرسمية التي تحتفظ بالمخطوطات، وتشرف عليها جهات رسمية في الدولة، وهناك مراكز أخرى لم نتمكن من الوقوف عليها. وأشير إلى أن المخطوطات في هذه المراكز وغيرها لا تخص مجالًا معرفيًا معينًا، بل تشمل العلوم المختلفة، وفيها المخطوطات المفردة، والمجاميع، وهي متنوعة المعارف.

وأغلب هذه المكتبات لم تُعِدّ فهارس فنية لمخطوطاتها، وما أُعِدّ لها من فهارس فهو في حاجة إلى إعادة نظر لتسهِّل مهمة الباحثين.

(ب) المراكز الخاصة:

إن المخطوطات في المراكز الخاصة، قياسًا بالمراكز العمومية كثيرة، وهي تنتشر في ربوع الجزائر شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا، ولا سيما في مناطق الجنوب. ومن أهم هذه المراكز:

١- الخزانات الشعبية في منطقة أولف بالجنوب:

تمتد منطقة أولف بين توات غربًا وعين صالح شرقًا. وأغلب مخطوطات هذه الخزانات تعرضت للأمطار الطوفانية التي نزلت بالمنطقة سنة ١٩٦٥م، فأتلفت أعدادًا كبيرة منها، وما سلم منها تعرض للمحو والرطوبة.

ويمكن تقسيم هذه الخزانات إلى المجموعات الآتية:

أولًا: خزائن بلديتي: أولف وتمقطن:

ومنها:

أ- خزانة سيدي أحمد العالم (ت ١٩٤٢هـ):

فيها أربعون مخطوطة في علوم الشريعة واللغة والطب والتصوف وعلوم

أخرى ، وقبل النكبة كانت عامرة بالمخطوطات

ب- خزانة الطالب داده سيدي أحمد (ت ١٩٥٣) :

جلُّ مخطوطات الخزانة تلفت بسبب النكبة المذكورة ، إذ سقط عليها سقف المنزل ، ولم يبق منها إلّا ست مخطوطات في الفقه واللغة .

ج- خزانة الشيخ الباي بالمدرسة القرآنية :

مجموع المخطوطات فيها اثنتان وعشرون مخطوطة ، جلبت من خزانة ساهل أقبلي ، وهي محفوظة بطريقة جيدة ، وتشمل الفقه والتاريخ والحديث والعربية وغيرها من العلوم .

ثانيًا : خزائن مرتبطة بالعائلات :

منها :

أ- خزانة الطالب محمد بن أحمد الأغزيري

وتحتفظ بعشر مخطوطات ؛ ثلاث في التاريخ ، وسبع في الفقه .

ب- خزانة عائلة باشيخ بتقراف :

وفيها سبع عشرة مخطوطة في الفقه والحديث واللغة .

ج- خزانة الشيخ عبد الرحمن بن محمد البرمكي :

وهو من أقطاب العلم في المنطقة ، وصاحب التآليف الكثيرة ، وتحتفظ بست مخطوطات . أما مؤلفاته فتوجد في مركز دراسات أحمد بابا بتمبكتو .

ثالثًا : خزائن بلدية أقبلي :

منها :

أ- خزانة عائلة عقباوي بزاوية بونعامة :

تربط هذه الزاوية بقبيلة كنته التي تنتمي للفاتح عقبة بن نافع الفهري، أسست سنة ١٠٦٠هـ، وتحتفظ اليوم بستين مخطوطة، في علوم الشريعة واللغة وغيرها.

ب- خزانة أركشاش :

لا يُعرف بدقة العدد الذي تحتفظ به من مخطوطات، ولعل أهم ما تحتفظ به هو مخطوط (تينغ بويا) أي (قتل بويا)، وهو عبارة عن كتاب قرآن [كذا كتب عنه]، وهو يقع في (٤٨٠) صفحة.

رابعًا : الخزائن المرتبطة بالعائلات :

منها :

أ- خزانة الشيخ محمد بن مالك بساهل :

كانت هذه الخزانة عامرة بالمخطوطات، لكنها ضاعت بسبب الطوفان الذي شهدته المنطقة سنة ١٩٦٥م، وما بقي فيها هو إحدى وأربعون مخطوطة، في الفقة واللغة والأدب والحديث والتاريخ.

ب- خزانة المنصور بأقبلي :

تحتفظ باثنتين وعشرين مخطوطة في علوم مختلفة.

وتمتاز هذه المجموعات في منطقة أولف بالقيمة التاريخية ، لأن أغلبها لعلماء المنطقة ، وتؤرخ للأحداث التي عاشها السكان عبر الأعصر المختلفة ، كما أنها تعكس الجانب الفكري لسكان المنطقة ونمط الحياة التي عاشوها . وبالمناسبة أشير إلى أنه لا يخلو بيت في المنطقة من وجود عدد من المخطوطات ، وهي ظاهرة تعكس حرص سكان مناطق الجنوب على التزود بالعلم .

٢- مكتبات أدرار (توات ، وقرارة ، وتدكلت) :

وهذه المكتبات توجد أيضًا في الجنوب بالصحراء في ولاية أدرار ، وهي من أغنى وأخصب الخزانات الشعبية ثراء بالمخطوطات ، وكثير منها من إنتاج علماء المنطقة . ومنها على سبيل المثال ، لا الحصر :

أ- مركز توات :

ويشتمل على اثنتي عشرة مكتبة موزعة على القصور التي بنيت في المنطقة ، وأشهرها :

١- مكتبة كوسام : وهي تقع في بلدية جديدة ، وفيها ما يزيد على مئة مخطوطة .

٢- مكتبة بني تامر : وتقع في بلدية تيمي .

٣- مكتبة وجلان : وتقع في بلدية تسابيت .

٤- مكتبة زاوية سيدي حيدة .

ب- مركز تنجرين :

وأغلب مخطوطات هذا المركز في الطب والفلك ، ومن أشهر خزائنه :

١- خزانة المطارفة : وفيها مئة وستون مخطوطة .

٢- خزانة أقسطن : وتقع في بلدية دلدول ومخطوطاتها تخص العقاقير الطبية .

٣- خزانة أولاد عيسى : وقد تعرضت مخطوطاتها للضياع .

٤- خزانة تنركوك : وأغلب مخطوطاتها في علوم الدين والتاريخ .

ج- **مركز تدكلت** : ويقع هذا المركز في الجنوب الغربي من ولاية أدرار ، ومن مكتباته :

١- مكتبة أقبلي الزاوية : وفيها ثلاث وستون مخطوطة .

٢- مكتبة ساهل القديم : فيها مئتان وثمان عشرة مخطوطة .

٣- مكتبة الشيخ التهامي صحراوي بياتنة :

وفي مكتبته عشرون مخطوطة سلمت من المستعمر وعاديات الزمن ؛ إذ كانت مكتبته عامرة بالمخطوطات في أيام ثورة التحرير ، وخبأها تحت الأرض ، لكن عاديات الزمن أتت عليها . وقد أَعددتُ لما بقي منها فهرسًا ، نشر في مجلة المورد العراقية ، المجلد الثامن عشر ، العدد الثالث ، سنة ١٩٨٩م .

٤- مكتبة زاوية مولى القرقور بسريانة - ولاية باتنة :

تحتفظ هذه المكتبة بستين مخطوطة في مجالات معرفية مختلفة ، وقد أَعددتُ لها فهرسًا منهجيًا شاملًا ، سوف ينشر قريبًا .

٥- مكتبة الشيخ المهدي البوعبدلي في نواحي وهران :

لقد جمع البوعبدلي عددًا كبيرًا من المخطوطات ، وكون مكتبة نفيسة . وقد

توفي ، ولا ندري إلى من آلت مكتبته العامرة ، وفي علمنا أن مخطوطاته لم تفهرس فهرسة منهجية .

٦- مكتبة الشيخ نعيم النعيمي :

وهو أحد رجالات جمعية العلماء المسلمين (ت ١٩٧٤م) ، وكانت له مكتبة عامرة بنفائس المخطوطات في قسنطينة ، ولعلها آلت إلى ورثته .

٧- خزانة الزاوية القندسية بيشار (القنادسة) :

كانت هذه الخزانة ، في عام ١٩٥٠ ، تحتفظ بأكثر من ثلاثة آلاف مخطوطة ، لكن المستعمر الفرنسي أحرق نسبة كبيرة منها ، والباقي نقلها إلى فرنسا . وهذا حال كثير من المراكز العلمية في تلك الفترة .

٨- خزانة الزاوية العثمانية (على بن عمر) في طولقة - ولاية بسكرة :

تعد هذه الخزانة من أغنى الخزانات في منطقة بسكرة ، بل الجزائر عامة . وقد كان للزاوية العثمانية دور رائد في الحركة الإصلاحية في الجزائر ، خلال القرن العشرين ، إذ تخرج فيها جمهرة من العلماء .

وتحتفظ اليوم بمخطوطات في شتى فنون المعرفة الإنسانية ، وقد حرص شيوخها على الحفاظ عليها ، وتمكين الباحثين والدارسين من الوقوف عليها ، فهي تشمل مخطوطات في علوم القرآن ، والفقه ، واللغة ، والأدب ، والمعاجم ، والتفسير ، والحديث ، والجغرافية ، والتراجم ، والسير . وليس لهذه الخزانة فهرس فني ، والعمل جار مع زميل لي لإعداد فهرس لها ، نتوقع الفراغ منه في هذا العام .

٩- مكتبة زاوية ابن عبد الصمد بباتنة :

نشطت هذه الزاوية خلال القرن العشرين ، وعمل شيوخها على نشر العلم

والإصلاح، فتجمع لديها مئات المخطوطات بفضل العلاقات التي ترتبطها بالزوايا المجاورة في الأوراس والمناطق الشرقية من الجزائر. وقد كان لشيخها (محمود بن عبد الصمد) اثنتان وعشرين مخطوطة من تأليفه، لكن المستعمر الفرنسي أتلف محتوياتها، وما بقي منها ضاع بعد الاستقلال، كما ضاعت مخطوطات كثيرة من مكتبات وخزانات شعبية.

١٠- مكتبة زاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة - ولاية ميلة:

تعد زاوية الشيخ الحسين الواقعة في ولاية ميلة، إحدى ولايات الشرق الجزائري، من كبريات الزوايا التي حافظت على الثقافة الوطنية من خلال ما تزخر به من آثار فكرية لعلماء يمثلون حقبًا تاريخية مختلفة ومن وجهات متعددة في العالم العربي والإسلامي.

كانت الزاوية إلى عهد قريب تحتفظ بأكثر من ستة آلاف مخطوطة، غير التي تحتفظ بها الأسر، لكن معظمها ضاع بسبب من الأسباب السالفة الذكر، ففرنسا أحرقت جزءًا منها، وهربت ما وجدت فيه منفعة، وروادها من المغرب وتونس والجزائر أخذوا أعدادًا منها على سبيل الإعارة ولم يعيدوها، والطبيعة فعلت فعلتها لطول الزمن فيما تبقى منها اليوم، ومالكوها أخبرونا أن كيسين كبيرين من المخطوطات أُحرِقا، لأن الرطوبة والأرضة أتت عليها؛ تخلصوا منها لأنهم لا يعرفون أن ثمة طرقًا علمية لمعالجتها وترميمها، كالتعقيم وغيره.

تحتفظ الزاوية اليوم بأربع مئة مخطوطة، منها نحو مئة مخطوطة في حالة سيئة، من جزاء العوامل المذكورة، وفيها مخطوطات نادرة ونفيسة، وبعضها بخط مؤلفيها، ومنها ما يرقى إلى القرون الأولى للهجرة النبوية.

والجدول الآتي يوضح المجالات المعرفية التي تشملها مخطوطات الزاوية وعدد كل فن معرفي، وكونه مفردًا أو مجموعًا:

الرقم	الموضوع	المخطوطات المفردة	المخطوات المجاميع	المجموع العام
١	الفقه وأصوله	١٠٧	٢١	١٢٨
٢	علوم اللغة	٣٠	٣٤	٦٤
٣	التوحيد والعقائد	٢٠	٢٧	٤٧
٤	الحديث النبوي	٢٩	١٢	٤١
٥	الأدب	١٨	٢٠	٣٨
٦	التراجم والسير	٢٨	٠٩	٣٧
٧	علوم القرآن	١١	٠٨	١٩
٨	المنطق	٠٤	٠٧	١١
٩	الطب	٠٩	٠٠	٠٩
١٠	الفلك	٠٣	٠٣	٠٦
	المجموع العام	٢٥٦	١٤١	٤٠٠

وتحتفظ الزاوية بمخطوطات نادرة، أذكر منها :

١- إنشاد الضوال وإرشاد السؤال : لأبي عبد الله محمد بن هانئ اللخمي (ت ٧٣٣هـ) نسخة كتبت في القرن الثامن. وهي نسخة فريدة في حدود علمنا، وقد شرعنا في استنساخها لتحقيقها. وهذا الكتاب في الأصل هو كتاب (المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان) لأبي عبد الله محمد بن هشام اللخمي (ت ٥٧٧هـ). وقد أعاد ابن هانئ ترتيبه وتبويبه، وهو يعالج ظاهرة اللحن في الغرب الإسلامي.

٢- شرح الجمل الكبير : لابن عُصْفور الإشبيلي، وقد وقف عليه الدكتور صاحب جعفر أبو جناح محقق الشرح الكبير، فتبينّ له أن الشرح الذي حققه ليس الشرح الكبير، لأن في نسخة زاوية الشيخ الحسين زيادات وأبواب لا توجد في الشرح المحقق. وهذه النسخة أيضًا فريدة فيما أعلمني الدكتور صاحب، والدكتور خليل إبراهيم العطية.

٣- ديوان أبي تمام، رواية أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي، المعروف بالقالي، (ت ٣٥٦هـ) كتبت النسخة بالخط المغربي، وفي حواشيها شروح وإضافات وإشارات إلى اختلاف الشعر المروي. ومن المخطوط نسخة في الإسكوريال، بأطراف مدريد، وقد علمت أن أحد الزملاء في جامعة باتنة يعمل في تحقيقه.

وهناك مخطوطات كثيرة في مجالات معرفية أخرى تعد من النوادر، سيقف عليها القارئ في الفهرس المنهجي الذي أعددته لمخطوطات الزاوية، وآمل أن يطبع قريبًا.

١١- مكتبات منطقة وادي ميزاب في ولاية غرداية :

تزخر المنطقة عامة بموروثات ثقافية وحضارية ، واكبت عمارة المنطقة منذ أكثر من عشرة قرون ، لذلك نجد المخطوطات فيها كثيرة ومتنوعة ، وهي تتوزع على مكتبات تربو على المئة مكتبة . نجد المستشرق الألماني ، جوزيف فون هاس ، في دراسته (أبحاث في بعض المخطوطات الإباضية) سنة ١٩٧٤م ، أحصى (١٠٠) مكتبة منها في الجزائر (٨٧) مكتبة بوادي ميزاب ، و(٥) في جربة بتونس ، و(٧) في ليبيا . أما الباحث محمد أيوب الحاج سعيد فقد أحصى (١١٤) مكتبة موزعة على وادى ميزاب ، وثمة مكتبات لم يشملها الإحصاء ، وتقوم جمعيات في المنطقة بجهود لحصرها وفهرستها .

وقد تعددت وجهات النظر في توزيع هذه المكتبات والخزانات ، فجمعية التراث توزعها على النحو الآتي :

١- مكتبات عامة كمكتبة القطب ببني يزقن .

٢- مكتبات تابعة للعشائر كمكتبة آل يدَّر .

٣- مكتبات تابعة للمعاهد والمدارس الحرة ، كمكتبة الإصلاح والحياة بغرداية والقرارة .

٤- مكتبات تابعة للمساجد ، كمكتبة (إيروان) .

٥- مكتبات تابعة للجمعيات الثقافية ، كمكتبة جمعية التراث .

٦- مكتبات خاصة ، كمكتبة الحاج سعيد بغرادية ، ومكتبة الشيخ المطهري بمليكة .

وهناك من يقسم هذه المكتبات إلى :

١- مكتبات المساجد والمعاهد العلمية .

٢- مكتبات الهيئات الاجتماعية والثقافية .

٣- مكتبات الباحثين والمهتمين بالثقافة والمخطوطات .

ولتقريب الصورة للقارئ العربي ، أخص هذه المكتبات بالفقرات اللاحقة ، لإبراز الدور الفعال الذي تقوم به بأَخَرَة بعض الجمعيات الثقافية في المنطقة لخدمة التراث ، مع العناية ببعض مقتنيات إحدى المكتبات .

جمعية التراث في بني يزقن

جمعية أسسها مجموعة من الباحثين الشباب ، وبعض الأساتذة الجامعيين من أبناء المنطقة ، هدفها جمع التراث المخطوط وترميمه وتنظيمه والحفاظ عليه بالتسجيل والتصوير والنسخ والتحقيق والنشر . وقد ظهرت بوادر المشروع عام ١٩٩٢م ، وفي (دليل مخطوطات وادي ميزاب من الفكرة إلى الإنجاز) ، ما يوضّح المشروع ، وقد أنجزت الجمعية أعمالًا رائدة لأربع مكتبات ، وحسبي هنا أن أقدم خلاصة ثلاثة أعمال منها :

أولًا : مكتبة آل يدَّر :

في هذه المكتبة (٥٩٤) مخطوطة ، وفيها (٢٩٤) مجموعًا . وتمتاز هذه المخطوطات بقلة تأثرها بالعوامل الطبيعية مقارنة بالمكتبات الأخرى ، وتشمل مخطوطاتها الميادين الآتية : التفسير : (٢٠) مخطوطة . علوم القرآن : (١٥)

مخطوطة. علوم الحديث (٣٠) مخطوطة. أصول الدين (٣٨) مخطوطة. أصول الفقه (٠٤) مخطوطات. الفقه (١٤٠) مخطوطة. التاريخ (٢٤) مخطوطة. علوم اللغة (٥٥) مخطوطة. الحِكَم والمواعظ (٥٩) مخطوطة. علوم الطب والكيمياء والحساب والفلك والتنجيم (٦٢) مخطوطة. تفسير الأحلام والرسائل وأدب المناظرة (٢٠). الشعر (١٣٠) مخطوطة.

ثانيًا: مكتبة الشيخ عمي سعيد بغرداية:

تضم هذه المكتبة (٥٥) مجموعة و (٩١) عنوانا، يوجد ضمنها مخطوطات بخط صاحبها، وغالبها مصاب بالرطوبة والأرضة، وهي في موضوعات مختلفة.

ثالثا: مكتبة الشيخ البكري بالعطف:

تضم هذه المكتبة (٢٣٩٥) كتابًا مطبوعًا، منها (١٣٥) مخطوطة في علوم مختلفة، بعضها نادر كمخطوطة (جامع الأزكوي في فقه الإباضية) الذي يرقى إلى القرون الأولى للهجرة، وكتاب (مسائل أبي عبيدة) وغيرهما.

ويتميز بعض مخطوطات هذه المكتبات باحتوائها على الفكر الإباضي، وقد نشر منها في الآونة الأخيرة.

وتقوم جمعية التراث في وادي ميزاب بمجهودات للحصول على وسائل متقدمة تمكن الباحث من الوصول إلى المخطوطات التي يرغب في الاطلاع عليها، كتوفير الفهارس، والتصوير بالميكروفيلم، والميكروفيش، وأجهزة الكومبيوتر، وبنك المعلومات.

١٢ - مكتبة علي الزغداني :

قاضي الحراكتة في ولاية أم البواقي في شرق الجزائر، ويحتفظ ورثته في المكتبة اليوم بثماني عشرة مخطوطة في علوم مختلفة .

١٣ - مكتبة أحمد بن السايح ببسكرة :

صاحب المكتبة واسع الثقافة، ومن محبي التراث والقائمين على جمعه. وفي مكتبته جملة من المخطوطات .

هذه بعض المراكز العلمية التي تحتفظ بالمخطوطات في الجزائر، منها ما وقفت عليه وعاينت مقتنياتها، وبعضها الآخر تناهت إليَّ أخبارها من خلال الأحاديث الشفوية مع رجالات العلم، وبعض الكتابات الصحفية، والأحاديث الإذاعية والتلفزيونية، والندوات الفكرية والملتقيات الوطنية .

وثمة مراكز أخرى كثيرة مازالت مغمورة لا يعرف الباحثون عنها إلا أسماءها، كما أن للأفراد والأسر مخطوطات لم يتم الكشف عنها بعد، وأذكر فيما يلي أسماء بعض الخزانات والمكتبات المشهورة مما لم يصل إليها الباحثون :

١ - خزانة زاوية الهامل في بوسعادة، ولاية الجلفة .

٢ - خزانة زاوية سيدي سالم بولاية الوادي .

٣ - خزانة زاوية الناظور للشيخ الحملاوي، في ولاية قالمة .

٤ - خزانة زاوية سيدي خالد في ولاية بسكرة .

٥ - خزانة زاوية سيدي أحمد بن موسى بمدينة كرزاز في ولاية بشار .

٦ - خزانة الزاوية المختارية في أولاد جلال، ولاية بسكرة .

٧ - خزانة الزاوية الزيانية في القنادسة، ولاية بشار.

٨ - خزانة الزاوية الحملاوية في شلغوم العيد، ولاية ميلة.

٩ - خزانة الزاوية التيجانية في تماسين، ولاية ورقلة.

١٠ - خزانة الزاوية الدرقاوية بمدينة سيدي بلعباس.

١١ - مكتبة الشيخ عبد المجيد بن حبة بالمغير، في ولاية وادي سوف.

١٢ - مكتبة الشيخ المهاجر بولعران.

١٣ - مكتبة الشيخ شعيب بتلمسان.

١٤ - مكتبة ابن الفكون في مدينة قسنطينة.

١٥ - مكتبة ابن إسماعيل في وهران.

والمخطوطات الجزائرية هُرِّب الكثير منها في أثناء الاحتلال الفرنسي إلى مكتبات ومتاحف فرنسا واسبانيا وألمانيا وهولنده وإيطاليا وبريطانيا وتركيا وغيرها. أما من حيث العمل على التعريف بالمخطوطات الموجودة في المراكز المذكورة، على اختلاف أنواعها، ومحاولة صيانتها وفهرستها وتحقيقها ودراستها ونشرها فإن جهودًا فردية قامت هنا وهناك تكفلَّ بها بعض الغيورين على تراث الأمة باعتباره الواجهة الحضارية للمجتمع، وتتمثل هذه المحاولات في قيام بعض الأساتذة على تحقيق ونشر جملة من كتب التراث، كما أن الجامعات بدأت تسمح بتسجيل الأطروحات الجامعية في موضوعات تحقيق التراث ودراسته.

أما في مجال التعريف بمراكز المخطوطات والفهرسة والصيانة والترميم فالمحاولات أيضًا قليلة، لأنها فردية. وأعتقد أنه آن الأوان أن يفتح معهد المخطوطات العربية باب العناية والرعاية نحو مخطوطات الجزائر، فتتلقى منه توجيهًا ودعمًا.

المصادر والمراجع

تم الاستعانة في إعداد هذا التقرير بمجموعة من المصادر والمراجع ؛ منها الزيارات الميدانية لبعض المراكز العلمية ، والمقابلات مع بعض الشيوخ ورجالات العلم ، وكذا بعض الكتابات التي وردت في الصحف والمجلات ، وما استمعنا إليه في الندوات والملتقيات ، أو الإذاعة والتلفزيون .

ومن أهم المصادر والمراجع المطبوعة والمخطوطة أذكر :

١ - تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري ، د. أبو القاسم سعد الله ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .

٢ - تاريخ الخزائن الخاصة في أولف : مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس في التاريخ ، مخطوطة ، إعداد الطالب : الحمدي أحمد ، معهد الحضارة الإسلامية ، وهران ، ١٩٩٤ م .

٣ - دليل مخطوطات وادي ميزاب :

أ - فهرس مخطوطات آل يدّر في ولاية غرداية .

ب - فهرس مخطوطات الشيخ عمي سعيد في ولاية غرداية .

ج - فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ البكري في ولاية غرداية .

إعداد جمعية التراث ، القرارة ، ولاية غرداية ، الجزائر ، ١٩٩٣ - ١٩٩٥م .

٤ - زاوية أحمد بن بوزيد، مولي القرقور بسريانة (نشأتها ومخطوطاتها)، ولاية باتنة، د. عبد الكريم عوفي، مخطوطة ١٩٩٦ م.

٥ - مراكز المخطوطات في الجزائر - أماكنها ومحتوياتها، د. عبد الكريم عوفي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٣٩، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٩٥ م.

٦ - فهرس نظارة الشؤون الدينية بباتنة، د. عبد الكريم عوفي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٣٩، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٩٦ م.

٧ - فهرس مخطوطات الشيخ التهامي صحراوي بباتنة، عبد الكريم عوفي، مجلة المورد، المجلد الخامس، العدد الأول، بغداد، ١٣٨٩ هـ = ١٩٨٩ م.

٨ - المخطوطات داخل الخزانات الشعبية خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في (توات وقرارة وتدكلت)، مقدم مبروك، مخطوطة، مركز الأبحاث والدراسات التاريخية، أدرار، ١٩٨٧ م.

٩ - الملتقي الولائي الأول حول رجال الفكر والإصلاح في منطقة الأوراس تنظيم نظارة الشؤون الدينية بباتنة يومي ٦، ٧ جولية ١٩٩٦ م، (محاضرة حول زاوية ابن عبد الصمد) لأحد أبناء الزاوية.

١٠ - وقفة مع المخطوطات في الجزائر (زاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة) ولاية ميلة نموذجا: د. عبد الكريم عوفي، مخطوطة، ١٩٩٥ م.

* * *

مركز المخطوطات والتراث والوثائق - الكويت : جهوده ومخطوطاته

أ . محمد بن إبراهيم الشيباني*

كثير من جمهور الناس من المتعلمين والمثقفين، والشباب منهم، يجهلون تمامًا المعنى الأوّلي للتراث العربي الإسلامي، وكذلك المخطوطات العربية. وليس لبعض مصطلحات علم المخطوطات صدى ما في نفوسهم، كمصطلح تحقيق النصوص، وفهرسة المخطوطات وتصنيفها. بمعنى أنه يوجد انفصال تام بين هؤلاء وبين قرون من نشاط الأجداد العلمي والثقافي. وليس المطلوب هنا دورات تدريبية لتخريج بعضهم كي يحذقوا فن التحقيق أو الفهرسة. وإنما المطلوب دورات تثقيفية موسَّعة، وتوعية شبابية وعامة، وبهذا يتصل حاضر هؤلاء بماضيهم، وينفتح حاضرهم إلى مستقبل مشرق.

ومن مشكلات المخطوطات الحادة قلة المفهرس الكفء الذي يقوم بإنجاز عمله في إخلاص وانتماء، ثم طبع هذه الفهارس ووضعها بين يدي العلماء والمتخصصين. وصناعة فهرسة المخطوطات صناعة صعبة تحتاج إلى تدريب شاق، وثقافة متسعة وخبرة طويلة. وكذلك هناك مكتبات لها فهارس مطبوعة منذ أواخر القرن الماضي، وقد نفدت، وأصبحت في ندرة الكبريت الأحمر،

---

* رئيس المركز .

وبالتالي ليست متاحة للباحثين ، وإعادة طبعها مفيد وضروري للوصول إلى هذه المخطوطات الموصوفة منها . وفهرسة ما لم يفهرس من مخطوطات تلك المكتبات ، وبردياتها العربية . ومثال ذلك ألمانيا ، وهي دولة كانت اهتمت بتراث العرب كثيرًا ، فجمعت من مخطوطاته وبردياته الشيء الكثير ، وفهرست منه الكثير ، وبقي جزء لم يفهرس بعد ، وأقامت المعاهد للدراسات الإسلامية ، خاصة دراسات للقرآن الكريم . وقد استشعر مركزنا هذه الإشكالية ، فبادر إلى الإعانة على فهرسة بعض المكتبات الهامة ، وطبع هذه الفهارس . وفي آخر هذه العُجالة ألحقتُ ثَبَتًا لما أصدر المركز من فهارس ، إسهامًا منه متواضعًا .

وثالث هذه المسائل أن معهد المخطوطات العربية ، وغيره من الجامعات والمراكز والمؤسسات العربية ، رسمية وأهلية ، دون أية تفرقة ، قد صورت آلاف المخطوطات من أماكن متفرقة من العالم ، وصرفت على هذا التصوير جهدًا كبيرًا ، ومبالغ طائلة . وبعض هذه المخطوطات الأصليّة التي صورت قد فقدت ، أو تَلِفت لعوامل بيئية ، وبعضها غير متاح للتصوير في الوقت الحاضر ، بل يعزّ تصويره تمامًا ، كمصوَّرات تركيا والهند ، على سبيل المثال .

لقد أصبحت هذه المصورات ذات قيمة عالية ، كأنها في حكم المخطوطات الأصلية ، ينبغي تجديد تصويرها قبل تعرضها للتلف ، ووضع خطة ونظام ميسَّر يتيح لجميع هذه المراكز - رسمية وأهلية - أن تتعاون على تبادل الفهارس والقوائم ، وتتعاون على تبادل هذه المصورات ، كل حسب حاجته منها ، وبإسلوب تعاوني شريف ، بعيدًا عن إخفاء المخطوطات والضنّ بها ، وأن تكون بأسعار غير مبالغ فيها ، وفي متناول هذه المراكز جميعًا ، فضلًا عن العلماء والباحثين المتخصصين ، دون شبهة ما من الاتّجار والمنافع المادية .

ورابعها ، اهتمام جميع الدول العربية بوضع قانون خاص لحماية المخطوطات العربية ، تعامل الدولة إيّاها كثروة قومية ، وتتوجه بالاهتمام والرعاية إلى الملكية الخاصة ، فتحفظ لديها سجلات بها ، وترممها وتصونها من الأَرَضة والرطوبة ، وتعنى بتوعية أصحابها للمحافظة عليها . ثم يتمّ تصويرها لاطلاع العلماء والباحثين عليها تمهيدًا للتحقيق والدرس ، وترعى الدولة النادر منها رعاية خاصة ، سواء كانت الندرة والأصالة في مادة المخطوطة ، أو في فنيّتها ، يُعرَض في مناسبات كتحفة فنية ، وأثر ينبغي الاعتزاز به .

وأختم كلمتي هذه - الصادرة عن هذا المركز الأهلي الغيور ، الذي لا يتوخى الربح - بهذا الثَبَت الذي يوضِّح جهود ما أصدره من فهارس المخطوطات والتراث ، وكان وراء الإعانة على إعداد مادتها وترجمتها وطباعتها ونشرها .

(١) فهرس المخطوطات العربية في الفلك والهيئة والحساب والهندسة في مكتبة جامعة براتسلافا في تشيكوسلوفاكية (سابقًا) ، أعدَّه كارل بتراتشك .

(٢) فهرس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية النمساوية - الرياضيات - أعدّته هيلينة لوبشيتان .

(٣) فهرس المخطوطات العربية في الطب والصيدلة ، المحفوظة في خزانة المكتبة الملكية بمدينة كوبنهاجن ، أعدّه د. عدنان الطعمة .

(٤) فهرس المخطوطات العربية في باكستان : المكتبة العامة ، القسم الأول (مكتبة ديال سنغ الخيرية) أعدّه حافظ ثناء اللّه الزاهدي .

(٥) فهرس المخطوطات العربية في الجامعة الكاثوليكية في واشنطن ، ترجمه محمد بن إبراهيم الشيباني .

(٦) مجموعة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، المحفوظة في مركز المخطوطات والتراث والوثائق - القسم الأول - أعدَّه محمد بن إبراهيم الشيباني.

(٧) قائمة المخطوطات العربية الجديدة المحفوظة في خزانة المكتبة الملكية بمدينة كوبنهاجن، أعدَّه د. عدنان الطعمة.

(٨) مجموعة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية - الأصلية والمطبوعة - المحفوظة في المكتبة السليمانية باستانبول - القسم الأول - ترجمة وإعداد محمد بن إبراهيم الشيباني.

(٩) فهرس المخطوطات المصوَّرة في مركز المخطوطات والتراث والوثائق - المجاميع - القسم الأول - أعدَّه محمد بن إبراهيم الشيباني.

(١٠) فهرس المخطوطات الأصلية في مركز المخطوطات والتراث والوثائق، مشروع عبد الله مبارك الصباح - القسم الأول - وضعه محمد بن إبراهيم الشيباني.

* * *

مركز بحوث ودراسات التراث

في العلوم الطبيعية

د . حامد عبد الرحيم عيد*

يسرني أن أنقل إلى الهيئة الموقرة والحضور جميعًا أنه تمَّ منذ بضعة شهور إنشاء مركز بحوث ودراسات التراث في العلوم الطبيعية التابع لكلية العلوم بجامعة القاهرة. وهي فرصة إيجابية لتقوم جامعتنا العريقة بإحياء التراث العربي.

وأحاول في هذه العُجالة أن أوجز أهداف المركز بما يلي :

١- تلاحظون من اسم المركز أنه معنيّ من العلوم عمومًا بتاريخ العلوم الطبيعية خاصة.

٢- الحصول على فهارس وقوائم المخطوطات العلمية المتوفرة ، وكذلك كلّ ما نُشر منها.

٣- يعاون في تحقيق المخطوطات العلمية ونشرها . ويتعاون مع الجهات العربية والدولية في إحياء التراث العلمي العربي.

٤- تنظيم دورات تدريبية متخصصة في مجال المركز.

٥- جذب الشباب من خريجي العلوم ، وتهيئة الظروف المناسبة لهم

---

* مدير المركز .

للتحقيق والبحث والدراسة في التراث العلمي .

٦- نشر الثقافة العلمية في مجال التراث بين جموع الشباب في الجامعة وخارجها .

٧- إصدار نشرات دورية تتابع أحدث ما نشر في مجال تاريخ العلوم .

وفي سبيل تحقيق تلك الأهداف فإن المركز يقوم بما يلي :

- التحضير والتجهيز لعقد مؤتمرات وحلقات بحث وندوات علمية ثقافية في مجال التراث العلمي .

- إصدار دورية علمية تنشر البحوث في مجال التحقيق .

- السعي للاهتمام بتدريس تاريخ العلوم في الجامعات المصرية ، مع العلم أن بعض الجامعات العربية تقوم بذلك .

- تكوين مكتبة للمركز متخصصة في التراث العلمي الطبيعي .

- تحفيز أعضاء هيئات التدريس والمختصين لممارسة البحث والمشاركة في الندوات والجامعات المتعلقة بالتراث العلمي .

- الاهتمام بإرسال بعثات للتخصص في تاريخ العلوم .

إن المركز قام بكتابة خطابات إلى الجهات المتخصصة في الأقطار العربية بتزويده بالكتب المحققة والدراسات والفهارس والقوائم والنشرات ذات العلاقة . وإنني بدوري أكرر هذا الرجاء بالتعاون مع هذا المركز حديث النشأة .

والمركز مشغول الآن بالتحضير والتجهيز لعقد ندوة للتعريف بتاريخ العلوم

وبالمركز في شهر فبراير المقبل. وكذلك مشغول بالتجهيز لعقد مؤتمر عربي دولي في بداية عام ١٩٩٨ في موضوع تاريخ العلوم.

وفي الختام أود أن أتقدم بالاقتراحات التالية:

١- العمل على نشر الثقافة التراثية بين جموع الشباب العربي من خلال التعريف بها عن طريق وسائل الإعلام الجماهيرية كالإذاعة والتليفزيون بأسلوب جذاب ومدروس.

٢- وضع خريطة موضوعية زمنية لتحقيق ونشر المخطوطات العلمية، مأخوذًا في الاعتبار أهميتها وندرتها، ودرجة شهرتها.

٣- ضرورة التنسيق بين المراكز والمؤسسات المختلفة في حركة النشر، لتجنب التكرار في الجهد والعمل.

٤- الاهتمام بالتقنية الحديثة لنقل المعلومات والجهود بين المراكز المختلفة مثل الـ Home page وغيرها.

٥- تبادل الفهارس والقوائم والنصوص المحققة والدراسات بين المراكز المتخصصة.

٦- الاهتمام الشديد بنشر الثقافة التراثية بين الشباب العرب.

* * *

■ د . عباس صالح طاشكندي :

المخطوطات العربية في المملكة العربية السعودية تتوزع مجموعاتها على ثلاثة أنواع من المكتبات ، تجدون تفصيلاتها العددية والموضوعية في الورقة المقدمة لهذا الاجتماع .

أما النوع الأول فهو المكتبات التاريخية ، بمكة المكرمة والمدينة المنورة . فمجموعاتها تكونت تاريخيًا في إطار مكتبات الحرمين ، وفي إطار بعض المكتبات الخاصة ، كمكتبة عارف حكمت ، وبعض مجموعات الأوقاف ، وهذه تحتوي على مجموعات أصلية وبعض النوادر من المخطوطات .

النوع الآخر من المكتبات هو مكتبات الجامعات الأكاديمية . فحين بدأت الجامعات في النشوء اهتمت بجمع المخطوطات . ومجموعات هذه المكتبات إما مخطوطات أصلية تكونت بالشراء والإهداء ، أو مخطوطات مصوَّرة تكونت عن طريق البعثات التي اهتمت الجامعات السعودية بإرسالها ، سواء داخل المملكة أو خارجها .

والنوع الثالث من المكتبات هو مكتبات الأفراد ، الذين اهتموا بجمع نوادر الكتب والمخطوطات نتيجة لتقاليد قديمة ، خاصة في المنطقة الغربية في مكة والمدينة ، وأيضًا في المنطقة الوسطى ، والمنطقة الشرقية . ولدى هؤلاء الأفراد مجموعات أصلية ، ومجموعات مصوَّرة . وهناك هيئات أخذت تهتم في السنوات الأخيرة بجمع المخطوطات وأعمال التراث ، منها مؤسسة الملك فيصل الخيرية ، ومؤسسة الفرقان التي يدعمها في الغالب أفراد .

إن المخطوطات تعدّ واحدة من أهم العناصر الخاصة لتحديد الهوية العربية . والمخطوطات التي تتجمع في المغرب أو في السعودية أو في العراق أو في سورية وباقي الدول العربية تعد لنا جميعًا عنصر هوية أساسيًا . ولا نختلف في أهمية العناية بها .

ولكن موضوع المخطوطات قد دخل في السنوات الأخيرة ، في منعطفات كثيرة ، فليست كل المخطوطات مهمة ، ويتوافر عدد كبير منها في الدول العربية ، ونتصارع ونتنافس على تجميعه مصوّرًا بالبعثات المتكررة ، مما أحدث إهدارًا كبيرًا ، وعرّض المخطوطات المصورّة لشيء من التلف ، وتجمّع لدى الجامعات مخطوطات مصوَّرة متكررة . حدث هذا في الجامعات السعودية عند هبّة تجميع المخطوطات بالشراء ، أو التصوير ، في فترة الثمانينات .

فيما يتعلق بالتوثيق ، فإن الجامعات السعودية تصدر فهارس للمخطوطات الأصلية والمصورّة . وطبيعي أن تكون النسخ المصوَّرة قد وُثِّقَت في فهارس أخرى . ففهرسة المخطوطات مرات عديدة يعدّ شيئًا من الإهدار .

ومن مشكلات المخطوطات عندنا مشكلة المستنسخات التي يجب أن نهتم بها . إنه يتوافر في كثير من المكتبات مستنسخات كثيرة ، خاصة في الأعمال الشائعة كصحيح البخاري والمصاحف القرآنية ، وليس كل مخطوط من هذه الأعمال على تلك الأهمية ، فتكلفة جمعها وحفظها وتوثيقها عالية جدًا .

وفي مجال جهود الهيئة المشتركة ينبغي أن يكون هناك اتفاق على عناصر رئيسية ، منها عملية الترميم التي تستحق أن تُعطى الأولوية فيما يتعلق بالجهود المشتركة ؛ لأن توافر معامل متعددة صغيرة الحجم بإمكانيات ضئيلة ، في أكثر

من جهة فيه شيء من الإهدار. والأجدى معهد للترميم أو مركز للترميم على مستوى الوطن العربي يُوفَّر فيه إمكانيات كل المعامل الصغيرة. إننا نستطيع بجهد مشترك أن نكون معملًا رئيسيًا مركزيًّا للترميم تتوافر له من الإمكانيات البشرية والمادية والفنية ما يحقق للمجموع إمكانية جيدة.

العنصر الآخر الذي ينبغي أن نتفق عليه هي عملية المعايير فيما يخص فهرسة المخطوطات، فعلى كثرة ما نصدر من فهارس، فإنها لا تخضع لمنهج، أو طريقة موحَّدة. ومن الضروري أن تنتهي الهيئة المشتركة إلى وضع بطاقة نموذجية موحَّدة يتبعها الجميع في فهرسته، الأمر الذي يسهِّل علينا وضع الفهرس العربي المتكامل.

وتنقصنا في إطار الجهود المشتركة أدوات موحَّدة عند الفهرسة والتوثيق. لدينا مشكلة أسماء المؤلفين والعناوين، وكثير من الفهارس تختلف في نظامها، ومن الضروري وضع قوائم استناد لاعتماد الفهارس عليها، وبهذا نزيل عقبة من عقبات تباين أنماط التوحيد في الفهرسة والتوثيق.

وأعتقد أيضًا أن الجهود المشتركة والهيئة المشتركة يجب أن تهتم بإجراء الدراسات الخاصة بالمصادر. لقد ذكر د. بتانوني هذه المسألة في مجال العلوم. والصحيح أن جُهدًا يجب أن يبذل مشتركًا من خلال هيئة موحدة تركز على موضوع إجراء دراسات المصادر، بمعنى ما هي المصادر المخطوطة في مجال الجغرافيا، والعلوم، والتقنية، والطب، وعلوم الحياة، والفلك والتنجيم، وغيرها، كل على حِدَة. وبهذا نستطيع أن نُقَوِّم بالضبط الجهد التراثي العربي في مختلف الموضوعات.

ومن خلال الهيئة المشتركة ينبغي أن تُنجز دراسات جادة وحقيقية ومُحدَّثة في مجال التقنية، التي قدمت لنا إمكانيات سهلة، توفر كثيرًا من الجهود المكررة التقليدية. لقد بدأنا في جامعة الملك عبد العزيز في جدّة بشكل بسيط. أخذنا نحوّل أجزاء فهارسنا المفصلة العشرة المطبوعة إلى نمط آلي، ونصور مع كل عنصر وصف أو توثيق للمخطوطة المخطوطة نفسها، وندخل ذلك في إطار شبكة محلية للجامعة. ويستطيع الباحث أن يصل إلى النص كاملًا من منزله إذا كان داخل الجامعة. هذه الشبكة ممكن أن تتسع إلى الجامعات الأخرى في السعودية، ويمكن أن تتسع إلى الجامعات العربية. فلو وضعت معايير لهذه التقنية، وتعاونا في تبادل المعلومات الفنية، وقامت كل جامعة أو جهة وأدخلت ما لديها من مخطوطات بناءً على هذه العناصر، لاستطعنا أن نكون شبكة فيما بيننا، وبهذا يتوقف إرسال بعثات التصوير، لأن مادة المخطوطات ستصبح مشاعة ومتاحة للجميع دون حظر أو قيود.

ومما أرى في جهود الهيئة المشتركة أن تركز على الجانب الفني للمخطوطة. كان التركيز كله في السنوات الماضية على جمع المخطوطات وتصويرها والاهتمام بالتوثيق والجانب الموضوعي منها. أرجو أن نوجّه الاهتمام بما قدمته هذه المخطوطات لصناعة الكتاب خلال العصور المختلفة، فيما يتعلق بالورق والخطوط والأحبار واللوحات والتجليد والتزويق والتذهيب، هذا التوجه الذي اهتم به الغرب أكثر من اهتمامنا نحن الشرقيين. أقصد أن نتوجه بالعناية إلى الملامح الفنية المادية في صناعة الكتاب المخطوط. لقد قتلنا الناحية الموضوعية تحقيقًا وبحثًا، وتعلقنا بالماضي واهتممنا بتاريخ العلوم لنثبت إسهامات العرب والمسلمين في موكب الحضارة. والآن نستطيع أن نستفيد من النواحي الفنية التي

قدمتها صناعة الكتاب العربي، وبالتالي يجب أن نترك مساحة لهذا العنصر.

عنصر آخر أراه مهمًا في تطوير الجهود المشتركة، وهو تداول المعلومات بين المراكز. نحن لا نعرف بالضبط ماذا تعمل هذه المراكز. نريد أن نتبادل المعلومات الدقيقة والمفصلة عن كل مركز، الأمر الذي يعيننا على فرص جيدة للتعاون فيما بيننا. نعرف أن جهة ما دخلت في تجربة جديدة كالتجربة التي أقول لكم عن جامعة الملك عبد العزيز، والتي يمكن أن تستثمرها جهة أخرى فيحدث شيء من التكامل معها، كأن تبادر جامعة عربية أخرى لديها مشروع مماثل فنتفق معها وندخل معًا في شبكة من جهتين، تتسع لجهة ثالثة، وتتوسع الشبكة فلا نحتاج إلى أن نشتري مخطوطات، أو نتسابق في بعث البعوث لتصويرها.

وهذا عنصر مهم يتعلق بالجهود المشتركة، وهو استصدار القوانين الموحّدة لحماية المخطوطات. هناك جهد حصل قبل سنوات طويلة من قِبَل معهد المخطوطات العربية، وهو الذي وضع قانونًا نموذجيًا لحماية المخطوطات. هذا القانون لم تطبقه إلا جهة واحدة. وفي السعودية معروض الآن على مجلس الوزراء قانون لحماية المخطوطات . كثير من الدول العربية أدمجته في إطار قوانين المكتبات الوطنية، أو قوانين حماية الآثار. في حين ينبغي أن يكون هناك قانون خاص بالمخطوطات محدَّث ومتطور، لأن القانون الذي وضع في السابق يحتاج إلى تحديث الآن. وهذه الهيئة تستطيع أن تلفت نظر الدول العربية إلى وجوب تحديث قانون في ضوء المستجدات الحديثة.

إن قيمة المخطوطات الحقيقة هي مصدر معلومات، ينبغي أن تتاح للجميع. وليست كل مجموعة مخطوطات موجودة مهمة، لقد عرفت من خلال إشرافي

على كثير من الرسائل، وكذلك من تخصصي، أن كثيرًا من المخطوطات يتوافر في كثير من المكتبات، معظمها مصوَّرات يتفاخر بها، مع أن المصورات والمستنسخات ليست موضعًا للتفاخر. وإذا رجعنا إلى تاريخنا وجدنا أعمالًا أصلية ومخطوطات أصلية توافرت في الفترة الأولى من القرن الثاني الهجري تقريبًا إلى الخامس. وغالبًا ما تكون في شكل مجموعات نعرف مراكزها كدار الكتب المصرية، ومكتبة عارف حكمت، والقرويين بفاس، والمكتبات الوطنية في بعض الدول العربية.

■ د. جمعة شيخة :

مسألة عدد المخطوطات التي سجلت ورصدت في المكتبات، بلغت في دار الكتب الوطنية بتونس نحو ١٧٠ ألف مخطوط. هذا غير ما في الجزائر والمغرب وفي الدول العربية الأخرى، وهذا يجعل مسئوليتنا كبيرة في محاولة المحافظة على هذه المخطوطات، والكشف عما فيها من معارف.

الأمر الثاني الذي استلفت نظري، ما أثاره د. أحمد فؤاد باشا هو عدم وجود اتصال بين المؤسسات العلمية، ولا العلماء الأفراد، فهناك كثير من الأمور التي تمت في قطر من الأقطار لا يعرفها كثير من المهتمين بهذا الموضوع. مثلًا فيما يتعلق بكتاب المناظر لابن هيثم. فقد نشر الجزء الأول منه في الكويت، بتحقيق د. عبد الحميد صبرة، والجزء الثاني على وشك الصدور. وهناك أيضًا عدد من الدراسات والنصوص العلمية المحققة التي لها قيمتها كالذي نشره د. محمد سويسي من تونس، ود. أحمد سعيدان، في مجال الرياضيات. ود.

جلال شوقي أستاذ الهندسة في جامعة القاهرة حول المنظومات العقلية عند العرب . وهو كتاب ضخم استطاع من خلاله أن يرصد كثيرًا من المنظومات التعليمية في مختلف فنون العلوم . وكذلك ما نشر من أعمال متعلقة بعلم البحر عند العرب في مجمع اللغة العربية بدمشق ، أو مركز الوثائق في رأس الخيمة ، حيث نشرت معظم أعمال أحمد بن ماجد ، وسليمان المَهْرِي .

هذه الموضوعات كلها مازالت في حاجة إلى تعريف ، كما ينبغي أن تصل إلى مختلف الباحثين في الوطن العربي ليكملوها ويراجعوها ويفيدوا من دراستها . وأشدتُ بكتاب إنباط المياة الخفية للكرجي ، وهو على صغره كتاب جليل في مجال المياه الهام ، وهو يعالج مسألتين : إحداهما لم يعالجها أحد قبله ، وهي قضية التوازن الأرضي ، وهي عبارة عن فكرة وجود توازن دقيق ما بين التضاريس الموجبة كالجبال والهضاب والتلال ، والتضاريس السالبة كالوديان والقيعان والمنخفضات . هذه الفكرة التي قدمها المؤلف في أسطر قليلة لم يشر إليها أحد من اليونان أو العرب قبله . وهي الآن تكاد تكون من النظريات التي لا يُشَكّ في صدقها في مختلف أنحاء العالم ، وتنسب إلى علماء أوروبيين في النصف الثاني من هذا القرن .

مثل هذه المعلومات ينبغي أن يتبادلها العلماء العرب ، وأن تهتم الهيئة بما يمكن أن تسميه الإعلام العلمي ، الأمر الذي يحفّز كثيرًا من العلماء لمزيد من البحث ، وينشط المراكز العربية المعنية بالتراث .

■ أ. محمد بن عبد العزيز الدباغ :

يسعدني وأنا في هذا المجلس الكريم أن أُلاحظ في الحاضرين روحًا طيبة تتعلق بوجوب الاهتمام بالجانب العلمي في التراث المخطوط . وكنت أظن أن الحديث عنه يأخذ طابع تاريخ العلوم عند العرب ، إلى أن علمت أن المسألة متعلقة باكتشافات عربية مشرِّفة ، فقد زار مدينة فاس سنة ١٩٨٧ جون فيلبس رئيس المستشفى الأصلي للأمراض النفسية في باريس ، وكان موضوعه يتعلق بشرح نظرية توصل إليها ، ترتبط بعلاقة الربو بالضغط الدموي . إلى أن زار خزانة القرويين وتُرجم له من أُرجوزة ابن طفيل في الطب الجزء المتعلق بالربو ، فسجّل بنفسه في دفتر الخزانة أنه يستحي أن ينسب هذا الاكتشاف لنفسه ، وقد ذكره ابن طفيل من قبله بخمسة قرون .

وكنت منذ ذلك التاريخ أقدِّم لزوار الخزانة هذه الفقرات المتعلقة بالربو . وكان من قبلي محافظ الخزانة محمد عبده الفاسي ، رحمه اللّٰه ، يقدم لهم الفقرات المتعلقة بمرض السكر في أُرجوزة ابن طفيل ، لأن تشخيصه للمرض هو نفس تشخيص الطب الحديث له .

وهكذا نلاحظ أن ما تحتويه الكتب العلمية - طبًا أو هندسة ، أو غيرها - لا يمكن أن ندخلها في إطار التاريخ فقط ، بل قد يوجد فيها ما يمكنه أن يساعد على تطور العلم الطبي . وقد سمعنا أن موانع الحمل عند ابن الجزار يستعمل الآن نحو ٩٥٪ منها ، وأن الفوائد الطبية لا نجدها في كتب الطب فحسب ، ففي كتاب الكنوز المختومة للحلبي ، وهو كتاب ضخم مشهور في التصوف ، حين

تحدث عن أطوار التكوين البشري ، وأن الإنسان يكون مضغة ثم علَقة .. إلى آخره من الأطوار ، نرى أن حديثه دخل في التشريح الطبي بما يحوي فوائد كثيرة ، وأن تحقيق هذه المخطوطات وفهرستها فهرسة جيدة يكشف عمَّا فيها من فوائد .

ولا بدّ من أن يكون محقق الكتب العلمية عالمًا في موضوعه ، ليبرز الجديد في هذا العلم ، ويميز ما هو قيِّم في تاريخ الفكر والعلوم ، بعيدًا عن الأسلوب الوصفي والخطابي الذي يحيي النفس ، ولكنه لا يدوم ؛ أما الإطار العلمي فهو الذي يفيدنا في حاضرنا ومستقبلنا .

■ د . جمعة شيخة :

إن الجانب العلمي من مخطوطاتنا يكوِّن ٤٠٪ منها ، وهو جانب مهمَل عمومًا ، لأن العمل في التراث متجه في غالبه إلى العلوم الإنسانية . وقد عزمت على أن استمع الشباب التونسي إلى وجهة تحقيق المخطوطات العلمية الغنية بالرغم من العقبة التي تقف في هذا السبيل ، ذلك لأننا ندرس العلوم بالفرنسية .

وأؤيد زميلي أ . الدباغ على من ذكر من أمثلة مفيدة في كتب الطب . ومنها المعالجة بالموسيقى الذي عُرف عند التونسيين ، ولكنه يقال إنه علم جديد يتولاه الأمريكيون ويطورونه إلى درجات أفضل .

وكذلك سبق العلماء الأندلسيون الغربَ في وضع المعادلة التي تصنع مادة تحتمل درجة حرارة عالية جدًّا لاستخدامها في عودة صواريخ الفضاء إلى غلاف الأرض .

■ د . عبد اللَّه يوسف الغنيم :

موضوع المياه الباطنية له علاقة بالتوازن الأرضي ، وبتبادل اليابس والماء . وهي فكرة قال بها اليونان من قبل ، ولكن زادها العرب توضيحًا وإضافة . وفكرة أن الأرض في الشمال كانت مغمورة بالماء ، أما الآن فالبحار جنوبية ، وردت في كتاب الكرجي « إنباط المياه الخفيَّة » ، وهي تعدّ بداية التفكير في نظرية زحزحة القارات ، ونظرية الألواح التكتونية المعروفة في هذا القرن .

■ أ . فيصل عبد السلام الحفيان :

أريد أن أوضح أمرًا . وهو أن كتاب الكرجي « إنباط المياه الخفية » قد حققته وأقامت دراسة قيِّمة حوله الفلسطينية المهندسة بغداد عبد المنعم ، وهي مقيمة في حلب (سورية) . وقد فازت المهندسة بغداد - بهذا الكتاب - بالجائزة العربية في تحقيق التراث ، والمعهد يعتزم أن يدعوها لإلقاء محاضرة بهذه المناسبة ، وسيوجه المعهد الدعوة للحضور الكرام جميعًا لحضورها .

■ د . كمال البتانوني :

لستُ مع د . الطناحي في عدم تفاؤله ، فالتقنيات الحديثة وشيوع المكتبات والحاسب الآلي والإنترنت وشبكات المعلومات لا بدّ أن تيسِّر الأمر بعض الشيء .

أما قضية النشر فهي تعبير عن واقع قد يكون مريرًا ، فجميع قضايا المخطوطات من حصر وحفظ وصيانة وفهرسة وتحقيق كلها روافد تصب في النشر ، فأيّ مشكلة من هذه المشاكل لا بدّ أن تنطبع على النشر . بمعنى أن قمة

المشكلات كلها تجتمع عند النشر . وكلنا نعلم أن العلماء يقولون : إما أن تنشر أو تُوارى . هذا بالنسبة للأفراد ، وكذلك بالنسبة لتراث الأمة ، فإما أن ننشره ، أو نتوارى . فكأن النشر لتراثنا استمرار لجذورنا وحياتنا . وكذلك العلم يموت إذا لم ينشر .

وقضية ثالثة وهي أن العلم يربو بالتداول . فإذا لم نتداول هذه المعارف فيما بيننا يكون علمًا منقوصًا ، لا فائدة تجتنى منه ، وبهذا يضعف ولا يزيد .

والازدواجية في التحقيق والنشر أمر واقع لا نستطيع أن نتخلص منه تمامًا . وبإمكاننا بالتواصل عبر الشبكات أن نقلل من هذه الازدواجية والجهد الضائع .

أذكر أننا في أكاديمية البحث العلمي أقررنا نشر كتاب في البيطرة قام أستاذ بتحقيقه ، وأثناء إجراءات النشر ، اتضح أن الكتاب حقق ونشر في حلب . ويُذكَر أن معهد التراث العلمي العربي في حلب بدأ يوزع استبيانات في الوطن العربي ليملأها المعنيون بالتراث العلمي كل في تخصصه ، تمهيدًا لطبع دليل يحدث شيئًا من التواصل والتعاون . وأعتقد أن معهد المخطوطات العربية ينبغي أن يتولى مثل هذه الأمور ويصدر أكثر من دليل في التخصصات كافة .

وأعتقد أنه على أقسام المكتبات والوثائق في الجامعات العربية ، وكذلك معهد المخطوطات العربية أن يفرد في دراسته تخصصًا في علم المخطوطات ، ويمنح الناجحين شهادة الدبلوم ، وبهذا نجذب الشباب العربي إلى هذا التخصص في التراث ، مع الاهتمام – خاصة – بالخط العربي : نشأته وتطوره وأنواعه وفنيَّته .

أما تصوير الأفلام فهو مسألة مهمة ، ينبغي التوسع فيها ، وتبادلها بين المراكز

والباحثين بصورة لا حدود لها، ليقبل الجميع على التحقيق والدرس، مع التنبه أن مصورات الأفلام لها عمر افتراضي لا بدّ من تجديدها كل حين.

وينبغي على المعهد وعلى المراكز المهتمة بالتراث ألّا تعتمد على نفسها في توزيع مطبوعاتها مكتفية بعددٍ قليل من الإهداءات، بل ينبغي عليها أن تعتمد على ناشر وموزّع جيد لينشر الكتاب في أنحاء الوطن العربي، وجميع الدوائر الأجنبية المهتمة بكتب التراث.

إنّ كثيرًا من الدول والهيئات القومية ليس لها تراث، وتحاول أن تفتّش وتخلق لها تاريخًا وتراثًا. ونحن لنا تراث عريق ولكننا مقصرون فيه. وهنا ينبغي على المعهد أن يشارك في الشبكات الدولية (الإنترنت) ويقدم للمشاركين صفحات عن تراثنا في مختلف نواحيه، واتجاهاته، وأفكاره.

وعلى المعهد أيضًا أن ينشئ مشروعًا لوضع قاعدة بيانات موحّدة فيما يتعلق بشؤون التراث والمخطوطات، وبهذا يتيسّر التواصل والترابط والتعاون فيما بين الجامعات العربية، والمراكز المعنية، والأفراد العلماء.

وقد لاحظتُ شيئًا مؤسفًا لهذا الاجتماع، وهو غياب المرأة عنه. وأعتقد أن الشابة أكثر صبرًا من كثير من شباب هذه الأيام، للقيام بأعمال التراث من فهرسة وتحقيق ودرس.

■ د. محمد الرُّبَيِّع :

معلومة صغيرة عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. لدينا في الجامعة أكثر من تسعة آلاف مخطوط أصلي. وهناك حوالي اثني عشر ألف

مخطوط مصور. وأصدرت الجامعة عددًا كبيرًا من فهارس المخطوطات، كما أصدرت جزءًا خاصًا بالنوادر.

كثر الحديث في كل الاجتماعات عن التنسيق، ولأننا نعمل في مجال واسع، فجهة واحدة أو جهات لا تستطيع أن تقوم به، ولا بدّ من الاستعانة بالتقنيات الحديثة، وتبادل المعلومات، والتعاون التام، حتى يمكن السيطرة على هدر الجهود الواضح.

فيما يتصل بنشر الكتاب من قِبَل مؤسسة علمية، أو دار نشر تجارية. فلا شك أن المؤسسة العلمية تحرص على العناية بالتحقيق وحسن الطباعة، أمَّا الدار التجارية فهي أقوى على توزيع الكتاب وانتشاره. ومن خلال تجربتي في جامعة الإمام فقد وضعنا بعض التصورات لحل هذه الإشكالية، بالنشر المشترك، فالجامعة عليها إعداد الكتاب إعدادًا علميًا جيدًا، أما التوزيع فللدار التجارية، وبهذا نضمن مستوى الكتاب وسعة انتشاره.

فيما يتعلق بدبلوم المخطوطات، فقد أحدثنا شعبة للمخطوطات في قسم المكتبات والمعلومات بالجامعة، وكان الإقبال عليها ضعيفًا، إلى أن توقف تسجيل الطلاب فيها، ولا نستطيع أن نلزم الطلاب بها، فالعمل في التراث هوى وعشق لا إجبار. وينبغي أن نفتِّش عن وسيلة لجذب هؤلاء الشباب إليه، لأن أجيال المخطوطات تسير نحو الانقراض.

ومسألة أخيرة تتعلق بتحقيق كتب التراث الضخمة، فالتجربة السابقة إما بطيئة الإنجاز، أو متوقفة عن الاستمرار في النشر، كما حدث هذا في مؤسسات كثيرة منها معهد المخطوطات العربية، ودار الكتب المصرية.

وقد حللنا هذه الإشكالية بتوزيع الكتاب على طلبة الدراسات العليا بإشراف أساتذة متخصصين، وتوخينا توحيد مناهج التحقيق بين هؤلاء الدارسين قدر الإمكان. وحبذا لو انتشرت هذه الطريقة بين الجامعات العربية. ويبقى مسألة الطباعة والنشر وهي مشكلة المشكلات على نحو ما أوضحت قبل قليل.

■ أ. عصام محمد الشنطي:

إن عمل د. فؤاد سزگين في معهده في فرانكفورت بألمانيا يشكر عليه. أعني إصداره المخطوطات مصوَّرة ومتاحة للمتخصصين. ولكن هناك بعض الكتب أو الموسوعات ذات الأجزاء المتعددة تخلو من الفهارس. وهذا يقف حائلًا دون الانتفاع من الكتاب. إن تراثنا فيه فوائد كثيرة في تضاعيف الكتاب، لا يكشف عنها إلّا الفهارس الفنية المتنوعة. وتعدّ هذه الفهارس جزءًا من التحقيق العلمي الحديث، ومكملًا له، وكاشفًا عن النص والإفادة منه.

وفكرة تصوير المخطوطات التي بخط مؤلفيها فكرة جيدة، وأذكر أنني حين زرت المكتبة السعيدية، وهي مكتبة خاصة في حيدر أباد الدكن بالهند، وجدت فيها نسخة من تاريخ دمشق لابن عساكر، بخط ولده عبد اللّٰه، وعليها قراءة على والده وإجازة منه. وأظن أن مثل هذه النسخ ترقى إلى مرتبة ما بعد نُسخ المخطوطات بخط مؤلفيها. ولا أظن أن مجمع اللغة العربية في دمشق حين أصدر أجزاء من هذا الكتاب الضخم مصوَّرًا أو محققًا اطلع على هذه النسخة النفيسة، ذلك لأن المكتبة غير مفهرسة.

والأمر الأخير، إن فكرة تقسيم المخطوطة الضخمة على طلبة الدراسات

العليا فعلتها دمشق في كتاب الأشباه والنظائر (في النحو) لجلال الدين السيوطي، وصدر في أربعة أجزاء عن مجمع اللغة العربية بدمشق. ولكن لا بدّ أن أنبّه على ضرورة توحيد منهج التحقيق في الكتاب الواحد، ولا بدّ من مراجع واحد لهذا العمل حتى يخرج على نَسَق موحَّد، ومنهج قويم.

■ د. نوفان رجا السوارية:

استطاع مركز الوثائق والمخطوطات التابع للجامعة الأُردنية بعَمَّانَ أن يقتني نحو ألف مخطوطة. والحق أنه توجه منذ تأسيسه إلى جمع المخطوطات المصوَّرة على الميكروفيلم، وبيننا وبين بعض المؤسسات تعاون طيب وتبادل نموذجي، أذكر منها مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، ودارة الملك عبد العزيز في الرياض. أما دار الكتب المصرية فلنا معها تجربة غير ناجحة. أقول ذلك تقريرًا للتجربة ورجاءً وحثًا على التعاون. وأذكر أن لمعهد المخطوطات العربية دورًا فاعلاً في مساعدة المركز لتكوين محصوله من المصورات.

ويحفظ المركز مصوراته في مكان مناسب حسن التهوية، وفي درجة الحرارة والرطوبة المطلوبة. كما نُظِّمت فهارس لها مقبولة بأرقام من السهل استخراجها. وقد أسهم المركز في نشر بعض المخطوطات، وساعد الباحثين في توفير المخطوطات المصورة من الخارج، وبلغت المخطوطات المنشورة من أثر هذه المساعدة نحو عشرين كتابًا.

من مشكلات المركز، شأن كثير من المراكز، مسألة ترميم المخطوطات،

فليس بالمركز معمل للترميم. كما أن مصوراته الميكروفيليمة تحتاج إلى تجديد، فالميكروفيلم له عمر افتراضي، ينبغي أن يُتنبّه له.

وقد حاول المركز إقناع الأسر والأفراد أن يحفظوا مخطوطاتهم فيه، وقدموا لهم الوسائل الترغيبية كافة، ولكنهم لم يُقبلوا على هذه الدعوة، خشية وضع اليد عليها، أو تصويرها.

وهناك نقص فيما يخص المخطوطات العربية، وهو عدم وجود فهرس شامل تذكر فيه المخطوطات ومواضعها في مكتبات العالم، ليفيد الباحثين. وهذا مشروع ضخم ينبغي أن يتولاه معهد المخطوطات العربية، وحتى يتم ذلك لا بدّ من النشاط لتبادل الفهارس الصادرة عن المراكز والمؤسسات، تبادلًا واسعًا حتى ينكشف أمرها ويسهل اختيار الباحثين لها.

وأُلاحظ تهافت المراكز والمؤسسات العربية على تصوير المخطوطات المحفوظة في مكتبات أجنبية أو عربية. فالمركز مثلًا صور مكتبة تشستربتي في دبلن (إيرلندا)، والمكتبة الطبية في بريطانيا وغيرهما، وقامت جامعات عربية كثيرة وصورت هذه المكتبات نفسها، فازدحمت المكتبات العربية بمصورات مكررة، وحدث هدر للمال العربي، مما يتوجب التنسيق والتعاون حتى نوقف هذا التهافت غير المنظم.

وينبغي أن يستفيد التراث العربي من هذه التقنية الحديثة، فتتبادل الدول العربية المعلومات فيما يخص المخطوطات عَبْر شبكات دولية. وفي الأردن ابتدأنا بتبادل المعلومات عن الكتب المحفوظة في أربع جامعات أردنية، وهي الجامعة الأردنية، واليرموك، والعلوم والتكنولوجيا، وآل البيت.

■ د. هادي شريفي:

فيما يخص مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فقد قامت بمسح شامل للمخطوطات الإسلامية الموجودة في ١٠٦ دولة.. وقد صدر الجزء الأول منه بمعاونة د. عبد الستار الحلوجي. وهو عمل مفيد لأنه يمدنا بمعلومات أساسية عن أماكن المخطوطات، كان بعضها مجهولًا لنا.

وصحيح ما قيل إن بعض المخطوطات غير مهمة. فحين بدئ عن حصر مخطوطات الصين، وجد أن كثيرًا منها من المقررات وكراسات الطلبة.

وتقوم المؤسسة الآن في حصر مخطوطات مالي وموريتانيا، ونيجيريا والسنغال وروسيا وألبانيا ورومانيا، ذلك أن كثيرًا من مجموعات المخطوطات الإسلامية ظلت مهملة دون اهتمام وقتًا طويلًا.

وقد بدأت المؤسسة في الاهتمام بصيانة المخطوطات وترميمها، فعقدت في السنة الماضية اجتماعًا في مقرها، وتقرر أن تنشأ وحدة تعنى بشؤون الصيانة والترميم. وسنحيط المراكز المعنية علمًا بما سيتم، رغبة في التعاون معها.

تحدثتم عن التعاون والتنسيق، وحتى يمكن الاستفادة الكاملة من بعضنا بعضًا، لا بد أن تكون لدينا معلومات واضحة ودقيقة عن كل منا. فمثلًا ليس من المهم أن نعلم أن بعض المراكز، أو معهد المخطوطات العربية، به من المخطوطات ما يصل إلىٰ عدة آلاف. ولكن ما هي المعلومات عن هذه المخطوطات؟

وكذلك إذا وجد ميكروفيلم لعديد من المخطوطات لا بد من معرفة هذا

الميكروفيلم، لأن المؤسسة ترى وضع مشروع للميكروفيلم للعديد من المخطوطات، ولذلك ينبغي أن تعلم ما هي هذه المخطوطات التي صورت على ميكروفيلم.

ولزيادة التعاون فإننا ننشر نشرة دورية كل عام. ونرجو من المعاهد والمراكز المختلفة المهتمة بالأمر أن تمدنا بما تريد نشره من أخبار ومعلومات، وكذلك بأسماء المراكز والهيئات التي ينبغي أن ترسل إليها هذه النشرة، وذلك يزيد من التعاون ومعرفة بعضنا بعضًا.

وفهمت أن هناك اقتراحًا بتوحيد منهاج الفهرسة، وهذا أمر مهم. ونحن نميل في الشرق إلى الفردية، ما يجعل التوحيد في الدولة الواحدة صعبًا. وأقترح أن يجتمع الباحثون والمتخصصون في الدولة الواحدة، لوضع خطة للتمسك بملامح رئيسية لمناهج الفهرسة، وهي خطوة جديرة بالتنفيذ.

وأُشير إلى ضرورة وضع التشريعات اللازمة لحماية المخطوطات. وأقول إنه خلال تجوالي نحو خمس عشرة سنة في كثير من الدول، وجدت أن هناك تشريعات قد تعوق الوصول إلى هذه المخطوطات. صحيح أن التشريعات لحماية المخطوطات أمر مهم، ولكن الوصول إليها أمر مهم كذلك. ومما يؤسف له أن الوصول إلى ميكروفيلم في إحدى المكتبات البريطانية قد يكون أيسر مئة مرة من الوصول إلى مخطوط أو ميكروفيلم في مكتبة في دولة إسلامية.

فيما يتعلق بالصفات المظهرية الطبيعية للمخطوطة فإن المؤسسة ستضع كتابًا أو دليلًا في كيفية رصد هذه الصفات العامة للمخطوطات.

وأخيرًا مسألة مخطوطات فلسطين، فالشيخ اليماني، رئيس المؤسسة،

مهتم بمخطوطات فلسطين والمسجد الأقصى والمكتبة الخالدية ، ويتمنى أن يتلقى اقتراحًا محددًا مدروسًا بخصوصها ، لمدّ يد التعاون لها ومساعدتها .

■ د. عبد الستار الحلوجي (معقِّب) :

أثير في الجلسة أن المخطوطات العربية ليست سواء في قيمتها ، أو ليست كلها مهمة ، وهذه قضية صحيحة أساسية ، فكنا نعرف أن الفهرسة وإعادة الفهرسة وتكرار الفهرسة وعمليات الحفظ كلها مكلفة جدًّا ، ولا بدّ من استبعاد غير المهم منها .

كما أثيرت مسألة استخدام التكنولوجيا الحديثة والأقراص المليزرة في تصوير المخطوطات . وأستطيع أن أستخرج منها مستنسخات عدة دون أن تمسّ المخطوطة الأصلية ، لهذا سموها بنوك المعلومات ، لأنها كالبنوك تضيف إلى الحساب ، وتسحب منه ، دون أن تمسّ النقود . وهذه طفرة تكنولوجية كبيرة ، ولكنها مكلفة جدًّا . لهذا لا بدّ من اختيار المخطوطات الهامة ، وانتفاء ما يستحقه هذا العناء وهذه التكلفة .

ومما ذكر أيضًا افتقاد المعايير والأدوات في مجال فهرسة المخطوطات ، وذكرت قوائم الاستناد وأثيرت قضية الفردية . وأنا أقول : إن مشكلتنا نحن العرب هي التفاضل ، وحلّ هذه المشكة هي التكامل . والمطلوب هو التوحيد والتكامل في أدوات الفهرسة . تختلف على مداخل الأعلام المشهورة ، نقول في مصر الإمام ابن حنبل ، وفي السعودية الإمام أحمد . لا بدّ من صنع لغة مشتركة ، وأن نكوّن سيمفونية ، بدلًا من هذا العزف المنفرد الجاري في الأقطار العربية .

وذُكر أيضًا بعض مهام الهيئة المشتركة منها المعايير والترميم والاهتمام بالجانب المادي للمخطوط، لأن المخطوط حينما يحقق وينشر يصبح النص ملكًا للقارئ إنما تظل النسخة المخطوطة لها قيمة تاريخية، ويظل لكل نسخة ذاتيتها وتفرّدها، مهما تعددت النسخ، في خطها، في ورقها، في تاريخ نسخها، في أنماط التصنيف التي فيها، في اكتمالها أو نقصها. وكذلك ينبغي - كما ذُكر - أن تهتم الهيئة المشتركة بالتشريعات لتداول المخطوطات لا لحمايتها فحسب.

ومما اقترح أيضًا إنشاء مركز معلومات للتراث، وهو اقتراح رائع، ولكن ينبغي أن يسبقه إنشاء قاعدة بيانات للمخطوطات العربية، بعد الاتفاق على الأدوات والمداخل والصيغة الموحدة، وبهذا يسهل اتصال الدولة بأخرى.

وأخيرًا أود أن أذكر بإعجاب ما صنعته مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي من مسح للمخطوطات، فأصدرت فهرسًا للفهارس في أربعة مجلدات ضخمة باللغة الإنجليزية، وينتظر أن يصدر في طبعته العربية في خمسة مجلدات، لا يقل الواحد منها عن سبع مئة صفحة. ويكشف هذه الفهرس عن أماكن للمخطوطات جديدة لم نكن نعرف شيئًا، فضلًا عن الأماكن المعروفة لدينا.

■ د. عبد اللّٰه يوسف الغنيم:

آلية الفهرسة وآلية التعاون عملية ضرورية للاهتمام بتراثنا العربي. قبل قليل كنت أتحدث مع الدكتور حجازي عن أحد الأشخاص في إحدى المؤسسات القومية للتراث، قضى نحو عشرين سنة في فهرسة جزء في فن من الفنون، وتكلفة هذا الشخص حوالي نصف مليون دولار، دون أن يصل إلى نتيجة

مَرْضيَّة . فالعملية تحتاج منا إلى كثير من الاهتمام والضبط لمثل هذه الأمور . إن كثيرًا من مؤسساتنا تعاني من الموظفين الذين يحاولون أن يتشبثوا بالمكان دون أن ينتجوا ، مع أن العمل كثير ويحتاج إلى جهود وتضحية ، لكننا للأسف الشديد لا نضع هذه الأمور في حساب الاقتصاد ، في حساب الربح والخسارة .

آلية التعاون أيضًا أمر هام جدًّا ، ولا شك أنه أشير في جلسات سابقة إلى كثير من ضعف التعاون . يمكن أن نجتمع ونرسم ونخرج بتوصيات ، وحين نعود إلى بلادنا ينتهي كل شيء ، ومثل هذا يتكرر كثيرًا . لا بد من ضبط لآلية التعاون بين الدول المختلفة .

■ د . محمود الطناحي :

أَختار نقطة أُدير حولها الكلام ، وهي مسألة أن المخطوطات ليست كلها على درجة واحدة ، هذه قضية صحيحة أن المخطوطات ليست كلها على درجة واحدة ، من حيث الاختيار والانتقاء والتصوير . لكن مَن الذي يحكم هذا الحكم ، من الذي يدخل مكتبة ويقول : هذا المخطوط مهم ، وهذا غير مهم ؟ ما هي معايير اختيار المخطوطة ، هل هو القدم ؟ هذا ليس على إطلاقه ، لأن في دار الكتب المصرية مخطوطة من « تأويل مشكل القرآن » لابن قتيبة ، مكتوبة سنة ٣٠٠هـ ، يعني في القرن الرابع ، وابن قتيبة توفي سنة ٢٧٦هـ ، يعني هي قريبة منه ، ومع هذا فإن هذه المخطوطة الموغلة في القدم هي أضعف النسخ ، لأن ناسخها كان جاهلًا وأسقط فيها أشياء كثيرة .

هل المخطوطة التي بعد الألف نتركها ، هذا غير صحيح لأن كتاب مقاتل الطالبيين ، لأبي الفرج الأصبهاني ، لا توجد منه نسخ إلا بعد الألف ، إذنْ هذه

المسائل تقودنا إلى ثقافة المفهرس. هذه المسألة ينبغي أن نعنى بها عناية كاملة، وأن تدرَّس للمتدربين على الفهرسة العملية. إن دار الكتب المصرية تعقد بين الحين والآخر دورة عن فهرسة المخطوطات وتلقى محاضرة أو اثنتان. هذا لا يكفي، لأن المسألة تحتاج إلى معاودة. لا بد من تكوين أجيال من المفهرسين المثقفين. المفهرس المثقف هو الذي ينبغي أن يعرف تاريخ الكتاب المطبوع أولًا، ثم قصة المخطوطات النادرة والنفيسة، ومعايير الندرة، والأماكن التي تكثر فيها المخطوطات كالمغرب وتركيا والهند. هذه المسائل لا بد أن نعد لها المفهرس المثقف. ثقافة المفهرس مسألة مهمة جدًّا؛ لأن مفهرس الكتاب المخطوط غير مفهرس الكتاب المطبوع. وأعتقد أن هذه الورقة التي قدمها الأخ عصام الشنطي وتحدَّث فيها كثيرًا عن ثقافة المفهرس كافية، حتى نحسم قضية المخطوطات ليست كلها على درجة واحدة.

■ د. غسَّان اللحَّام:

كنت قد قررت أن أركّز في موضوع الفهرسة لأهميته، ولكن بحث الأستاذ عصام الشنطي قد وفّر عليّ نصف الحديث. والحق إن موضوع الفهرسة احتل الآن أهمية كبيرة لسببين أساسيين:

الأول وجود مجموعة من المكتبات الحكومية أو المؤسسات الخاصة التي تهتم بجمع التراث وتصرف جهودًا كبيرة بشأنه. والثاني وجود الحاسوب واستثماره في حفظ فهارس المخطوطات والوصول إليها. لدينا الآن في الوطن العربي مجموعة تجارب ناجحة في مجال فهرسة المخطوطات. عدة مكتبات يوجد لديها خطط ناجحة، لا ينقصها إلّا التوحيد. فهناك فروق أو اختلافات

في الوسط الببليوجرافي للمخطوطات . المهم هو جمع هذه الخطط في خطة واحدة ، ولا يتسنَّى ذلك إلّا بعقد اجتماع يدعو له معهد المخطوطات العربية ، وتحضره المكتبات والمفهرسون والخبراء ليخرجوا بخطة موحَّدة يتبناها المعهد باعتباره هو الغطاء القومي ، ومن ثمَّ يعمّمها في الوطن العربي .

أما موضوع تمويل المعهد المالي ، فإني لا أراه مشكلة ، فهناك ، كل سنة ، أو ثلاث سنوات ، اتفاقيات ثقافية توقع بين الدول العربية ، يتم بموجبها تبادل الخبراء ، ويمكن للمعهد أن يطلب من الدول العربية أن يضمنوا برنامج التعاون الثقافي تبادل الخبراء في مجال فهرسة المخطوطات .

وسبيل آخر ، يمكن للمعهد أن يتقاسم نفقات خبير في فهرسة المخطوطات بينه وبين الدولة العربية الأخرى ، يتحمل هو تذكرة سفر الخبير ، والدولة تتحمل نفقات إقامته .

وينبغي أن نبدأ أولًا بالفهرسة الموحَّدة ، والاتفاق على الحقول في البطاقة ، وعلى سعة هذه الحقول ، ومن ثمَّ يمكن تطبيقها على الحاسوب الذي يمكن انفتاح شاشاته وبرامجه في الدول العربية جمعاء .

ولدي اقتراح ، هو في الحقيقة من خلال حديث الأستاذ عصام الشنطي ، أن يقوم المعهد بإنجاز دليل لمراكز المخطوطات في الوطن العربي ، يوزعه على جميع المعنيين ، يتضمن - غير المعلومات الأساسية عن كل مركز - توصيفًا لمجموعة المخطوطات المقتناة وأوضاعها فيه .

■ د . أيمن فؤاد سيد :

في الحقيقة أنا أتفق على ما جاء في هذا العرض الجيد الذي تفضل به الأستاذ عصام الشنطي ، وأضيف إلى ما ذكره ملاحظتين :

الأولى أن الدورات التدريبية التي تعقد للفهرسة تهتم بالجانب النظري ، وتهمل الجانب العملي ، يُهتم في الدورات بتاريخ العلوم عند العرب ، وأنواع الفهارس الموجودة في أوروبا وعندنا وغير ذلك . والصحيح أن يتم التدريب على المخطوطات ذاتها ، فيعرف المتدرب - على سبيل المثال - ما هي الكراسة ، وما حجمها ، والتعقيبة ، والسَّمَاع ، والنسخ القديمة ، والنسخ الحديثة ، والقراءات ، وأنواع الخطوط . كل هذه الأمور ينبغي معرفتها على المخطوطة نفسها . فالمفهرس ينبغي أن يكون على قدر كافٍ من الثقافة التراثية ، ويُعَلَّم كيف يبحث في المخطوطة .

والثانية أن فهرسة المخطوطات تختلف عن فهرسة الميكروفيلم ؛ فالذي يفهرس في ميكروفيلم يفتقد معرفة الصفات الخارجية للمخطوطة من طول وعرض وغلاف ونوع الورق . لذلك فإن التدريب ينبغي أن يكون على المخطوطات الأصلية لا المصوَّرة .

أما قاعدة البيانات فكنا دعونا لانعقاد ندوة في شهر يوليو ١٩٩٣م ، وكان د . جمعة شيخة ، ود . غسّان اللحام حاضرَين ، وخرجنا بتوصيات منها ضرورة عقد اجتماع لخبراء مراكز المخطوطات المتخصصة للاتفاق على توحيد للمداخل والبيانات المستخدمة في بناء قاعدة معلومات متكاملة تساعد على تحقيق الخطوات الأساسية نحو الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط . ولم يعقد هذا

الاجتماع ، وها نحن الآن نطالب بالتوصية نفسها ، ونرجو أن تأخذ سبيلها إلىٰ التنفيذ . لا بدّ من عقد هذا الاجتماع لتتكامل الأنظمة وتتفق الآراء علىٰ وضع خطة واحدة وبطاقة واحدة لتغذية الكومبيوتر بها ، ونصل منها بالفعل إلىٰ الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط .

■ د . عباس طاشكندي :

إن ورقة الأستاذ عصام الشنطي ممتازة . وأود أن أوضح مسألة الفهرسة التحليلية التي نشأت في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين . وكان الهدف من هذا المنهج في الفهرسة هو اختيار أصح النسخ وأفضلها وأكملها . وهذا النوع من الفهارس صعب جدًّا ، ولم يمارَس عندنا ، بل مدرس في الثقافات الأخرى . وبالمناسبة فإن باورز ومكرو لهما منهج مفصَّل في هذا النوع من الفهارس .

على أية حال ، أتفق مع الأستاذ عصام اتفاقًا كاملًا على ضرورة وجود خطة قومية محكَمة للفهرسة .

وأتفق معه أيضًا على ما طرحه من بدائل ، فهي عملية وممتازة جدًّا . أقول ذلك لأننا بخصوص التدريب خضنا تجربة في جامعة الملك عبد العزيز سنة ١٩٧١م ، فقد استدعينا د . صلاح الدين المنجد لدورة صيفية لمدة ثلاثة شهور ، واخترنا من الطلاب المناسبين لهذا العمل ، ومن العاملين في المكتبة ، نحو ١٥ فردًا . ثم كررنا التجربة مرتين ، ثلاثة شهور في كلّ مرة ، كان يدرِّب مجموعة من الطلاب والباحثين والموظفين . وهذا الجيل الذين دربهم د . صلاح الدين المنجد هم الذين اشتغلوا في فهرسة المخطوطات في السعودية ، وقد توزعوا

في أكثر من جهة، وكثير منهم عشق هذا العمل وتفانى فيه، وأبدعوا في صنع الفهارس لمكتبات كنا لا نعرف عن مجموعاتها شيئًا، كمكتبة الحرم المكي، الذي سيصدر فهرسها في ثمانية مجلدات، فهرسها مع مجموعة من الشباب أحد المتدربين، وهو محمد عثمان الكنوي الذي أصبح ممارسًا لهذه المهنة وناجحًا فيها.

على أن المعهد يجب أن تكون له بدائل أساسية، لأنه من أهم خصائصه أن يختص بالتدريب والتأهيل، فلا يهمل هذه الخصيصة، ويظل ينفذها في حدود إمكاناته، وحين تتوسع هذه الإمكانات يتوسع هو في خططه من هذا القبيل. مع وجود بدائل عملية على نحو ما فصلنا من الاقتراح ومن تجربتنا الناجحة تمامًا. على أن يُحسن المعهد اختيار الأساتذة المدرِّبين الذين عندهم القدرة على خلق أجيال مؤمنة بتراثها، فضلًا عن حذقه في مهنته.

وهناك بديل عملي آخر، ذلك إننا نستطيع أن نضع برنامج تدريب على أشرطة فيديو. بمعنى أنه يمكن برمجة خطوات التدريب بقالب تعليمي. المهم الاستفادة من هذه التقنيات الحديثة في خدمة التراث المخطوط.

أعود مرة أخرى إلى الفهرسة، ويكفيني في هذا السبيل أن أذكر المخطوطة وأوصافها الأساسية ليصل الباحث إلى النسخ التي تفيده. أما فهرسة أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فهي وإن كانت تحليلية مفيدة - إلا أننا لسنا في حاجة إليها، فضلًا عن أن المفهرس عندنا عملة نادرة، وأن جيلكم إذا انقرض فلن يعوض، هذا الجيل المسلَّح بحصيلة أساسية وجانبية، وعلى دراية بالعلوم المساعِدة، وكذلك بخبرة واعية.

■ د . هادي شريفي :

من مهام المعهد الأساسية في مجال التنسيق، أن يتبنى فكرة الفهرسة بأسلوب القوائم الحصرية، دون ذكر بيانات تفصيلية، وأن يشجع الجهات المختلفة على إعداد مثل هذا الفهرس.

أقول ذلك بإزاء هذه المخطوطات المتراكمة بالمئات والألوف لم يمسسها أحد، فضلًا عن عدم فهرستها. هذا الحال موجود في مجموعات كبيرة في الدول العربية. وإذا تجاوزناها وجدنا ذلك في تركيا والهند وغرب إفريقيا التي تفتقد المفهرس الذي يقوم بهذا العمل. وفي تترستان وروسيا أكثر من خمسة آلاف مخطوطة مجهولة للباحثين. لقد تحققت من هذه الأوضاع أثناء قيامنا بمشروع حصر المخطوطات الإسلامية في العالم. وبلغ من فرط حماستي أنني حاولت أن أقنع مدير المكتبة الوطنية في الجزائر بأن يفهرس مخطوطاتها بأسلوب القوائم البعيد عن التفصيلات.

في ضوء هذه الاعتبارات التي ذكرتُ أُطالب هذه الهيئة بالاكتفاء بأسلوب الفهرسة المختصر، وأن تروّج لهذا الأسلوب لدى جميع المكتبات العامة والخاصة.

■ د . أحمد فؤاد باشا :

أتصور أن مسئولية هذه الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربى، تتوجه إلىوضع استراتيجيات واضحة، دون الدخول في تفصيلات. فإذا اتفقنا على

الخطوط العريضة يصبح بعد ذلك تنفيذ التفصيلات أمرًا هينًا.

وإذا كان هناك من توصية محددة يمكن أن أطرحها على هذه الهيئة الموقرة، فهي الاعتراف منذ البداية بأن إمكانات معهد المخطوطات العربية متواضعة جدًّا لا تفي بالطموحات التي ذكرنا معظمها من خلال الورقات التي عرضت، ويكون الطلب، هو: كيف ندعم المعهد بحيث يؤدي فعلًا الدور المنوط به، يعني مَن يدعم معهد المخطوطات هل هي دول فُرادى، كل دولة على حدة، أم عن طريق جامعة الدول العربية، لأنه حقيقة بدون الدعم وبدون العمل الجماعي فإن معظم هذه الأحلام لن تتحقق، وسنجتمع كل عام ونكرر نفس الكلام كما كرَّره السابقون. فالتوصية المحددة هي: هل يستطيع المعهد أن يقوم بالمسئوليات الملقاة على عاتقه في إطار التصورات التي طُرِحت في هذا الاجتماع؟

ولكي يتم هذا لا بد من الاتفاق أيضًا على منهجية واضحة المعالم، والاتفاق على أن التعامل مع التراث والمخطوطات، يتم على مراحل، كل مرحلة ضرورية للمرحلة التالية. يعني إذا بدأنا بخطة جمع المخطوطات ثم حفظها وفهرستها وتحقيقها ونشرها، كل مرحلة من هذه المراحل تحتاج إلى خطة تفصيلية وفريق عمل يرعاها. ولا بد أن يتم هذا من خلال المعهد، لأنه الصرح الوحيد الذي يستطيع أن يجمع الخبراء اللازمين لتنفيذ أية مرحلة من هذه المراحل.

لتكن الخطط الطموحة التي نضعها الآن خططًا آجلة. أما من الخطط العاجلة ممكنة التنفيذ، والتي تناسب صحوتنا التراثية في الوقت الحاضر، أن نهتم بإصدار أمهات كتب التراث في مختلف العلوم، لانتفاع المؤسسات العلمية

المتخصصة بها، ودراستها دراسة واعية.

أما التوصية الأساسية التي ينبغي أن تطرح في هذا الاجتماع فهي دعم المعهد دعمًا ماديًا ومعنويًا، ليكون مركزًا قوميًا للتدريب والتعاون، ودعمه بالإمكانات البشرية حتى يستطيع أن ينهض بأعمال تراثية ضخمة.

■ د. جمعة شيخة:

واضح أن الدول العربية متفاوتة في ظروف فهرسة مخطوطاتها، ولكننا نتفق على الحد الأدنى لفهرسة المخطوطة وهو أسلوب القوائم شريطة أن يعين الباحث على اختيار النسخ المناسبة.

لكن هذا لا يمنع أن يكون في بعض البلدان تجربة رائدة تعنى ببعض التفصيلات المفيدة. وأرجو أن يركِّز على المجاميع التي يحتوي كل منها على مجموعة من الكتب، فغالبها فهرس في السابق بعنوان أول كتاب منها، وأهمل ذكر الكتب اللاحقة له.

وأُوضح أمرًا للدكتور عوفي أن مخطوطات وادي ميزاب قد فهرسها تونسي، وهو شيخ من شيوخ الإباضية، كان يقر في القيروان ثم مدينة تونس. وهو عمل شخصي، ولكنه ربطه بالمكتبة الإباضية، وقدَّمه للذين يحبون أن يتخصصوا في هذا المذهب. أما المكتبة البارونية في جزيرة جربا بالجمهورية التونسية، وهي مكتبة خاصة، فإن فهرسها موجود في دار الكتب الوطنية في تونس. وبالمناسبة فإن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي، قد صور منها.

■ د . أحمد نظيف :

أود أن أؤكد على أن الفهرسة على مستويين، وأنهما مطلوبان . فحال المخطوطات عندنا تقتضي الآن الفهرسة السريعة ، لأنها حصرية وأقل زمنًا وجهدًا ومالًا ، ولا تحتاج إلّا لخبرة بسيطة . ونحن فهرسنا مخطوطات دار الكتب المصرية البالغة نحو خمسين ألف ، فهرسة سريعة ، في ستة شهور . وقد أدخلنا هذه المعلومات إلىٰ الحاسب ، قابلة للإضافة في الفهرسة المفصّلة باستمارة تفصيلية ، والتي يحتاج انجازها إلى نحو ثلاث سنوات ، يقوم بها مفهرسون متخصصون ذوو خبرة . ولا يهمّ أن تكون الفهرسة السريعة صحيحة ١٠٠٪ ، ولا الفهرسة التفصيلية صحيحة ١٠٠٪ ، والمهم أن نضعها على وسيط قابل للتجديد والتحسين بصورة مستمرة .

وأؤكد لكم أن الحاسب الآلي في الوقت الحاضر يستطيع أن يصدر بعض أنواع الفهارس آليًا ، فيشتق بعض المصطلحات ، ويرصد بعض العناوين في مقدمات وخاتمات بعض المخطوطات ، اعتمادًا على ما يسمى بالذكاء الصناعي ، والنظم الخبيرة التي تحاكي الخبير . إذن فإن التكنولوجيا حاليًا تسمح لنا بأكثر مما كانت تسمح به من عشر سنين أو عشرين .

■ أ . محمد بن عبد العزيز الدَّبّاغ :

الملاحَظ أن الاختلافات في الآراء ناتجة عن الاختلافات في الممارسة والتجربة . فمثلًا زرت موريتانيا ، والمدن التاريخية منها ، فمخطوطاتها في حاجة إلى عملية فهرسة أولية بسيطة نظرًا لتلاشي هذه المخطوطات وخطر ضياعها . ولو

أن طاقات الأمة العربية تصب في اتجاه واحد ، فالقدرات التونسية مثلًا توظف في خدمة الاحتياجات الموريتانية ، وهكذا ...

ويمكن للبلدان التي قامت بالفهرسة الأولية ، أن تشرع في الفهرسة المطوَّلة ، وهذا لا يتعارض مع ما ننشده جميعًا من بطاقة موحَّدة .

وأود أن أشير إلى باب خطير من المخطوطات ، وهو باب الوثائق المتضمنة مادة تراثية هامة ، وحضارية ، وتحتاج إلى جذاذات مطوَّلة ، لتكشف عن ملاحظات حضارية هامة ، فالوثائق - على وجه الخصوص - لا يفيد فيها الفهرسة الأولية البسيطة .

■ د . عبد الستار الحلوجي :

أختلف مع الأخوة الذين تحدثوا في الفترة الأخيرة في أمور ، أولها : أن د . هادي شريفي حين تحدث عن قائمة الحصر ، قصد بها حدًا أدنى من البيانات لا ينبغي التنازل عنها ، وهي عنوان المخطوطة ، واسم المؤلف ، وعدد الأجزاء ، وعدد الأوراق ، وتاريخ النسخ ، ورقمه في المكتبة . أقل من هذا لا يعد فهرسًا ، ولا يعد قائمة حصر ، وإنما هو نوع من العبث في التعامل مع المخطوطات . وأن قائمة لا تحتوي إلّا على عنوان المخطوطة ، واسم المؤلف ، لا يقبلها أحد ، وهو جهد ضائع لا محالة .

وثانيها : إنني أخالف القول القائل إنه ليس من الضروري أن أكون مئة في المئة صحيحًا من أول مرة ، لأن الوسيط الذي أُحمّلُ عليه البيانات قابل للتجديد أو التحسين . فأنا لست مستعدًا أن أضيع عمري في صنع الفهارس ، ويأتي من

بعدي مَن يفهرس مرة أخرى لكي يصحح الخطأ. المفروض أن أضع بيانات صحيحة مئة في المئة من أول مرة. قد أحذف بعض البيانات لست في حاجة إليها، كذكر التمليكات والسماعات والإجازات، ونوع الخط والزخارف والتجليد، هذه أشياء يمكن أن أؤجلها، إنما المعلومات التي أسجلها ينبغي أن تكون صحيحة مئة في المئة من أول مرة، وما أضيفه فيما بعد يكون صحيحًا أُضيف إلى صحيح.

وآخرها إن الحاسب الآلي قادر على فهرسة المخطوطات، هذا غير صحيح بالمرة، فلا الذكاء الصناعي، ولا النظم الخبيرة تستطيع من العنوان أن تشتق رأس الموضوع. إن الذين تعاملوا مع المخطوطات يدركون أن العناوين أحياناً تكون غير دالّة، وبعضها مضلل، وسأذكر مثلين بسيطين، كتاب «نهاية الأَرَب في فنون الأدب» هل هو في فنون الأدب؟ و«صبح الأعشى في صناعة الإنشا» هل هو في الإنشاء؟ مثالان لكتابين ضخمين مشهورين ومنشورين. إن الذكاء الصناعي والحاسب الآلي لا يستطيع أن يفهرس مطبوعًا، فكيف يفهرس مخطوطًا؟

■ أ. محمد بن إبراهيم الشيباني:

أُلاحظ أن الكل يرمي الكرة على معهد المخطوطات العربية، ويريد منه ما لا يستطيع. والحق أن كثيرًا من رجال المال العرب لديهم استعداد لتقديم العون إذا ما عُرض عليهم كلفة مشروع كالحاسوب الآلي. والدليل على ذلك أننا عرضنا عام ١٩٨٨ على محسنٍ موضوع إدخال الحاسوب في المكتبة السليمانية في إستانبول (تركيا) بهدف خدمة التراث وفتح مجال التصوير، فوافق وقمنا بشراء الحاسوب IBM . والمكتبة فيها نحو مئة ألف مخطوطة، منها ٦٣ ألف

عربية ، والبقية فارسية وتركية ، أدخلوا منها حتى الآن قوائم وفهارس أكثر من ثلاثين ألف مخطوطة . واستفدنا من هذا الحاسوب فاستخرجنا مخطوطات ابن تيمية في دقائق ، ومخطوطات تاريخ البلدان في دقائق ، وكان العدد مذهلًا يدلّ على فائدة هذا الحاسوب . وهكذا انفتحت المكتبة للتصوير .

لا ينبغي أن نضيع الوقت في ندوات ومناقشات ، فالحواسيب موجودة ، وأهل الخير موجودون ، وليكن في القوائم شيء من التوصيف ، المهم أن نبدأ ليستفيد الباحثون من هذا الركام المخبأ .

■ أ . عصام محمد الشنطي :

عودٌ إلى منهج الفهرسة ، فقد كثر الحديث حوله . ومهما تكلمنا عن المناهج فإنها لا تخرج عن ثلاثة : ما يأخذ شكل القائمة ، وما يأخذ الشكل الوصفي ، وما يأخذ الشكل التحليلى . التحليلي في رأيي إذا فهمناه جيدًا - وهو مبيَّنٌ في ورقتي باقتضاب - المقصود منه - على سبيل المثال - ما فعله المستشرق الألماني أُولورد في فهارس بعض مخطوطات مكتبة الدولة في ألمانيا . بمعنى أنه كان يأخذ المخطوطة ولا يذكر عنوانها ومؤلفها وما اتفقنا عليه من الحد الأدنى للقوائم فحسب ، وإنما يفصِّل في محتواها ومادتها ، في أبوابها وفصولها ، ومن ثمَّ يذكر مادة الأبواب ، فإن كان كتابًا في الأدوية يذكر البابونج واليانسون وفوائدهما ، مع ذكر صفحات وجودهما في المخطوطة ، وهكذا تأخذ فهرسة المخطوطة منه الصفحات الطوال ، والمجموعة القليلة من المخطوطات مجلدًا . هذا المنهج في رأيي غير وارد في المخطوطات العربية بإزاء ندرة المفهرس ، وإزاء أن ثلثي المخطوطات منها على الأقل لم يمسسه مفهرس على الإطلاق كما قال د . شريفي .

إذن بقيت فهرسة القوائم والفهرسة الوصفية، الفارق بينهما بسيط ودقيق، وهو إذا أردت فهرسة القوائم وتكتب عنوان المخطوطة واسم المؤلف، مما تجده على الغلاف، فهذا - وإن لم يكفِ من ناحية - فهو في حاجة إلى تمحيص وتوثيق في عنوان المخطوطة ونسبتها لصاحبها، والأمثلة على الأوهام التي وقعت فيها سجلات مكتبات تركيا كثيرة. ويبقى بعد ذلك بعض الأمور الأخرى التي لا ينبغي التنازل عنها كحد أدنى لأسلوب القوائم. إن توثيق عنوان المخطوطة وصحة نسبتها لمؤلفها أمر مهم لا يستطيعه إلّا مفهرس متمرس، ذو ثقافة تراثية عالية.

■ د. عبد الكريم عوفي :

أشكر د. جمعة شيخة على المعلومة المتعلقة بفهرس وادي ميزاب عن الإباضية. وأفيد أن المستشرق الألماني جوزيف فون هريس ذكر في دراسته عن بعض المخطوطات الإباضية عام ١٩٧٤ أن للإباضيين مئة مكتبة، منها ٨٧ مكتبة في وادي ميزاب، وخمس في جربا، وسبع في ليبيا. ثم جاء الحاج أيوب والحاج سعيد فذكر في دراسة له أخرى أن في وادي ميزاب ١١٤ مكتبة.

وهناك دراسة أُعدها حاليًا حول مخطوطات هذه المنطقة. هذه المكتبات كلها عامرة بالمخطوطات، ولم يكشف عنها حتى الآن، ولعل هذا الذي وضعه الشيخ الإباضي اقتصر على تناول جانب الإباضية، ولم يتناول هذه المكتبات بعامة.

وموضوع المخطوطات في وادي ميزاب تبنته جمعية التراث في بني يزقن،

بعنوان : دليل مخطوطات وادي ميزاب - من الفكرة إلى الإنجاز ، وهناك حوالي خمس عشرة مكتبة ، تمَّ في الآونة الأخيرة إعداد البطاقات الفنية بخصوصها ، طبع منها حوالي سبع ، وقفتُ منها على ثلاث فقط ، ومشروع الدراسة قائم ، وأرجو أن أوفق في إعداد هذه الدراسة .

وفيما يتعلق بواجبات المعهد ، فلا ينبغي أن نحمّله فوق طاقته ، ولكنه يمكن أن يسهم في الحفاظ على هذا التراث ، وينسق الجهود مع المراكز المعنية ، ويعقد الدورات التدريبية ، ويبعث الخبراء بالتعاون مع المراكز والمكتبات ، وغير ذلك مما يمكن تنفيذه .

■ د . أحمد يوسف أحمد محمد :

ما كنت أنوي الحديث إلا في نهاية هذا الاجتماع ، ولكنكم تحدثتم كثيرًا عن دور المعهد وضرورة دعمه ، كما أثير الحديث عن ضعف الإمكانات ، لذا أود أن أبين ثلاث ملاحظات : الأولى أنه رغم صحة ضعف الإمكانات ، وسوف أتحدث عن هذا في ختام الندوة ، إنما من العجيب ، وبسبب غياب التنسيق ، كانت بعض إمكاناتنا المتواضعة تُرد إلى الإدارة العامة في تونس دون إنفاق ، وبالتالي فإن التنسيق ، من شأنه أن يوفر الاستثمار الأمثل لهذه الإمكانات المتواضعة .

والثانية أنه من خلال التنسيق المشترك والتعاون يمكن أن تتعاظم إمكاناتنا جميعًا .

والثالثة أنه من خلال هذا الاجتماع المتميز ، وغيره من الملتقيات الفكرية لا

بدّ أن تبرز أفكار رائدة غير تقليدية، يمكن أن تحقق طفرات رغم ضعف الإمكانات. وأرجو أن تتوج جهودنا جميعًا بالنجاح، رغم ضعف إمكانات بعضنا، وحسن إمكانات بعضنا الآخر.

■ د. يوسف زيدان:

في التقسيم الفلسفي للأشياء هناك نص، وهناك خطاب. ومنذ إنشاء المعهد وحتى يومنا هذا انشغالنا دائمًا بالنص التراثي، كيف يجمع، وكيف يفهرس، وكيف ينشر، وكيف ننسق من أجل مشكلات النص التراثي؛ أما الخطاب فهو مهمل ومنسيّ.

سأضرب مثلًا: من عشر سنوات مضت انشغل الواقع الثقافي العربي كله بقضية الحوار بين الشرق والغرب، وكان يدلي بدلوه فيها د. محمد عبد الجبري من المغرب، د. حسن حنفي من مصر، واهتمت المجلات والجرائد الثقافية العربية بها. وتمخض ذلك عن أعمال ضخمة تقع في مجلدات لا تقل بحال عن أعمال المتكلمين الأوائل، ولا تزال تشغل الواقع الثقافي، وبرزت أسماء كثيرة غير ما ذكرنا مثل عبد الله العروي. وإني أتساءل: أين المشتغلون بالتراث؟ وأين المؤسسات من هذا الخطاب التراثي المستنبط من التراث نفسه؟

الأستاذ الدَّبَّاغ، البارحة يشير في كلامه إلى أن مخطوطة ابن طفيل أثبتت تقدم الطب العربي في الأندلس والمغرب. لماذا في الأندلس والمغرب؟ لأن هذا خطاب تراثي هيمن على الإخوة المغاربة، بمعنى أن التراث العربي له استقلالية معينة في المغرب تحت تأثير ما أطلقه محمد عبد الجبري من أن العقل المغربي

عقل برهاني ، والعقل المشرقي عقل نوراني إشراقي . وقد سادت هذه الفكرة عندهم ، مع أنها غير صحيحة .

في كلام د . حمد ، البارحة ، أن إسرائيل حريصة على أن تسلب الفلسطينيين تراثهم ، مع أنها سلبت أرضهم ونفوسهم ، لكي يكون لها الخطاب التراثي .

مما يؤسف له حتى هذه الساعة أن الخطاب التراثي أوروبي . هم الذين انتقوا أمهات الأعمال التراثية وقدموها ، وهم الذين أسسوا المناهج ، وهم الذين أعطوا الصورة ، ونحن قد نعارض الصورة أو نوافقها ، ولكننا ، في الحالين ، نحن متابعون للخطاب التراثي الأوروبي . والآن إسرائيل تنشر في الجامعة العبرية بعض كتب التصوف لأبي عبد الرحمن السلمي ، ليس عشقًا للتراث العربي ، ولا حبًا في هذا الفكر ، ولكن لتتملك الخطاب التراثي . مثل هذا في السياسة حين دعا رابين العالم بعد توقيع الاتفاقية إلى مساعدة الفلسطينيين ، ليمتلك خطابهم ، فيحرمهم منه .

إن الإنترنت يمكن أن تساعدنا على الاهتمام بالخطاب العام . إن الاشتراك السنوي في الإنترنت غير مكلف . ويمكن للمعهد ، أو أي شخص ، أن يقوم بعمل « الهوم بيج » ، ويعطىٰ لشركة خاصة لتنفذه ، وهذا من مهمة التنسيق بين المتعاملين مع التراث . و« الهوم بيج » ممكن تحيل إلى المكتبة الوطنية بتونس وغيرها . لقد صنعنا « هوم بيج » لمكتبة الإسكندرية ، وأشرنا فيها إلى جميع أعمالنا .

لقد بلغ من إهمالنا للخطاب التراثي وتفريطنا فيه ، أن معظم ما يكتب في

الشبكة عن الفكر العربي، والتاريخ العربي، بأقلام غير عرب. لقد تركنا الآخرين يخططون ويقسّمون ويعملون لخطابنا التراثي، ويتكلمون عنا ونحن صامتون. نحن مشغولون بالورقة، وهم مشغولون بالفكرة. نحن نخاطب أنفسنا، وهم يخاطبون العالم.

■ د. محمود علي مكي (معقِّب):

ورقة د. الطناحي ممتازة، وأثني على رأيه بضرورة تصوير المخطوطات التي بخطوط مؤلفيها، لا كشهادة تاريخية على خط المؤلف فحسب، وإنما لمعرفة تطور تأليف الكتاب عند هذا المؤلف، ولدينا على سبيل المثال، تاريخ ابن خلدون، فقد غير فيه وعدّل وأضاف إليه، ولدينا عدة نسخ بخطه تدل على هذا التغيير والتعديل والإضافة، ونشر هذه المسودات، بطريق التصوير يفيد كثيرًا في تبيين فكر ابن خلدون. وأشير إلى ما صنعه د. أيمن فؤاد سيد حين نشر «الخطط» للمقريزي، بطريق التصوير للمسودات التي كتبها المقريزي نفسه.

وهناك مسألة أخرى، تتعلق بنصوص طبعت في أوروبا منذ عصر النهضة، وأصبحت بمثابة المخطوطات، وإن طبع منها بعض الطبعات التجارية التي لا قيمة لها. إنه من المفيد أن يصورها المعهد ويحفظها لديه، وينشرها بمعونة مجامع اللغة العربية ودور النشر الجيدة. أضرب من الأمثلة منها جغرافية الإدريسي التي نشرت في البندقية سنة ١٥٢٤م، وحي بن يقظان لابن طفيل الذي نشر سنة ١٦٧١م، وكتب الفلاحة لابن العوام (بنصها العربي) سنة ١٨٠٦م، وغيرها كثير.

■ **د. حامد عبد الرحيم عيد:**

شبابنا بعيد الآن عن تراثنا، لذا ينبغى أن نبسّط لهم التراث، وأن يقوم بذلك شيوخ التراث المعتمدين، وأن تكون طبعات الشباب بأسعار ميسورة مشجعة، بعيدًا عن الأدعياء الداخلين في مجال النشر يبيعونه بأثمان عالية، فلا هو عمل علمي معتمد، ولا هو بأسعار في متناول الشباب وغيرهم.

أما طريقة د. فؤاد سزكين في نشر التراث فهي طريقة ممتازة وناجحة، والمأخذ عليها ارتفاع أسعار منشوراته ارتفاعًا باهظًا، يعجز عنها كثير من المؤسسات، ومركزنا الحديث النشأة يحاول أن يحصل عليها منحةً من هيئة التبادل الألمانية.

* * *

انعقد الاجتماع الثاني للهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي، في القاهرة، خلال يومي ١٨، ١٩ ديسمبر (كانون أول) ١٩٩٦، وذلك بحضور أعضاء الهيئة الذين يمثلون الأقطار العربية التالية: الأُردن، والإمارات العربية، وتونس، والسعودية، وسورية، وفلسطين، والكويت، ومصر، والمغرب. في حين تغيب الأعضاء الذين يمثلون البحرين والعراق.

كما حضر من الأعضاء المراقبين كل من د. أحمد نظيف نائب رئيس اللجنة الاستشارية لرئاسة مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار برئاسة مجلس الوزراء المصري، ود. حامد عبد الرحيم عيد مدير مركز بحوث ودراسات التراث في العلوم الطبيعية التابع لكلية العلوم بجامعة القاهرة، و د. عبد الكريم عوفي بمعهد اللغة العربية وآدابها بجامعة باتنة - الجزائر، و د. علي عبد المعطى محمد مدير مركز التراث القومي والمخطوطات بجامعة الإسكندرية، و أ. محمد ابن إبراهيم الشيباني رئيس مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت، و د. محمد بن عبد الرحمن الرُّبَيِّع، وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لشؤون البحث العلمي بالرياض، و د. هادي شريفي أمين عام مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن.

وكان قد اعتذر سلفًا عن عدم المشاركة في الاجتماع لارتباطات سابقة كل من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) كعضو مراقب، و د. أحمد شوقي بنبين محافظ الخزانة الحسينية بالرباط - عضو الهيئة، و د. خالد ماغوط، مدير معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب - عضو الهيئة، و د. عبد الرحمن فرفور نائب رئيس مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي كعضو

مراقب، و د. عجلان العجلان عميد شؤون المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

وقد استهلت الجلسة الإفتتاحية بكلمة قصيرة للدكتور أحمد يوسف أحمد محمد المشرف على معهد المخطوطات العربية. ثم ألقى أ. محمد الميلي المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كلمة أكد فيها الارتباط بين الثقافة والتراث. كما ألقى د. عبد اللّٰه يوسف الغنيم معالى وزير التربية، والتعليم العالي الكويتي، كلمة أيضًا بالمناسبة. وعقب ذلك اقترح أ. الميلي اختيار معالي د. الغنيم رئيسًا للدورة الحالية للهيئة، واختيار د. جمعة شيخة مدير دار الكتب الوطنية بتونس، و د. غسان اللحام مدير عام مكتبة الأسد الوطنية في دمشق نائبين للرئيس، و أ. فيصل عبد السلام الحفيان من معهد المخطوطات العربية مقررًا للهيئة.

توزعت مناقشات الهيئة على ثماني جلسات الأولى للافتتاح والأخيرة للختام، في حين خصصت جلستان من جلسات العمل للاستماع لتقارير الأعضاء عن أوضاع المخطوطات في بلادهم. أما الجلسات الأربع الباقية، فقد توزعت على محورين، الأول: قضايا المخطوطات وهمومها؛ والثاني: آفاق التعاون وتنسيق العمل التراثي.

وقد رأس هذه الجلسات جميعًا معالي د. الغنيم. وقد تم خلال جلسات الاستماع تقديم عروض لأوضاع المخطوطات في كل من الإمارات العربية، ودار الكتب الوطنية، ومكتبة القيروان برقادة بتونس، والمملكة العربية السعودية، ومكتبة الأسد الوطنية بدمشق - سورية. وفلسطين عامة وبيت المقدس خاصة،

ودار الكتب المصرية، ومخطوطات الإسكندرية، وخزانة القرويين بفاس - المغرب. وكذلك استعرضت التقارير مخطوطات الجزائر ومركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت، وجهود مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي في لندن في المشروع الكبير الذي تتبناه للفهرسة.

وفي جلسات العمل تم طرح القضايا التالية: إنقاذ المخطوطات - المواقع والمسؤوليات والوسائل، ومسألة الفهرسة - البحث عن حل، إعداد الأجيال - المهمة الصعبة، والنشر - واقعه وأولوياته وتنظيم حركته.

وقد أسفرت المناقشات والمداولات التي تمت خلال جلسات العمل عن مجموعة من التوصيات الهامة يمكن تصنيفها على النحو التالي:

أولاً - الحفاظ على التراث المخطوط:

(أ) رسم خريطة واضحة التضاريس والمعالم لمناطق المخطوطات في العالم، ووضع خطة طوارئ قائمة على وضع أولويات لإنقاذ التراث العربي المخطوط.

(ب) مطالبة الدول العربية بتطبيق القانون الخاص بحماية المخطوطات الذي أعده معهد المخطوطات العربية وسبق إقراره من قبل الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي.

(جـ) تنظيم دورات تدريبية على فن ترميم المخطوطات وصيانتها والحفاظ عليها، وتشجيع الأجيال الجديدة على الاتجاه نحو هذه المهنة الصعبة، وتوجيه المعهد للقيام بدور أكبر في التأهيل والتدريب.

(د) الدعوة إلى إنشاء مراكز تدريب إقليمية على ترميم المخطوطات وصيانتها.

(هـ) المطالبة بالإسراع في استكمال مركز الترميم التابع للهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، ليبدأ بممارسة واجبه سريعًا.

(و) العناية بالجانب المادي للمخطوطة: ورقه وتذهيبه وخطوطه وملامحه الفنية والمادية، وبيان مدى تأثيره في صناعة الكتاب في العصور المختلفة.

(ز) ضرورة العناية بمخطوطات فلسطين، وبخاصة مخطوطات المسجد الأقصى والمكتبة الخالدية، وكذلك مخطوطات الجزائر، ذلك أن التراث المخطوط في هذه البلد العربية الأخيرة لا يزال مجهولًا.

ثانيًا - التعريف بالمخطوطات وفهرستها:

(أ) فهرسة المخطوطات مسألة هامة للغاية، وينبغي أن يراعى في اعتماد أي نوع من أنواع الفهرسة (القوائم، الوصفية، التحليلية) حال البلد الذي تفهرس مخطوطاته، ولابد من حد أدنى في الفهرسة يتضمن: عنوان المخطوطة، ومؤلفها، وناسخها، وتاريخ نسخها، وعدد أوراقها، والرقم الذي تحفظ به.

(ب) الإسراع في توحيد المعايير لعملية الفهرسة، واعتماد بطاقتين: إحداهما: موجزة سريعة، والأخرى وصفية، والأخذ بواحدة منهما، مناسبة لحالة البلد ووضعية مخطوطاتها.

(جـ) العمل لإيجاد أدوات موحدة مساعدة لعملية الفهرسة، مثل توحيد مداخل المؤلفين، وذلك حتى تكون هناك لغة مشتركة بين العاملين في الفهرسة.

(د) إعطاء اهتمام خاص لفهرسة المخطوطات في الجزائر وغيرها من البلدان التي تشكو من قلة فهارسها.

(هـ) دعوة المعهد لعقد لقاء للمفهرسين في مكتبات المخطوطات العربية، للخروج بخطة موحدة، يتبناها المعهد، ثم يعممها على المكتبات.

(و) إدخال مسألة المخطوطات ضمن الاتفاقات الثقافية بين الدول، ودعوة المعهد للتقدم باقتراحات في هذا الإطار لتبادل الخبراء في مجال الفهرسة.

(ز) دعوة المعهد لمطالبة مراكز المخطوطات في الدول العربية بإصدار قوائم وفهارس لمخطوطاتها.

ثالثًا - نشر التراث:

(أ) الدعوة لإنشاء صندوق لإحياء التراث ونشره تساهم فيه الدول العربية ومراكز التراث الخاصة وغيرها من الهيئات العلمية والثقافية المعنية.

(ب) الدعوة إلى استحداث درجات علمية مثل «الدبلوم» في مجال التحقيق، وذلك لبناء أجيال قادرة على قراءة النصوص وفهمها ومن ثَمَّ تحقيقها.

(جـ) إدخال القطاع الخاص شريكًا في نشر التراث الذي تقوم به مراكز التراث ومعهد المخطوطات العربية، وذلك في محاولة للتغلب على مشكلة التمويل، وإيجاد الناشر الذي يُسَوِّق الكتب بشكل جيد.

(د) التركيز من قبل معهد المخطوطات العربية ومراكز التراث على الكتب الأمهات والموسوعية والكبيرة التي لا يقبل الناشر الخاص عليها.

(هـ) استكمال الكتب ذات الأجزاء التي بدأها المعهد ومراكز تراث عربية أخرى، فقد طال انتظار المشتغلين في التراث لهذه الكتب.

(و) السير في خط نشر المخطوطات مصورة، وبخاصة تلك المكتوبة بخطوط جيدة مقروءة، أسوة بتجربة معهد تاريخ العلوم العربية في فرانكفورت،

شريطة أن تلحق بها فهارس ثرية تكشف ما تحويه .

رابعًا - التعاون والتنسيق :

(أ) فتح أبواب خزائن المخطوطات في البلاد العربية لمعهد المخطوطات العربية باعتباره المكتبة القومية العربية للمخطوطات .

(ب) فتح قنوات الاتصال بين المراكز وبعضها ، وبينها وبين معهد المخطوطات العربية .

(جـ) توسيع دائرة التعاون والتنسيق التي يتحرك خلالها المعهد ، لتشمل المنظمات المتخصصة ، ومؤسسات ومراكز التراث الخاصة القادرة ماديًّا ومعنويًّا .

(د) عقد اتفاقات أو « توأمة » بين المعهد ومراكز مختارة في الوطن العربي ، لخدمة قضايا تراثية معينة .

(هـ) تعزيز دور المعهد في تنسيق الجهود القائمة حول خدمة التراث .

(و) تبادل المصورات والفهارس ، وتوقيع بروتوكول في هذا الصدد .

خامسًا - الإعلام عن التراث :

(أ) العمل بجهود دؤوبة لإفساح مساحة معقولة للتراث المخطوط ، والجهود التي تدور في فلكه عبر وسائل الإعلام والاتصال المختلفة .

(ب) العمل لإيجاد شبكة معلوماتية واسعة حول التراث .

سادسًا - مساندة المعهد :

(أ) مساندة المعهد ، بكافة طرق المساندة المادية والمعنوية ، والتركيز على ضرورة توثيق العلاقات القائمة بينه وبين المراكز العربية .

(ب) دعوة المعهد لتعيين مراسلين له في البلاد العربية ، وذلك حتى تكون مطبوعاته وما ينشر فيها صورة حيَّة وصادقة ووافية للنشاط التراثي في الوطن العربي كله .

وقد أوصى المشاركون برفع هذه التوصيات إلى الجهات المعنية المسؤولة في الوطن العربي .

* * *

■ د . كمال البتانوني :

أُلاحظ في التوصيات بعض التكرار ، خاصة فيما يتعلق بتعزيز المعهد ودعمه ، فلا ينبغي أن يذكر أمر مرتين ؛ أرجو إزالة هذا التكرار .

والملاحظة الثانية أن المعهد قد سها عن ذكر الهيئة الاستشارية في برنامج الاجتماع ، وفي الديباجة التي تقدمت التوصيات . ولم يكن بين أيدينا قائمة بالحضور حتى نعرف المتحدثين ونتابعهم . أرجو تدارك ذلك عند تحرير أعمال هذا الاجتماع ونشره .

■ **د. عبد الكريم عوفي:**

أقترح النظر في إمكانية تعيين مراسلين - أكفاء ومن أهل الاختصاص - لمعهد المخطوطات العربية في مختلف البلاد العربية والإسلامية وغيرها؛ ليكونوا عونًا له في تزويده بالمعلومات كافة، وبتسهيل أموره لدى وطن المراسل المقيم فيه، للوصول إلى تحقيق الأهداف نحو خدمة التراث العربي المخطوط.

* * *

كلمة الوفود

د. جمعة شيخة

أود بادئ ذي بدء أن أتقدم باسمي، وباسم كافة زملائي المسؤولين عن مراكز المخطوطات الحكومية الممثلة في هذا الاجتماع، وكذلك رؤساء مراكز المخطوطات الخاصة، بجزيل الشكر إلى الإخوة المشرفين على معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، على دعوتهم الكريمة إلينا للمشاركة في هذه الندوة العلمية الهامة حول أوضاع التراث العربي المخطوط، وعلى العلاقات القائمة بين مراكز المخطوطات فيما بينها وبين معهد المخطوطات العربية، وتحسين هذه العلاقات وإثرائها.

لاشك أن دور المعهد في تنسيق العمل التراثي أساسي، وأن جهود مراكز المخطوطات الحكومية والخاصة في جمع التراث وحفظه هي جهود تذكر فتشكر. ومازال العمل أمام هذه المراكز كبيرًا وعظيمًا، خاصة أن موضوع إدخال التكنولوجيا في أعمالنا جمعًا وحفظًا وفهرسة أصبح أمرًا ملحًا وعاجلًا لنواكب العصر ونعيش في هذا العالم القرية الذي أصبح فيه مالك المعلومة هو السيد والمسيطر على من هو في حاجة إلى هذه المعلومة.

إن كل هذه الجهود ستؤتي أكلها لا محالة لصالح الباحثين محققين ودارسين. وبهذا ينفضون عنه غبار النسيان ويستخرجون كنوزه ويخلصونه مما شَابَ بعضه من سلبيات، وهذا ينطبق على كافة العلوم الدينية والإنسانية والعلوم الصحيحة، فيصبح هذا التراث بعد النشر رافدًا من الروافد الحضارية

والثقافية لشخصيتنا العربية والإسلامية ، ويحافظ على هويتنا المتميزة داخل بوتقة الحضارة العالمية والإنسانية .

ولا يسعنى في خاتمة هذه الكلمة إلا أن أتوجه أولًا بالشكر الممزوج بالاحترام والتقدير لكافة المعقِّبين أثناء استعراض محاور هذه الندوة الناجحة ، ولكافة المناقشين والمعلقين على كلماتهم وملاحظاتهم القيمة .

وثانيًا أتوجه بالشكر الممزوج بالمحبة لدار الكتب المصرية والقائمين عليها ، لما يبذلونه من جهود كبيرة لخدمة التراث العربي .

وثالثًا أتوجه بالشكر الممزوج بالامتنان لمعالي د . عبد اللّٰه يوسف الغنيم على سعة صدره في ترأسه لندوتنا ، وحسن تسييره لأعمالها .

وأرجو من اللّٰه أن تجد توصيات هذه الندوة طريقها للتطبيق ، وباللّٰه التوفيق .

* * *

كلمة الختام

د . أحمد يوسف أحمد محمد

المشرف على المعهد

معالي د. عبد اللّه يوسف الغنيم وزير التربية، والتعليم العالي بدولة الكويت، ورئيس الاجتماع ؛

الأساتذة الأجلاء أعضاء الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي، والأعضاء المراقبين ؛

الأساتذة الأجلاء أعضاء الهيئة الاستشارية لمعهد المخطوطات العربية ؛

أستأذنكم في الحديث عن عمل المعهد ورسالته، فمنذ أسندت إليّ مسئولية الإشراف عليه في عام ١٩٩٤ كان إحساسي أن ثمة أمرين يعوقان معهد المخطوطات العربية عن الانطلاقة المطلوبة، بالإضافة إلى قلة الموارد بطبيعة الحال .

الأمر الأول هو ضعف اتصال المعهد بأساتذة التراث الأجلاء في مصر، وقد عالجنا هذا مؤخرًا بمبادرة من المعهد واستجابة كريمة من هؤلاء الأساتذة بتكوين الهيئة الاستشارية للمعهد على أساس تطوعي . وقد عقدت أول اجتماعاتها بالفعل منذ حوالي شهرين، وستكون اجتماعاتها فصلية، وتكون بمثابة العقل المخطط للمعهد، كما تساعد في طرح أفكار للتنفيذ .

والثاني هو ضعف اتصال المعهد بالمؤسسات المماثلة في الوطن العربي، وها

نحن نحاول حل هذه المشكلة بعقد هذا الاجتماع المبارك الذي أكرر شكري لحضراتكم على استجابتكم الكريمة لحضوره ، والذي خرجنا منه بهذه الحصيلة الممتازة من الأفكار والمقترحات ، والتي نعدكم بأننا سنكون جادين في وضعها موضع التنفيذ .

أهمية هذه الحصيلة تنبع من أهمية تراثنا العربي ذاته ، فهذا التراث الرفيع لا يقع في جوهر قضية هويتنا فحسب ، وإنما له أيضًا مساهمته في صنع الحاضر والمستقبل كما سمعنا من عديد من المشاركين منهم د . جمعة شيخة ، و أ . الدباغ عن الإنجازات العربية في مجال الطب ، على سبيل المثال ، والتي ما زالت صالحة ومفيدة حتى الآن ، وكما سمعنا من د . عبد الله يوسف الغنيم عن الدلالات العلمية الفائقة لكتاب إنباط المياه الخفية .

الأساتذة الأجلاء ،

لا شك أن التوصيات التي خرج بها اجتماعنا هي الصورة المثالية التي نعلم جميعًا أننا سنسعى لتحقيقها ، ولا نضمن أن يتحقق ذلك بشكل مكتمل ، ولكن أهم شيء في تقديري هو التعارف وإقامة الصلات الأولية المتينة ، لأننا لا نستطيع أن نبني في عزلة عن بعضنا بعضًا .

المهم هو ما نستطيع أن نفعله واقعًا . وفي تقديري أننا نستطيع أن نحقق ما طالب به – منذ البداية – د . هادي شريفي وهو أن نعرف بعضنا بعضًا ، أين توجد مراكزنا ، وما هي إمكاناتنا ، وماذا نفعل؟ وفي هذا الصدد فإن المعهد يرجو أن يتبادل معكم الوثائق التعريفية ، ويرجو أن تمدونا بأخباركم لنشرته ، أو بنشراتكم لنستقي منها أخبار مؤسساتكم . ونحن عازمون على أن نفعل الشيء نفسه .

سنحاول أن نعرض عليكم برامجنا قبل أن تقرأ، وقبل أن تنفذ لكى نتلقى مقترحاتكم. سنحاول أيضا توسيع عضوية هذه الهيئة بحيث تشمل بالقدر المستطاع مسئولين آخرين عن مكتبات مهمة للمخطوطات العربية سواء من داخل الوطن العربي أو من خارجه.

الأساتذة الأجلاء،

أثارت هذه الندوة عددًا من القضايا فائقة الأهمية بالنسبة لموضوعنا عامة، ولمعهد المخطوطات خاصة، مثل اكتشاف المخطوطات، الفهرسة، الإنقاذ، دور التقنية الحديثة في حماية التراث وفهرسته ونشره، إعداد الأجيال القادرة على حماية المخطوطات، ونشرها، التشريعات المطلوبة لذلك، وغيرها من القضايا المهمة.

ومن الواضح لدي أن ثمة تشابهًا واضحًا في المشكلات، مع اختلاف في الدرجة، واكتشاف المخطوطات ما زال مهمة أساسية. ويبدو أن قضية المكتبات الخاصة والمخطوطات خارج الوطن العربي مسألة تحتاج منا إلى مبادرات خلّاقة، وجهد كبير، وقد استمعنا إلى بعض هذه المبادرات من د. جمعة شيخة ومن د. غسان اللحّام، وأعتقد أنها ستكون ذات فائدة كبيرة للمعهد في هذا المجال.

وفي قضية الفهرسة كان من الواضح أنها قضية القضايا، أثارها أ. عصام الشنطي في ورقته، وألح عليها د. هادي شريفي، وأوضح لنا د. عبد الكريم عوفي مثالًا لوضع المخطوطات في قطر عربي شقيق. وأثيرت في هذا الصدد قضيتان مهمتان: المنهج الموحد للفهرسة، ودور التقنية المتقدمة في هذه الفهرسة. وإذا كنت أوافق د. عبد الستار الحلوجي أن الكمبيوتر أو الحاسوب لا

يمكنه أن يفهرس بالمعايير العلمية التي في أذهاننا جميعًا، فإنني أوافق أيضا د. أحمد نظيف، و د. يوسف زيدان، وكل من يلحّون على قضية استخدام التقنية في الفهرسة، أن إمكاناتها هائلة، والمهم أن توظف التوظيف الصحيح وتحت إشراف علمي دقيق، وأنا على يقين من أن عبور الفجوة ممكن.

والمبادرة المحددة للمعهد في هذا الصدد أننا تقدمنا في خطة مشروعاتنا لسنتي ٩٧، ٩٨ بمشروع ندوة عن قضايا المخطوطات في الوطن العربي، وأعتقد - من خلال مداولاتكم - أن هذه الندوة يجب أن تكون عن قضية الفهرسة. وقد أثار د. غسان اللحام أفكارًا محددة في هذا الصدد، وسوف نعد لهذه الندوة إعدادًا جيدًا، ونوافيكم بأوراق العمل، والبطاقة النموذجية المقترحة، وذلك قبل عقد الندوة بوقت كاف، لنتلقى ردودكم، وبهذا نستطيع أن نحقق الهدف من هذه الندوة في الوقت المحدد لها.

بطبيعة الحال فإن إمكاناتنا محدودة ولكننا نعد بمحاولة حشدٍ بتمويل إضافي لها، ونثق أن عددًا منكم على الأقل سوف يشاركنا في هذا بمبادرة منه. وفي كل الأحوال فسنؤَمِّنُ الاتصال والحصول على الآراء مكتوبة بهدف أن نصل إلى ثمرة معقولة، ولا أقول نهائية، تكون خطوة لا بأس بها في الاتجاه الصحيح.

قضية الإنقاذ أثيرت أيضا، ولا أضيف إليها، ولكني أنوه إلى النقطة المهمة التي أثارها د. عبد اللّٰه يوسف الغنيم، عندما فرق بين الإنقاذ الجزئي، والإنقاذ الشامل، وما نادى به من ضرورة وضع خطة طوارئ لحماية المخطوطات العربية، وضرورة رسوخ تقاليد حماية المخطوطات فوق الاعتبارات السياسية أو غيرها.

أما قضية استخدام التقنية فقد نوقشت في موضوع الفهرسة من قبل، ولكن

آفاقها الآن أوسع ، فكيف نتيح التبادل من خلال الانضمام إلى شبكة عربية موحدة ، قد ترتبط بالشبكة العالمية ، وما هي التكلفة المادية والاحتياجات من الخبراء ، والتقدير الزمني للمدة المطلوبة ، الأمر الذي يحتاج إلى ما يشبه دراسات الجدوى . ونعدكم بأن نواصل اهتمامنا بها من خلال مشاريع المعهد ومبادراته ، غير أن تنفيذها يحتاج - دون شك - إلى تضافر كل الجهود .

في الدورة المالية ٩٧، ٩٨ يقترح المعهد - لأول مرة - مشروعًا يقوم على إدخال التقنية الحديثة ، وينتظر إقراره ، وسوف نرى ماذا نستطيع أن نفعل بإمكاناتنا المتواضعة في ضوء ما يقال لنا كثيرًا من أن التكلفة محدودة للغاية .

وعلى أهمية قضية إعداد الأجيال المحورية ، فإنها لم تأخذ حقها الكافي في تقديري من النقاش ، ومع ذلك فقد أثيرت ، وأعتقد أن المعهد سوف يستفيد كثيرًا مما طرح منها ، وسيحدث نقلة في الدورات التدريبية التي تتكلف أموالًا تفوق الإمكانات المتاحة في كثير من الأحيان ، إلى فكرة الدورات القطرية بتكلفة أقل بكثير ، والتي يمكن أن يُندب لتنفيذها خبير متمرس ، وبتكرارها في عدد من الأقطار ذات المكانة المحورية في التراث العربي ، يكون المنظور العربي قد تحقق .

وبُحثت تشريعات حماية المخطوطات ، وأهم ما فيها ، كيف نوفق بين الحماية والإتاحة ؟ وكما يجب أن نضع معايير للحماية ، فإنه ينبغي أن نضع ما يضمن الإتاحة للباحثين ، فالحماية مهمة ، والإتاحة مهمة كذلك . وبعض المؤسسات تهتم بإقامة الأسوار حول مقتنياتها ، أكثر من اهتمامها بالاستفادة البحثية منها . ومع ذلك يجب أن نضع قضية التشريعات في إطارها الصحيح ،

فالتشريعات قد تُقَرّ، ولا يلتزم بها. يجب أن نبادر نحن كمؤسسات مسئولة عن التراث بإعطاء القدوة والمثل في الحماية والتعاون.

لقد حملتم المعهد - مشكورين - عديدًا من المسئوليات، ونحن نرحب بهذا، لأنه أحد أهداف الدعوة إلى هذا الاجتماع.

وقد قلت إنه على الرغم من ضعف الإمكانات، فإن بعض الأموال تُرَدُّ دون استخدامه لغياب التنسيق والبيروقراطية. والحل أن يكون التنسيق بيننا مباشرة. ونقطة البدء هي أن نعرف بعضنا بعضًا، وأن نواصل الاتصال، ونتبادل المعلومات، ونتعرف على الاحتياجات، وتتكامل الجهود حتى يتسنى استخدام الموارد المحدودة.

وأقرر الآن بعد هذا الاجتماع أن المعهد أصبح أكثر غنى بهذه الأفكار الجديدة التي طرحت فيه، تساعده على تحقيق رسالته. وفكرة الاشتراك في تنفيذ المشروعات يوفر التكاليف، ويمنع تكرار الجهود، ويوسع نطاق الفائدة، على النحو الذي أشار إليه كثيرون، كقضية النشر بالاشتراك مع دور النشر الجيدة.

إن الأخطر من ضعف إمكانات المعهد، أن هناك من الآراء الرسمية الفاعلة، خارج هذا الجمع الكريم، من يرى أن رسالة المعهد قد أصبحت بلا أهمية بعد أن تعددت مراكز التراث في الوطن العربي، ومن ثمَّ يكون المعهد عبئًا على منظومة العمل العربي المشترك.

كما أن هناك أفكارًا خطيرة محددة أثيرت غير مرة بشأن ما يمكن تسميته بخصخصة التراث، بمعنى ترك المجال للمؤسسات الخاصة حتى نزيح عن كاهلنا

عبء المعهد . وعلى أحسن الفروض يتحول المعهد إلى مؤسسة تسعى إلى تمويل أنشطتها ذاتيًا ، وبهذا تنفض الأمة عن كاهلها هذه المسئولية الثقيلة .

وبجانب أننا لا ننكر أهمية دور المؤسسات الخاصة ، فنحن نؤمن بأن دور المؤسسة ذات المنظور القومي يجب أن يبقى . لذا فإنني أحذر من هذا الاتجاه ، وأحمّل الأخ د . عبد اللّه يوسف الغنيم مسئولية خاصة ، لأنه له دوره الفاعل في العمل الثقافي العربي المشترك .

وأشكر حضراتكم كل الشكر على كريم حضوركم ، وعلى مساهمتكم وعطائكم الممتاز في الندوة . وأوجه شكرًا خاصًا للإخوة الأعزاء الذين تجشموا مشقة الحضور من خارج مقر المعهد .

كما أوجه شكرًا خاصًا أيضًا للأستاذ محمد الميلي المدير العام الذي حرص على مشاركتنا في الجلسة الافتتاحية رغم مشاغله في اجتماعات المجلس التنفيذي للمنظمة ، والإعداد لمؤتمرها العام .

وأزعم أنني أمثلكم جميعًا عندما أعبر عن عميق الامتنان والتقدير للأخ الكريم د . عبد اللّه يوسف الغنيم ، الذي لا أجد وصفًا أجمل من هذا الوصف : مشاركته الفاعلة معنا كعضو في الهيئة الموقرة ؛ ولم نخسره في عضويته التي نعتز بها ، بالرغم من أعباء وزارتين بالكويت يتحمل مسئوليتهما .

وشكر خاص للأستاذ فيصل عبد السلام الحفيان الذي تحمل مسئولية الإعداد العلمي لهذا الاجتماع ، وكذلك إجراء الاتصالات اللازمة ، وهي مهمة شاقة . وكذلك الشكر لأسرة المعهد جميعًا على ما بذلوه من جهود إدارية وتنظيمية في سبيل إنجاح الاجتماع .

وفي الختام ، فإننا نعدكم بالمتابعة ، والإمساك بهذا الخيط الذي اتصل بيننا ، بكل ما أُوتينا من قوة وجدية . وإنني على ثقة بأن لقاءاتنا سوف تتكرر ، وأن ثمارها سوف تثري قضية حماية التراث العربي ووضعه في مكانه اللائق به ، وبوركت جهودكم المخلصة التي سوف تذكرها لكم الأجيال القادمة من أبناء هذه الأمة .

* * *

اتجاهات الاجتماع

أ. عصام محمد الشَّنْطِي *

الفكرة قديمه، وهي نبيلة، هدفها التعاون والتنسيق، وتُرجمت إلى حيِّز الوجود بتأليف «هيئة عربية مشتركة لخدمة التراث»، شكّلت من المسؤولين العرب عن مخطوطات بلادهم، جلُّهم - إن لم يكن كلهم - أصحاب قرار. واجتمعوا في رحاب معهد المخطوطات العربية، بالكويت، في أوائل عَقْد الثمانينات. وكان الموضوع متعلقًا بالجذور، فكان الحديثُ عاليَ الطبقة، واتُخذت توصيات من أحلى الكلام، وقضينا أيامًا، وانفضّ السامر.

وها هو المعهد في ظلّ بَعْثه من جديد، وبعد مضي أكثر من عَقْد من الزمان، يؤلف هيئة جديدة، يسمّيها «الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي»، وهي تسمية مقصودة تتسع في المستقبل إلى المسؤولين عن المخطوطات العربية في بلاد الإسلام، وبلاد الغربة. ومعنى هذا أن الفكرة تتعاظم، والمسؤولية تتسع، ومجالات التعاون والتنسيق تتمحور حول التراث العربي، والمخطوطات العربية، أينما وُجدت.

تجتمع الهيئة في رحاب المعهد في القاهرة، في الأيام الأخيرة من عام ١٩٩٦. وكان مهرجانًا حقًّا، ومستوى الحضور عاليًا، والمشاركة «ساخنة»، والحوار غنيًا، والانتماء للمخطوطات من القلب والفكر، واتُخذت توصيات

* مدير المعهد الثاني، سابقًا.

عظيمة لخدمة التراث العربي . والكل يعلم في قرارة نفسه أن لا خدمة للتراث إلّا بتعاون المؤسسات فيما بينها ، وتعاونها جميعًا مع المعهد ، تعاونًا خالصًا لوجه هذا التراث ، وصادقًا لمصلحة المخطوطات ، بنظر بعيد ثاقب ، يعود على علماء الأمة وباحثيهم بالربط بالماضي ، والإبداع للمستقبل ، وعلى الأمة ذاتها بالخير والفَلَاح .

الأهداف واضحة ، والمحاور متقَنة . وقُدِّمت البحوث وأوراق العمل ، كلّ بحث في مسألة من المسائل . وأُلقيت التقارير عن أوضاع المخطوطات في أقطار عربية عدّة ، ورُصدت الجهود المبذولة لخدمتها . أصبح لنا خبرة في إدارة الاجتماعات والندوات ، أتقنَّا الصَّنْعَة ، وتوصلنا إلى توصيات تعالج كل مشكلة من مشكلات التراث ، عامِّها وخاصِّها ، وهي كثيرة . التوصيات مُحكمَة ، تخدم تراثنا بكل سهولة ويُسْر .

قليل من هذه التوصيات يحتاج إلى مال ، وكثير منها يحتاج إلى شيء باليد والإمكان ، وهو الإيمان بالتراث أولًا ، والجهد المضني ، والتعاون الوفي . أقلّها تبادل المطبوعات والفهارس ، وأعظمها تبادل المخطوطات المصوَّرة ، وبذلها من أجل العلماء والباحثين المتخصصين ، كاشفين أمرها لهم ، بعيدًا عن الاتّجار بها ، لينجزوها للنشر محققةً مدروسةً ، فنفيد منها ، ونربط جذور الماضي ، بسيقان الحاضر ، بالفروع المنطلقة إلى المستقبل .

وأول هذه التوجهات نراها تمسّ الحفاظ على هذا التراث المخطوط . فالمخطوط مادة محسوسة من ورق وأغلفة وجلود وأحبار وخيوط ومواد لاصقة ، وكلها تتعرض بفعل الزمن والبيئة والحشرات إلى البِلى والهلاك ، ولا ينبغي أن نقف منه موقف المتفرّج ، نراه يتلاشى ويضيع . وأول درجات المحافظة عليه أن

تُصَمَّم خريطة واضحة التضاريس والمعالم لمناطق المخطوطات العربية في العالم، هذه الخريطة قابلة للتجديد في كلّ عامين. وهي بدورها تبيّن أولويات المناطق التي ينبغي أن يتوجه إليها للإنقاذ والصيانة والترميم والتصوير. ولأسباب طارئة، وبعد مناقشات وحوار أوصت الهيئة خيرًا بمخطوطات فلسطين التي تحتاج إلى عناية خاصة، ومخطوطات الجزائر التي لم يُقَدَّم إليها خدمة واضحة.

وينبغي أن يسبق وضع هذه الخريطة صدور قانون حماية المخطوطات في كل قطر عربي. وهو مشروع قانون نموذجي أعان المعهد على وضعه منذ سنوات، وجَمَعَ له الخبراء العرب في التراث والقانون، ثم أقرّه الوزراء المسؤولون عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي. ولا مسوّغ لقطر أن يتقاعس عن إصدار هذا القانون الذي يتميّز بحلّ مشكلات كثيرة، منها أنه يحمي المخطوطات من الاتّجار بها، ونقل هذه الثروة القومية من بلادها إلى بلاد الغربة، ويفرض القانون على الدولة تسجيل المخطوطات في سجلّات خاصة، والعون على خدمتها، سواء كانت الملكية خاصة أو عامَّة، وصيانتها وترميمها وتصويرها.

ولمّا كانت الصيانة والترميم عملية ممتدة ومستمرة، لأعدادٍ ضخمة من المخطوطات العربية، فإنه ينبغي خلق أجيال من المتدربين تدريبًا كافيًا للقيام بهذه المهنة التقنية المتقدمة، والتشجيع عليها، وعقد الدورات تلو الدورات لهذه الأجيال. ومن حسن الطالع أنّ في عواصم الدول العربية الآن مراكزَ ترميم جيدة، استفادت مما وصلت إليه الدول الأجنبية من أجهزة حديثة، وتقنية عالية، نذكر منها: الرياض، ودمشق، والقاهرة، وتونس، والقيروان، والرباط، وغيرها.

وثاني هذه التوجهات التعريف بالمخطوطات والكشف عنها بالفهرسة، وطبع هذه الفهارس ونشرها وتبادلها، وهذه مشكلة حادّة من مشكلات المخطوطات المزمنة والعويصة. وتتضح فداحة هذه المشكلة إذا علمنا أن الموصوف من المخطوطات العربية في العالم وصفًا مقبولًا ومطبوعًا في فهارس، لا يتجاوز ثُلْث عددها على أحسن الفروض، وثلثاه لا يُعرَف عنه شيء. فنحن لا نملك «كادرًا» كافيًا من المفهرسين المؤهَلين لهذا التخصص العلمي الصعب، ولا يملك المفهرسون لغة مشتركة، أو أسلوبًا موحّدًا للفهرسة، وأن الدورات التدريبية التي يعقدها المعهد، أو المؤسسات، كافية. ولعلّ محاولةَ الحلّ تكمن - مع استمرار هذه الدورات وتكثيفها - في أن يُنتَدَب خبراء في الفهرسة إلى مكتبة، أو مجموعة من المكتبات متقاربة، يدرِّب الخبيرُ عددًا من الشباب عُيِّنوا للعمل في الفهرسة، وهو أسلوب أسرعُ نتائجَ، وأقلُّ نفقاتٍ؛ وأن يُتَّفق على وضع بطاقة وصفية موحَّدة يضعها خبراء، ويتبنّاها المعهد، للقيام بفهرسة المخطوطات العربية في خطة محكَمة متوسطة المدى. ووضع بطاقة أخرى تحتوي على الحدّ الأدنى الأساسي من التوصيف، وإنجاز ما يمكن أن نسمّيه «الفهرس العام»، وطبعه، وهو خطة عاجلة قصيرة المدى، تفيد كثيرًا من المكتبات والمراكز والمؤسسات، وتحلّ مساحة واسعة من هذه الإشكالية.

ولم يفلت من الهيئة أن تدعوَ إلى استخدام التقدم العلمي والتكنولوجي في حفظ قاعدة بيانات فيما فهرس من المخطوطات العربية، فتقوم المكتبات الكبرى - على الأقل - بإدخال بيانات فهارسها العامّة في جهاز الكومبيوتر، لسهولة الكشف عَمّا لديها من مخطوطات عمومًا، أو سرعة الكشف عن مخطوطات في موضوعات معيّنة، أو لمؤلفين دون غيرهم، أو مخطوطات كتبت

بخطوط متماثلة ، أو في قرون محدّدة ، أو ذات أشكال فنيّة ، ورسوم مزخرفة ، وغير ذلك من التقليبات المختلفة القادر عليها هذا الجهاز .

والإشكالية الثالثة أن يتوفر على هذا التراث المخطوط مَن يفهم النصَّ ، ويضعه للقارئ كما أراده مؤلّفُه ، وأن يضيئه بملاحظات تفسّره وتكشف غموضه ، ويقدّمه مدروسًا . ذلك لأن هذا الميدان قد دخله أدعياء يتاجرون بهذا العمل ، يساعدهم على تحقيق أرباح هائلة إقبالُ الجمهور على شراء كتب التراث . واتُّفق على ضرورة أن يتولّى المعهد منهجًا في تحقيق النصوص ، وإضاءتها ودرسها ، وأن يَمنح دبلومًا ، بعد هذا التدريب الجادّ ، لمن اختيروا بعناية لهذا العمل العلمي ، بهدف بناء أجيال قادرة على قراءَة النصوص وفهمها ، وتقديمها محققة مدروسة ، على أن يُظهر الدارس ما في هذه النصوص من فوائد . وأن يُنشأ صندوق لإحياء التراث ونشره ، وإشراك القطاع الخاص في النشر ، والاهتمام بنشر المخطوطات ذات الخطوط الجيدة والمقروءَة ، مصوَّرةً ، على أن يُلحَق بها فهارس ثرية تكشف عَمَّا تحويه .

ومن أهداف حلّ هذه الإشكالية أن يَعُمَّ إيماننا بهذا التراث ، وأن يشيع عنه الحديث بوسائل الإعلام المختلفة ، وأن تُفسَح مساحة مناسبة للتراث المخطوط ، والعمل على إيجاد شبكة معلوماتية واسعة حول التراث . نقول ذلك لأن إعلامنا مازال بعيدًا عن هذا الميدان ، ولم يخاطب فيه جمهور المتعلمين . إن الخطاب الإعلامي السائد هو المتعلق بالتسلية وإزجاء الوقت ، بينما التراث ميدانه جاد ، يشكّل الجزء الرئيسي في ثقافتنا ، بدونه تصبح ثقافتنا هشّة ، لا ملامح لها ، ولا خصوصية ، ولو قُيِّض لهذا التراث مَن هم واسعو الاطّلاع ، ذوو منطق ، ممَّن يحسنون الاختيار منه ، ويحسنون عَرْضَه ، ويتوجهون بالاهتمام – في الدرجة

الأولى - إلى الشباب ، لوَجَدَ الجميعُ أن التراث ممتع ومفيد ومثقِّف حقًا .

إن إيماننا بتراثنا ، يجعلنا نؤمن بمعهد المخطوطات العربية الذي أنشأه أصحابه لهذا الغرض ، وإنّ مساندة هذا المعهد واعتماده - بوصفه منسّقًا للعمل التراثي المشترك - أمر ضروري ، والتعاون معه تعاونًا مفتوحًا على المصراعين واجب ، وكذلك التعاون بين المراكز أمر حيوي . ولا يخفى أن جميع أشكال التعاون والتنسيق يصب في قناة واحدة ، هي مصلحة التراث المخطوط .

هذه خلاصة ما توصل إليه أعضاء الهيئة من أجل خدمة التراث ، وهي تنطوي على حلولٍ ممكنة لمسائل قائمة . المهم فيها المبادرة بالتنفيذ . ولعلَّ الوصولَ إلى طريقة عملية تؤدِّي إلى التنفيذ ، أهمُّ من التنفيذ نفسه .

* * *